القسم الثاني من كتاب

الآداب المعنوية للصلاة

للإمام روح الله الموسوي الخميني+

تعريب العلامة السيد أحمد الفهري&

الباب الرابع

في ذكر نبذة من آداب القراءة وقطعة من أسرارها

وفيه مصباحان

المصباح الأول

في آداب قراءة القرآن الشريف المطلقة

وفيه ستة فصول

الفصل الأول

في آداب القراءة

من أحد الآداب المهمة لقراءة الكتاب الإلهي الذي يشترك فيه العارف والعامّي وتحصل منه النتائج الحسنة ويوجب نورانية القلب والحياة الباطنية التعظيم وهو موقوف على فهم عظمته ونبالته وجلالته وكبريائه، وهذا المعنى وان كان بحسب الحقيقة خارجا عن نطاق البيان وزائدا على طاقة البشر لأن فهم عظمة كل شيء بفهم حقيقة وحقيقة القرآن الشريف قبل تنزله إلى المنازل الخلقية وتطوّره بالأطوار الفعلية من الشؤون الذاتية والحقائق العلمية للحضرة الواحدية وهو حقيقة الكلام النفسي الذي هو مقارعة ذاتية في الحضرة الأسمائية ، وهذه الحقيقة لا تحصل لأحد لا بالعلوم الرسمية ولا بالمعارف القلبية ولا بالمكاشفة الغيبية إلاّ بالمكاشفة التامة الإلهية لذات النبي الخاتم المباركة صلى الله عليه وآله في محفل انس وقاب قوسين بل في خلوة سرّ مقام أو أدنى، وأيدي آمال العائلة البشرية قاصرة عنها إلاّ الخلّص من أولياء الله الذين اشتركوا في روحانية تلك الذات المقدسة بحسب الأنوار المعنوية والحقائق الإلهية وفنوا بواسطة التبعية التامة فيه فإنهم يتلقون علوم المكاشفة بالوراثة منه صلى الله عليه وآله، وتنعكس حقيقة القرآن في قلوبهم بنفس النورانية والكمال التي تجلّت لقلبه المبارك من دون التنزّل إلى المنازل والتطور بالأطوار وهو القرآن من دون تحريف وتغيير، ومن كتّاب الوحي الإلهي من يقدر على تحمّل هذا القرآن هو النفس الشريفة لولي الله المطلق علي بن أبي طالب عليه السلام وأما سائر الخلق فلا يقدرون أخذ هذه

الحقيقة إلاَّ مع التنزّل عن مقام الغيب إلى موطن الشهادة والتطور بالأطوار الملكية والتكسي بكسوة الألفاظ والحروف الدنيوية ، وهذا أحد معاني التحريف الذي وقع في جميع الكتاب الإلهي والقرآن الشريف وجميع الآيات الشريفة قد جعلت في تناول يد البشرية بالتحريف بل بالتحريفات الكثيرة على حسب المنازل والمراحل التي طواها من حضرة الأسماء إلى أخيرة عوالم الشهادة، وعدد مراتب التحريف مطابق لعدد مراتب بطون القرآن طباق النعل بالنعل إلاَّ أن التحريف عبارة عن التنزّل عن الغيب المطلق إلى الشهادة المطلقة على حسب مراتب العوالم، والبطون عبارة عن الرجوع من الشهادة المطلقة إلى الغيب المطلق، فمبدأ التحريف ومبدأ البطون متعاكسان والسالك إلى الله إذا وصل إلى أي مرتبة من مراتب البطون قد تخلص من مرتبة من مراتب التحريف إلى أن يصل البطون المطلقة وهي البطن السابع على حسب المراتب الكلية يتخلص من التحريف المطلق فعلى هذا يمكن أن يكون القرآن الشريف محرّفا لشخص بجميع أنواع التحريف ولشخص آخر ببعض مراتبه ولا يكون لشخص محرّفا أصلا ويمكن أن يكون محرّفا لشخص في حال وله غير محرف في حال آخر ويكون محرّفا ببعض أنواع التحريف في حال ثالث. ففهم عظمة القرآن خارج عن طوق الإدراك كما علمت ولكن الإشارة الإجمالية إلى عظمة هذا الكتاب المتنزل والمتناول لجميع البشر موجبة لفوائد كثيرة.

اعلم أيها العزيز أن عظمة كل كلام وكل كتاب إمّا بعظمة متكلمه وكاتبه وإمّا بعظمة المرسل إليه وحامله، وإمّا بعظمة حافظه وحارسه، وإمّا بعظمة شارحه ومبيّنه، وإمّا بعظمة وقت إرساله وكيفية إرساله. وبعض هذه الأمور دخيل في العظمة ذاتا وجوهرا وبعضها عرضا وبالواسطة وبعضها كاشف عن العظمة وجميع هذه الأمور التي ذكرناها موجودة في هذه الصحيفة النورانية بالوجه الأعلى والأوفى بل هي من مختصاته بحيث أن الكتاب الآخر إما إلاَّ يشترك معه في شيء منها أصلا، أو لا يشترك معه في جميع المراتب.

أما عظمة متكلمه ومنشئه وصاحبه فهو العظيم المطلق الذي جميع أنواع العظمة المتصورة في الملك والملكوت وجميع أنواع القدرة النازلة في الغيب والشهادة رشحة من تجليات عظمة فعل تلك الذات المقدسة ولا يمكن أن يتجلى الحق تعالى بالعظمة لأحد وإنما يتجلى بها من وراء آلاف الحجب والسرادقات، كما في الحديث: " إن لله تبارك وتعالى سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفت لأحرقت سبحات وجهه دونه ".

وعند أهل المعرفة قد صدر هذا الكتاب الشريف من الحق تعالى بمبدئّية جميع الشؤون الذاتية والصفاتية والفعلية، وبجميع التجليات الجمالية والجلالية، وليست لسائر الكتب السماوية هذه المرتبة والمنزلة. وأما عظمته بواسطة محتوياته ومقاصده ومطالبه فيستدعي ذلك عقد فصل على حدة، بل فصول وأبواب ورسالة مستقلة وكتاب مستقل حتى يسلك نبذة منها في سلك البيان والتحرير، ونحن نشير بطريق الإجمال بفصل مستقل إلى كلياته، وفي ذلك الفصل نشير إلى عظمته من حيث النتائج والثمرات إن شاء الله.

وأما عظمة رسول الوحي وواسطة الإيصال فهو جبرائيل الأمين والروح الأعظم الذي يتصل بذاك الروح الأعظم الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلّم بعد خروجه عن الجلباب البشري وتوجيه شطر قلبه إلى حضرة الجبروت وهو أحد أركان دار التحقق الأربعة بل هو أعظم أركانها وأشرف أنواعها لان تلك الذات النورانية ملك موكل للعلم والحكمة وصاحب الأرزاق المعنوية والطاعة الروحانية، ويستفاد من كتاب الله والأحاديث الشريفة تعظيم جبرائيل وتقديمه على سائر الملائكة.

وأما عظمة المرسل إليه ومتحمّله، فهو القلب التقي النقي الأحمدي الأحدي الجمعي المحمدي الذي تجلى له الحق تعالى بجميع الشؤون الذاتية والصفاتية والأسمائية والأفعالية وهو صاحب النبوة الختمية والولاية المطلقة وهو أكرم البرية وأعظم الخليقة وخلاصة الكون وجوهرة الوجود وعصارة دار التحقق واللبنة الأخيرة وصاحب البرزخية الكبرى و الخلافة العظمى.

وأما حافظه وحارسه فهو ذات الحق جلّ جلاله، كما قال في الآية الكريمة المباركة: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (الحجر - 9).

وأما شارحه ومبينه فالذوات المطهرة المعصومون من رسول الله إلى حجّة العصر عجّل الله فرجه الذين هم مفاتيح الوجود ومخازن الكبرياء ومعادن الحكمة والوحي وأصول المعارف والعوارف وأصحاب مقام الجمع والتفصيل.

وأمّا وقت الوحي فليلة القدر أعظم الليالي وخير من ألف شهر وأنور الأزمنة، وهي في الحقيقة وقت وصول الوليّ المطلق والرسول الخاتم صلى الله عليه وآله.

وأما كيفية الوحي وتشرقاته فهي خارجة عن نطاق البيان في هذا المختصر وتحتاج إلى فصل مستقل قد صرفت النظر عنه لطوله.

الفصل الثاني

في بيان مقاصد الكتاب الشريف الإلهي ومطالبه ومشتملاته بطريق الإجمال والإشارة.

اعلم أن هذا الكتاب الشريف كما صرّح هو به كتاب الهداية وهادي سلوك الإنسانية ومربيّ النفوس وشافي الأمراض القلبية ومنير طريق السير إلى الله.

وبالجملة، فإن الله تبارك وتعالى لسعة رحمته إلى عبادة أنزل هذا الكتاب الشريف من مقام قربه وقدسه وتنزل به على حسب تناسب العوالم حتى وصل إلى هذا العالم الظلماني وسجن الطبيعة وصار على كسوة الألفاظ وصورة الحروف لاستخلاص المسجونين في سجن الدنيا المظلم وخلاص المغلولين بأغلال الآمال والأماني، وإيصالهم من حضيض النفس والضعف والحيوانية إلى أوج الكمال والقوة الإنسانية ، ومن مجاورة الشيطان إلى مرافقة الملكوتيين بل الوصول إلى مقام القرب وحصول مرتبة لقاء الله التي هي أعظم مقاصد أهل الله ومطالبهم، فمن هذه الجهة إن هذا الكتاب هو كتاب الدعوة إلى الحق والسعادة. وبيان كيفية الوصول إلى هذا المقام ومندرجاته إجمالا ما له دخل في هذا السير والسلوك الإلهي أو عين السالك والمسافر إلى الله، وعلى نحو كلّي أحد مقاصده المهمّة الدعوة إلى معرفة الله وبيان المعارف الإلهية من الشؤون الذاتية والأسمائية والصفاتية والأفعالية وأكثرها في هذا المقصود هو توحيد الذات والأسماء والأفعال ، قد ذكر مستقصي بعضه بالصراحة وبعضه بالإشارة.

وليعلم أن المعارف من معرفة الذات إلى معرفة الأفعال قد ذكرت في هذا الكتاب الجامع الإلهي على نحو تدركه كل طبقة على قدر استعدادها، كما أن علماء الظاهر والمحدثين والفقهاء رضوان الله عليهم يبيّنون ويفسّرون آيات التوحيد الشريفة وخصوصا توحيد على نحو يخالف ويباين ما يفسّرها أهل المعرفة وعلماء الباطن.

والكاتب يرى كلا التفسيرين صحيحا في محله لان القرآن هو شفاء الأمراض الباطنية ويعالج كل

مريض على نحو خاص، كما أن كريمة {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ} (الحديد - 3). وكريمة {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}. (النور - 35) وكريمة {وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ} (الزخرف - 84). وكريمة {وَهُوَ مَعَكُمْ} (الحديد- 4). وكريمة {أَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ} (البقرة - 115). إلى غير ذلك في توحيد الذات والآيات الكريمة في آخر سورة الحشر وغيرها في توحيد الصفات. وكريمة {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى} (الأنفال -17) . وكريمة {الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (الفاتحة - 1). وكريمة {يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}. في توحيد الأفعال التي تدل بعضها بوجه دقيق وبعضها بوجه أدقّ عرفاني، شفاء للأمراض عند كل طبقة من طبقات علماء الظاهر والباطن على نحو. وبعض الآيات الشريفة مثل آيات أول الحديد والسورة المباركة التوحيد التي نزلت للمتعمقين، في آخر الزمان حسب الحديث الشريف في الكافي، ففي نفس الحال لأهل الظاهر منها نصيب كاف، وهذا من معجزات هذا الكتاب الشريف ومن جامعيته.

ومن مقاصده الأخر ومطالبه: الدعوة إلى تهذيب النفوس وتطهير البواطن من أرجاس الطبيعة، وتحصيل السعادة.

وبالجملة، كيفية السير والسلوك إلى الله. وهذا المطلب منقسم إلى شعبتين مهمتين.

إحداهما: التقوى بجميع مراتبها المندرجة فيها التقوى عن غير الحق والإعراض المطلق عما سوى الله.

وثانيهما: الإيمان بتمام المراتب والشؤون المندرج فيه الإقبال إلى الحق، والرجوع والإنابة إلى ذاته المقدسة، وهذا من المقاصد المهمة لهذا الكتاب الشريف، وأكثر مطالبه ترجع إلى هذا المقصد إما بلا واسطة أو مع الواسطة.

ومن مقاصد هذا الصحيفة الإلهية: قصص الأنبياء والأولياء والحكماء وكيفية تربية الحق إيّاهم، وتربيتهم الخلق. فإن في تلك القصص فوائد لا تحصى وتعليمات كثيرة. ومن المعارف الإلهية والتعليمات

وأنواع التربية الربوبية المذكورة والمرموزة فيها ما يحيّر العقل.
فيا سبحان الله، وله الحمد والمنّة، ففي قصة خلق آدم عليه السلام والأمر بسجود الملائكة وتعليمه الأسماء وقضايا إبليس وآدم التي كرّر ذكرها في كتاب الله في التعليم والتربية والمعارف والمعالم لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، ما يحيّر الإنسان. ولأجل هذه النكتة كرّرت القصص القرآنية كقصة آدم وموسى وإبراهيم وسائر الأنبياء فليس هذا الكتاب كتاب قصة وتاريخ بل هو كتاب السير والسلوك إلى الله، وكتاب التوحيد والمعارف والمواعظ والحكم. والمطلوب في هذه الأمور هو التكرار كي يؤثّر في القلوب القاسية وتأخذ منها موعظته. وبعبارة أخرى إن من يريد أن يربّي ويعلّم وينذر ويبشر فلا بدّ له أن يرزق مقصده بالعبارات المختلفة والبيانات المتشتتة، فتارة في ضمن قصة وحكاية وأخرى في ضمن تاريخ ونقل، وحينا بصراحة اللهجة، وحينا بالكناية والأمثال والرموز حتى يتمكن كل من النفوس المختلفة والقلوب المتشتتة من الاستفادة منها، وحيث أن هذا الكتاب الشريف لأجل سعادة جميع الطبقات وسلسلة البشر قاطبة، ويختلف هذا النوع الإنساني في حالات القلوب والعادات والأخلاق والأزمنة والأمكنة، ولا يمكن أن تكون دعوته على نحو واحد، فربّ نفوس لا تكون حاضرة لأخذ التعاليم بصراحة اللهجة وإلقاء أصل المطلوب بنحو ساذج ولا تتأثر بهذا النحو فلا بد أن تكون دعوة هؤلاء وفق كيفية تفكيرهم فيفهم إيّاهم المقصد، ورب نفوس لا شغل لها بالقصص والحكايات والتواريخ وإنما علاقتها بلبّ المطالب ولباب المقاصد فلا يوزن هؤلاء مع الطائفة الأولى بميزان واحد، وربّ قلوب تتناسب مع التخويف والإنذار وقلوب لها الإلفة مع الوعد والتبشير، فلهذه الجهة دعا الناس هذا الكتاب الشريف بالأقسام المختلفة والفنون المتعددة والطرق المتشتتة، والتكرار لمثل هذا الكتاب لازم وحتمي، والدعوة والموعظة من دون تكرار وتفنّن خارجة عن حد البلاغة، وما يتوقّع منها وهو التأثير في النفوس لا يحصل من دون تكرار ومع الوصف.

ففي هذا الكتاب الشريف حلاوة اتفاق القضايا على نحو لا يوجب تكرارها الكسالة في الإنسان بل هو في كل دفعة يكرّر أصل المطلب، يذكر فيه خصوصيات ولواحق ليست في غيره، بل في كل مرّة يركز النظر إلى نكتة مهمة عرفانية أو أخلاقية ويطيف المطلب حولها وبيان هذا المطلب يستلزم استقصاءات كاملة في القصص القرآنية، ولا يسع هذا المختصر، وفي أمل هذا الضعيف بلا مؤونة أن أؤلف بالتوفيق الإلهي وبالمقدار الميسور كتابا في خصوص القصص القرآنية وحلّ رموزها وكيفية التعليم والتربية فيها، وإن كان القيام بهذا الأمر من مثل الكاتب أمل لا ينال، وخيال باطل في الغاية.

وبالجملة، ذكر قصص الأنبياء عليهم السلام وكيفية سيرهم وسلوكهم وكيفية تربيتهم عباد الله ومواعظهم ومجادلاتهم الحسنة من أعظم أبواب المعارف والحكم، وأعلى أبواب السعادة والتعاليم قد فتحها الحق تعالى وجلّ مجده على عباده، فكما أن لأرباب المعرفة وأصحاب السلوك منها حظا وافرا ونصيبا كافيا كذلك لسواهم أيضا نصيب واف وسهم غير محدود. فمثلا أهل المعرفة يدركون من الكريمة الشريفة {فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا} (الأنعام - 76) إلى آخر الآيات كيفية سلوك إبراهيم عليه السلام، وسيره المعنوي، ويعلمون طريق السلوك إلى الله والسير إلى جنابة وحقيقة سير الأنفس والسلوك المعنوي من منتهى ظلمة الطبيعة التي عبّر عنها في ذلك المسلك ب (جنَّ عليه الليل) إلى إلقاء مطلق الإنّيّة والأنانية وترك النفسانية وعبادة النفس والوصول إلى مقام القدس والدخول في محفل الأنس. ووجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض. إلى آخر إشارة إلى ذلك في هذا المسلك، والسائرون يدركون منها السير الآفاقي وكيفية تربية خليل الرحمن أمّته وتعليمه إيّاهم. وعلى هذا المنوال سائر القصص والحكايات، مثل قصة آدم وإبراهيم وموسى ويوسف وعيسى وعلامات موسى مع الخضر، فإن استفادات أهل المعارف والرياضات والمجاهدات مع غيرهم متفاوتة.

ويدخل في هذا القسم، أو هو مقصد مستقل الحكم والمواعظ لذات الحق المقدسة حيث أنه بنفسه دعا

العباد بلسان قدرته فيما يناسب الدعوة، إما إلى المعارف الإلهية والتوحيد والتنزيه كالسورة المباركة التوحيد أو أواخر سورة الحشر وأوائل الحديد وسائر موارد الكتاب الشريف الإلهي، ولأصحاب القلوب والسوابق الحسنى من هذه القسمة حظوظ لا تحصى. فمثلا أصحاب المعارف يستفيدون من الكريمة المقدسة {وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلى اللّهِ} (النساء - 100). قرب النافلة والفريضة، وفي نفس الحال يستفيد السائرون الخروج بالبدن والهجرة مثلا إلى مكة أو إلى المدينة أو أن الحق تعالى دعا إلى تهذيب النفوس والرياضات الباطنية كالكريمة الشريفة {قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا *وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا} (الشمس 9- 10) إلى غير ذلك.. أو الدعوة إلى العمل الصالح كما هو معلوم، أو التحذير عن مقابلات كل من ذلك ويدخل في هذا القسم أيضا الحكم اللقمانية وحكم سائر الأجلّة والمؤمنين المذكورة في الموارد المختلفة في هذه الصحيفة الإلهية كقضايا أصحاب الكهف.

ومن مطالب هذه الصحيفة النورانية أحوال الكفار والجاحدين والمخالفين للحق والحقيقة والمعاندين للأنبياء والأولياء عليهم السلام وبيان كيفية عواقب أمورهم وكيفية بوارهم وهلاكهم كقضايا فرعون وقارون ونمرود وشدّاد وأصحاب الفيل وغيرهم من الكفرة والفجرة، ففي كل واحدة منها مواعظ وحكم بل معارف لأهله، وداخل في هذه القسمة أو أنها قسمة مستقلة قضايا غزوات رسول الله صلى الله عليه وآله فإن فيها أيضا مطالب شريفة مذكورة، منها كيفية مجاهدات أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله لإيقاظ المسلمين من نوم الغفلة وبعثهم للمجاهدة في سبيل الله وتنفيذ كلمة الحق وإماتة الباطل.

ومن مطالب القرآن الشريف بيان قوانين ظاهر الشريعة والآداب والسنن الإلهية، وقد ذكرت كلّيّاتها ومهماتها في هذا الكتاب النوراني والعمدة في هذا القسم الدعوة إلى أصول المطالب وضوابطها مثل باب الصلاة والزكاة والخمس والحج والصوم والجهاد والنكاح والإرث والقصاص والحدود

والتجارة وأمثالها , وحيث أن هذا القسم علم ظاهر الشريعة وعامّ المنفعة ومجعول لجميع الطبقات من حيث تعمير الدنيا والآخرة، وتستفيد كل طبقات الناس منه بمقداره. فالدعوة إليها كثيرة لهذه الجهة، وفي الأحاديث الشريفة والأخبار أيضا خصوصياتها وتفاصيلها إلى حدّ وافر وتصانيف علماء الشريعة في هذه القسمة أكثر وأعلى من سائر القسمات.

ومن مطالب القرآن الشريف: أحوال المعاد والبراهين لإثباته وكيفية العذاب والعقاب والجزاء والثواب وتفاصيل الجنة والنار والتعذيب والتنعيم. وقد ذكرت في هذه القسمة حالات أهل السعادة ودرجاتهم من أهل المعرفة والمقرّبين ومن أهل الرياضة والسالكين ومن أهل العبادة والناسكين. وكذلك حالات أهل الشقاوة ودرجاتهم من الكفار والمحجوبين والمنافقين والجاحدين وأهل المعصية والفاسقين. ولكن ما كان أكثر فائدة لحال العامة كان أكثر ذكرا وبصراحة اللهجة وما كان مفيدا لطبقة خاصة فقد ذكر بطريق الرمز والإشارة مثل رضوان الله الأكبر ، وآيات لقاء الله لتلك الطائفة، ومثل: {كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ} (المطففين - 15) للطائفة الأخرى. وقد ذكر هذا القسم أي في قسم تفصيل المعاد والرجوع إلى الله معارف لا تحصى وأسرار صعبة مستصعبة لا يمكن الاطّلاع على كيفيّتها إلاَّ بالسلوك البرهاني أو النور العرفاني.

ومن مطالب هذه الصحيفة الإلهية كيفية الاحتجاجات والبراهين التي أقامتها الذات المقدسة الحق تعالى بنفسه لإثبات المطالب الحقة والمعارف الإلهية مثل الاحتجاج على إثبات الحق والتوحيد والتنزيه والعلم والقدرة وسائر الأوصاف الكمالية، وقد توجد في هذه القسمة براهين دقيقة يستفيد أهل المعرفة منها استفادة كاملة مثل: {شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ} (آل عمران- 18) . وقد توجد براهين يستفيد الحكماء والعلماء منها على نحو ويستفيد أهل الظاهر وعامة الناس على نحو آخر، ككريمة {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} (الأنبياء-22) ومثل كريمة {إِذًا لَّذَهَبَ

كُلُّ إِلَـهٍ بِمَا خَلَقَ} (المؤمنون - 91). ومثل آيات أول سورة الحديد والسورة المباركة التوحيد وغيرها، والاحتجاج على إثبات ملائكة الله والأنبياء العظام الموجودة في موارد مختلفة من هذا الكتاب الشريف.

هذه حال احتجاجات نفس الذات المقدسة وإما أن الحق تعالى نقل براهين الأنبياء والعلماء على إثبات المعارف مثل احتجاجات خليل الرحمن سلام الله عليه وغيره.

هذه مهمّات مطالب هذا الكتاب.. وإلا فالمطالب المتفرقة الأخرى أيضا موجودة ويستلزم إحصاؤها وقتا كافيا.

الفصل الثالث

في بيان طريق الاستفادة من القرآن الكريم

فإذا علمت الآن مقاصد هذه الصحيفة الإلهية ومطالبها فلا بد لك أن تلفت النظر إلى مطلب مهم يكشف لك بالتوجّه إليه طريق الاستفادة من الكتاب الشريف، وتنفتح على قلبك أبواب المعارف والحكم وهو أن يكون نظرك إلى الكتاب الشريف الإلهي نظر التعليم، وتراه كتاب التعليم والإفادة وترى نفسك موظفة على التعلّم والإفادة والاستفادة، وليس مقصودنا من التعليم والتعلم والإفادة والاستفادة أن تتعلم منه الجهات الأدبية والنحو والصرف أو تأخذ منه الفصاحة والبلاغة والنكات البيانية والبديعية، أو تنظر في قصصه وحكاياته بالنظر التاريخي والاطّلاع على الأمم السالفة، فانه ليس شيء من هذه داخلا في مقاصد القرآن، وهو بعيد عن المنظور الأصلي للكتاب الإلهي بمراحل والذي أوجب أن تكون استفادتنا من هذا الكتاب العظيم بأقل من القليل هو هذا المعنى. فأما إلاَّ ننظر إليه نظر التعليم والتعلّم كما هو الغالب علينا، ونقرأ القرآن للثواب والأجر فقط ولهذا لا نعتني بغير جهة تجويده، ونريد أن نقرأه صحيحا حتى يعطي لنا الثواب ونحن واقفون في هذا الحد وقانعون بهذا الأمر ، ولذا نقرأ القرآن أربعين سنة ولا تحصل الاستفادة منه بوجه إلاَّ الأجر وثواب القراءة. وأما أن نشتغل إن كان نظرنا التعليم والتعلّم بالنكات البديعيّة والبيانية ووجوه إعجازه، وأعلى من هذا بقليل فإلى الجهات التاريخية وسبب نزول الآيات وأوقات النزول، وكون الآيات والسور مكية أو مدنية، واختلاف القراءات واختلاف المفسرين من العامة والخاصة وسائر الأمور العرضية الخارجة عن المقصد بحيث تكون هذه الأمور نفسها موجبة للاحتجاب عن القرآن والغفلة عن الذكر الإلهي بل إن مفسّرينا العظام أيضا صرفوا عمدة همّهم في إحدى هذه الجهات أو أكثر ولم يفتحوا باب التعليمات على الناس. وبعقيدتي أنا الكاتب لم

يُكتب إلى الآن التفسير لكتاب الله لان معنى التفسير على نحو كلّي هو أن يكون شارحا لمقاصد الكتاب المفسّر ويكون مهمّ النظر إلى بيان منظور صاحب الكتاب. فهذا الكتاب الشريف الذي هو بشهادة من الله تعالى كتاب الهداية والتعليم ونور طريق سلوك الإنسانية، يلزم للمفسّر أن يعلّم للمتعلم في كل قصّة من قصصه بل في كل آية من آياته جهة الاهتداء إلى عالم الغيب وحيثية الهداية إلى طريق السعادة، وسلوك طريق المعرفة والإنسانية.

فالمفسر إذا فهّم لنا المقصد من النزول فهو مفسّر سبب النزول كما هو في التفاسير، ففي قصة آدم وحواء أو قضاياهما مع إبليس من ابتداء خلقهما إلى ورودهما في الأرض، وقد ذكرها الحق تعالى مكررة في كتابه. كم من المعارف والمواعظ مذكورة فيها ومرموز إليها. وكم فيها من معايب النفس وكمالاتها ومعارفها وأخلاق إبليس موجودة فيها نتعرف عليها ونحن عنه غافلون.

وبالجملة، كتاب الله هو كتاب المعرفة والأخلاق والدعوة إلى السعادة والكمال، فكتاب التفسير أيضا لا بد وأن يكون كتابا عرفانيا وأخلاقيا ومبيّنا للجهات العرفانية والأخلاقية وسائر جهات الدعوة إلى السعادة التي في القرآن. فالمفسّر الذي يغفل عن هذه الجهة أو يصرف عنها النظر أو لا يهتم بها فقد غفل عن مقصود القرآن والمنظور الأصلي لإنزال الكتب وإرسال الرسل. وهذا هو الخطأ الذي حرم الملّة الإسلامية منذ قرون من الاستفادة من القرآن الشريف وسدّ طريق الهداية على الناس، فلا بد لنا أن نأخذ المقصود من تنزيل هذا الكتاب من نفس هذا الكتاب مع قطع النظر عن الجهات العقلية البرهانية التي تفهمنا المقصد، فمصنف الكتاب أعرَف بمقصده. فالآن إذا نظرنا إلى ما قال هذا المصنف فيما يرجع إلى شؤون القرآن، نرى أنه يقول {ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} (البقرة - 2).

فعرّف هذا الكتاب كتاب الهداية، نرى أنه في سورة قصيرة كرّر مرّات عديدة {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ} (القمر - 17). نرى أنه يقول {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ

إلَـيْهِمْ وَلَـعَلَّهُمْ يَـتَفَـكَّرُونَ} (الـنحل - 44). ونـرى أنـه يقـول {كِتَـابٌ أَنـزَلْـنَـاهُ إِلَـيْكَ مُبَـارَكٌ لِّـيَدَّبَّـرُوا آيَـاتِـهِ وَلِـيَتَذَكَّرَ أُوْلُـوا الْـأَلْـبَابِ} (ص - 29)، إلى غير ذلك من الآيات الشريفة التي يطول ذكرها.

وبالجملة، ليس مقصودنا من هذا البيان الانتقاد للتفاسير فإن كل واحد من المفسرين تحمّل المشاق الكثيرة والأتعاب التي لا نهاية لها حتى صنف كتابا شريفا، فلله درّهم وعلى الله أجرهم، بل مقصودنا هو أنه لا بد وأن يفتح للناس طريق الاستفادة من هذا الكتاب الشريف الذي هو الكتاب الوحيد في السلوك إلى الله والكتاب الأحدي في تهذيب النفوس والآداب والسنن الإلهية، وأعظم وسيلة للربط بين الخالق والمخلوق والعروة الوثقى والحبل المتين للتمسّك بعزّ الربوبية فعلى العلماء والمفسرين أن يكتبوا التفاسير فارسية وعربية وليكن مقصودهم وليكن مقصودهم بيان التعاليم والمقررات العرفانية والأخلاقية وبيان كيفية ربط المخلوق بالخالق، وبيان الهجرة من دار الغرور إلى دار السرور والخلود على نحو ما أودعت في هذا الكتاب الشريف، فصاحب هذا الكتاب ليس هو السكاكي (هو أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد الخوارزمي المعتزلي الحنفي الملقب سراج الدين السكاكي صاحب كتاب مفتاح العلوم الذي لخّص القسم الثالث منه خطيب دمشق وشرحه التفتازاني بالمطوّل والمختصر توفي سنة 726 (خكو) والشيخ (والشيخ هو أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي عماد الشيعة ورافع أعلام الشريعة شيخ الطائفة على الإطلاق ورئيسها الذي تلوى إليه الأعناق صنّف في جميع علوم الإسلام وكان القدوة في ذلك والإمام تتلمذ على الشيخ المفيد والسيد المرتضى وكان فضلاء تلامذته الذين كانوا مجتهدين وأهل الاقتداء يزيدون على ثلاثمئة من الخاصة والعامة ولد (رحمه الله) في شهر رمضان سنة 385 بعد وفاة السيد الرضى بسنتين وكان ببغداد ثم هاجر إلى مشهد أمير المؤمنين عليه السلام خوفا من الفتنة التي تجدّدت ببغداد وأحرقت كتبه وكرسي كان يجلس عليه للكلام فيكلم عليه الخاص والعام

وكان ذلك الكرسي ممّا أعطته الخلفاء وكان ذلك لوحيد العصر فكان مقامه في بغداد مع الشيخ المفيد (رحمه الله) نحوا من خمس سنين ومع السيد المرتضى نحوا من ثمان وعشرين سنة وبقي بعد السيد أربعا وعشرين سنة، اثنتا عشرة سنة منها في بغداد ثم انتقل إلى النجف الأشرف وبقي هناك إلى أن توفي ليلة الاثنين الثاني والعشرين من شهر المحرم سنة 460 (تس) وكان مدة عمره الشريف خمسا وسبعين سنة ودفن في داره وقبره الآن معروف في المسجد الموسوم بالمسجد الطوسي.

وأمّا مصنفاته الشريفة في علوم الإسلام فهي لشهرتها تغنينا عن إيرادها والتفسير الذي أشار إليه الإمام الخميني هو البيان الجامع لعلوم القرآن وهو كتاب جليل عديم النظير في التفاسير وشيخنا الطبرسي في تفسيره من بحره يغترف وفي صدر كتابه بذلك يعترف فعليه رضوان الله الخبير اللطيف) فيكون مقصده جهات البلاغة والفصاحة وليس هو سيبويه (وسيبويه هو أبو الحسن أو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي البيضاوي العراقي البصري النحوي المشتهر كلامه وكتابه في الآفاق الذي قال في حقه العلامة الطباطبائي بحر العلوم رحمه الله تعالى ان المتقدمين والمتأخرين وجميع الناس في النحو عيال عليه أخذ عن الخليل بن أحمد النحوي المعروف الذي ذكره الإمام في المتن ويونس والأخفش وعيسى بن عمر ولكن جميع حكاياته عن الخليل وقد كثرت كلمات علماء النحو في مدح كتابه المسمى الكتاب ولهم عليه شروح وتعليقات وردود نشأت من اعتنائهم واشتغالهم به وقصة وروده بغداد ومناظرته مع الكسائي معروفة قالوا توفى حدود سنة 180 (قف) وقبره في شيراز، وقال ابن شحنة الحنفي في روضة المناظر قال أبو الفرج ابن الجوزي توفي سيبويه سنة 194 (قصد) وعمره اثنان وثلاثون عاما بمدينة ساوه وذكر خطيب بغداد عن ابن دريد أن سيبويه توفي بشيراز بمدينة ساوه وقبره بها. (انتهي).

وكان شابا نظيفا جميلا ابيض مشربا بحمرة كأن خدوده لون التفاح ولذلك يقال سيبويه لأن التفاح بالفارسية سيب أو لأنه كان يعتاد شم

التفاح أو كان يشم منه رائحته أقول وعلى الوجهين الأخيرين فالأنسب أن يكون اسمه سيبويه بضم الباء وسكون الواو وفتح الياء) والخليل حتى يكون منظوره جهات النحو والصرف، وليس المسعودي (شيخ المؤرخين وعمادهم أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي الهذلي العالم الجليل الألمعي ذكره العلامة وقال له كتاب في الإمامة وغيرها منها كتاب إثبات الوصية لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو صاحب مروج الذهب (انتهى).

حكى أنه نشأ في بغداد وساح في البلاد فطاف فارس وكرمان سنة 309 وقصد الهند إلى ملتان وعطف إلى كنباية فسرنديب ثم ركب البحر إلى بلاد الصين وطاف البحر الهندي وعاد إلى عمّان ورحل رحلة أخرى سنة 314 إلى ما وراء أذربيجان وجرجان ثم إلى الشام وفلسطين وكان يسكن مصر تارة والشام أخرى ومن سنة 336 إلى 344 أقام بالفسطاط له كتاب أخبار الزمان ومن أباده الحدثان في ثلاثين مجلّدا لا يوجد منه إلاّ جزء واحد وله أيضا ذخائر العلوم وما كان في سالف الدهور وكتاب في أخبار الأمم من العرب والعجم وكتاب المقالات في أصول الديانات وكتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر وقيل انه بقي إلى سنة 345 (شمه)) وابن خلكان (ابن خلّكان هو أبو العباس احمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلّكان الأربلي البرمكي الشافعي صاحب كتاب التاريخ المشهور الموسوم بوفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان الذي تعرض فيه لذكر المشاهير من التابعين ومن بعدهم إلى زمان نفسه يشتمل على 864 ترجمة ولم يذكر فيه الصحابة وقد ذيّله صلاح الدين الصفدي بمجلّدات تدارك فيها ما قد فاته من الوفيات سّماها الوافي بالوفيات قيل في وجه تسمية جدّ بن خلكان بخلكان انه كان يوما يفاخر أقرانه ويفتخر بآبائه من آل برمك فقيل له خلّ كان أبي كذا ودع جدّي كذا ونسبي كذا وحدّثنا عمّا يكون في نفسك الآن كما قال الشاعر:

إن الفتى من يقول ها أنا ذا   ليس الفتى من يقول كان أبي

فعلى هذا يكون خلّكان بفتح الخاء وتشديد اللّام المكسورة) حتى يبحث حول تاريخ العالم. هذا الكتاب ليس كعصا موسى ويده البيضاء أو نفس عيسي الذي يحيي الموتى فيكون للإعجاز فقط وللدّلالة على صدق النبي الأكرم بل هذه الصحيفة الإلهية كتاب إحياء القلوب بالحياة الأبدية العلمية والمعارف الإلهية، هذا كتاب الله ويدعو إلى الشؤون الإلهية جلّ وعلا. فالمفسّر لابد وأن يعلم الشؤون الإلهية ويرجع الناس إلى تفسيره لتعلّم الشؤون الإلهية حتى تتحصل الاستفادة منه {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَاراً } (الإسراء - 82). فأي خسران أعظم من أن نقرأ الكتاب الإلهي منذ ثلاثين أو أربعين سنة ونراجع التفاسير ونحرم مقاصده، {رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (الأعراف - 23).

الفصل الرابع

في بيان رفع الموانع والحجب بين المستفيد والقرآن

فإذا علمت الآن عظمة كتاب الله من جميع الجهات المقتضية للعظمة وانفتح طريق استفادة المطالب منه فاللازم على المتعلم والمستفيد من كتاب الله ان يجزي أدبا آخر من الآداب المهمة حتى تحصل الاستفادة وهو رفع موانع الاستفادة، ونحن نعبّر عنها بالحجب بين المستفيد والقرآن، وهذه الحجب كثيرة نشير إلى بعضها:

من الحجب العظيمة حجاب رؤية النفس، فيرى المتعلم نفسه بواسطة هذا الحجاب مستغنية أو غير محتاجة للاستفادة وهذا من المكائد الأصلية المهمة للشيطان حيث أنه يزيّن للإنسان دائما الكمالات الموهومة ويرضي الإنسان ويقنعه بما فيه ويسقط من عينه كل شيء سوى ما عنده، مثلا يقنّع أهل التجويد بذاك العلم الجزئي ويزيّنه في أعينهم إلى حدّ يسقط سائر العلوم عن أعينهم ويطبّق في نظرهم حملة القرآن عليهم ويحرمهم من فهم الكتاب النوراني الإلهي والاستفادة منه، ويرضي أصحاب الأدب بتلك الصورة بلا لبّ ويمثّل جميع شؤون القرآن فيما هو عندهم، ويشغل أهل التفاسير المتعارفة بوجوه القراءات والآراء المختلفة لأرباب اللغة ووقت النزول وشأن النزول وكون الآيات مكية أو مدنية وتعدادها وتعداد الحروف وأمثال تلك الأمور. ويقنع أهل العلوم أيضا بعلم فنون الدلالات فقط ووجوه الاحتجاجات وأمثالها حتى أنه يحبس الفيلسوف والحكيم والعارف الاصطلاحي في الغليظ من حجاب الاصطلاحات والمفاهيم وأمثال ذلك. فعلى المستفيد أن يخرق جميع الحجب هذه وينظر إلى القرآن من ورائها، ولا يتوقف في شيء من هذه الحجب ولا يتأخر عن قافلة السالكين ولا يحرم من الدعوات الحلوة الإلهية، ويستفاد عدم الوقوف وعدم القناعة إلى حدّ معين من نفس القرآن.

والإشارة إلى هذا المعنى كثيرة في القصص القرآنية، فموسى الكليم مع ما له من المقام

العظيم في النبوّة ما اقتنع بذلك المقام وما توقف في مقام علمه الشامخ، وبمجرد أن لاقى شخصا كاملا كالخضر قال له بكل تواضعٍ وخضوع: {هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا} (الكهف - 66) وصار ملازما لخدمته حتى أخذ منه العلوم التي لابد من أخذها.

وإبراهيم عليه السلام لم يقتنع بمقام شامخ الإيمان والعلم الخاص للأنبياء فقال: {رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى} (البقرة - 260). فأراد أن يرتقي مَن الإيمان القلبي إلى مقام الاطمئنان الشهودي وأعظم من ذلك أن الله تبارك وتعالى يأمر نبيّه الخاتم وهو أعرف خلق الله بالكريمة الشريفة {وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا} (طه - 114). فهذه الأوامر في الكتاب الإلهي ونقل هذه القصص لان نتنبّه ونستيقظ من نوم الغفلة.

ومن الحجب: حجاب الآراء الفاسدة والمسالك والمذاهب الباطلة، وهذا قد يكون من سوء استعداد الشخص والأغلب انه يوجد من التبعية والتقليد. وهذا من الحجب التي حجبتنا بالأخص عن معارف القرآن مثلا إذا رسخ في قلوبنا اعتقاد بمجرّد الاستماع من الأب أو الأم أو من بعض جهلة أهل المنبر تكون هذه العقيدة حاجبة بيننا وبين الآيات الشريفة الإلهية. فإن وردت آلاف من الآيات والروايات تخالف تلك العقيدة، فإمّا أن نصرفها عن ظاهرها أو أن إلاَّ ننظر فيها نظر الفهم والأمثال لذلك فيما يرجع إلى العقائد والمعارف كثيرة ولكنّي أكفّ نفسي عن عدّها لأني أعلم بأن هذا الحجاب لا يخترق بكلام مثلي، ولكن أشير إلى واحد منها حيث أنه سهل المأخذ في الجملة.

قد وردت الآيات الكثيرة الراجعة إلى لقاء الله ومعرفة الله، ووردت روايات كثيرة في هذا الموضوع مع كثير من الإشارات والكنايات والصراحات في الأدعية والمناجاة للائمة عليهم السلام. فبمجرّد ما نشأت عقيدة في هذا الميدان من العوام وانتشرت بأن طريق معرفة الله مسدود بالكلّية فيقيسون باب معرفة الله ومشاهدة جماله على باب التفكر في الذات على الوجه الممنوع بل الممتنع، فأمّا أن يؤوّلوا ويوجّهوا تلك الآيات والروايات،

وكذلك الإشارات والكنايات والصراحات في أدعية الأئمة ومناجاتهم، وأمّا إلاّ يدخلوا في هذا الميدان أصلا ولا يعرّفوا أنفسهم بالمعارف التي هي قرّة العين للأنبياء والأولياء ، فممّا يوجب الأسف الشديد لأهل الله أن بابا من المعرفة الذي يمكن أن يقال أنه غاية بعثة الأنبياء ومنتهى مطلوب الأولياء قد سدّوه على الناس بحيث يعدّ التفوّه به محض الكفر وصرف الزندقة إنّ هؤلاء يرون معارف الأنبياء والأولياء في ما يختص بذات الحق تعالى وأسمائه وصفاته مساوية لمعارف العوام والنساء فيه، بل يظهر من هؤلاء أحيانا ما هو أعظم من ذلك فيقول أحدهم: أن لفلان عقائد عامية حسنة فيا ليت لنا مثلما له من العقيدة العامية.. وهذا الكلام منه صحيح لان هذا المسكين الذي يتفوّه بهذا الكلام قد أخرج من يده العقائد العامية ويرى معارف الخواص وأهل الله باطلة، فهذا التمنّي منه عينا كتمني الكفار. وقد نقل عنهم في الكريمة الإلهية {وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا} (النبأ - 40). ونحن إن أردنا أن نذكر الآيات والأخبار في لقاء الله بتفاصيلها حتى تتضح فضاحة هذه العقيدة الفاسدة الناشئة عن الجهل والغرور الشيطاني، فيستلزم ذلك كتابا على حدة فضلا من أن نذكر المعارف التي وقعت وراء ستر النسيان بواسطة هذا الحجاب الغليظ حتى يعلم أن أحد مراتب المهجورية من القرآن, ومهجورية القرآن ولعلّ الأسف عليها أشدّ هو هذه كما يقول تعالى في الكريمة الشريفة:{وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا} (الفرقان - 30).

إن مهجورية القرآن لها مراتب كثيرة ومنازل لا تحصى، ولعلنا متصفون بالعمدة منها. أترى أننا إذا جلّدنا هذه الصحيفة الإلهية جلدا نظيفا وقيّما وعند قراءتها أو الاستخارة بها قبّلناها ووضعناها على أعيننا ما اتخذناه مهجورا ؟ أترى إذا صرفنا غالب عمرنا في تجويده وجاته اللغوية والبيانية والبديعية قد أخرجنا هذا الكتاب الشريف عن المهجورية ؟ هل إننا إذا تعلّمنا القراءات المختلفة وأمثالها قد تخلّصنا من عار هجران القرآن ؟ هل إننا إذا تعلمنا وجوه

إعجاز القرآن وفنون محسّناته قد تخلّصنا عن شكوى رسول الله ؟ هيهات.. فإنه ليس شيء من هذه الأمور موردا لنظر القرآن ومنزّلها العظيم الشأن، إن القرآن كتاب إلهي وفيه الشؤون الإلهية. القرآن هو الحبل المتصل بين الخالق والمخلوق ولا بد أن يوجد الربط المعنوي والارتباط الغيبي بتعليماته بين عباد الله ومربّيهم، ولا بد أن يحصل من القرآن العلوم الإلهية والمعارف اللدنيّة، إن رسول صلى الله عليه وآله قال حسب ما رواه الكافي " إنما العلم ثلاثة: آية محكمة وفريضة عادلة وسنّة قائمة ". فالقرآن الشريف حامل لهذه العلوم فإن تعلمنا من القرآن هذه العلوم فما اتّخذناه مهجورا، وإذا قبلنا دعوات القرآن وأخذنا التعليمات من قصص الأنبياء عليهم السلام المشحونة بالمواعظ والمعارف والحكم، إذا اتعظنا نحن من مواعظ الله تعالى ومواعظ الأنبياء والحكماء المذكورة في القرآن فما اتّخذناه مهجورا، وإلا فالغور في الصورة الظاهرية للقرآن أيضا إخلاد إلى الأرض ومن وساوس الشيطان ولا بد من الاستعاذة بالله منها.

ومن الحجب المانعة من الاستفادة من هذه الصحيفة النورانية: الاعتقاد بأنه ليس لأحد حق الاستفادة من القرآن الشريف إلاّ بما كتبه المفسّرون أو فهموه. وقد اشتبه على الناس التفكر والتدبّر في الآيات الشريفة بالتفسير بالرأي الممنوع، وبواسطة هذا الرأي الفاسد والعقيدة الباطلة جعلوا القرآن عاريا من جميع فنون الاستفادة واتخذوه مهجورا بالكلية في حال أن الإستفادات الأخلاقية والإيمانية والعرفانية لا ربط لها بالتفسير، فكيف بالتفسير بالرأي، فمثلا إذا استفاد احد من كيفية مذاكرات موسى مع الخضر وكيفية معاشرتهما وشدّ موسى رحاله إليه مع ما له من عظمة مقام النبوّة لأخذ العلم الذي ليس موجودا عنده وكيفية عرض حاجته إلى الخضر كما ذكرت في الكريمة الشريفة: {هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا } (الكهف - 66). وكيفية جواب الخضر والاعتذارات التي وقعت من موسى عظمة مقام العلم وآداب سلوك المتعلم، مع المعلّم

ولعلها تبلغ من الآيات المذكورة إلى عشرين أدبا فأي ربط لهذه الإستفادات بالتفسير فضلا من أن تكون تفسيرا بالرأي والاستفادة من هذا القبيل في القرآن كثيرة، ففي المعارف مثلا إذا استفاد أحد من قوله تعالى {الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (الفاتحة - 1) الذي حصر جميع المحامد لله، وخصّ جميع الاثنية للحق تعالى التوحيد الأفعالي وقال بأنه يستفاد من الآية الشريفة أن كل كمال وجمال وكلّ عزّة وجلال الموجودة في العالم وتنسبها العين الحولاء والقلب المحجوب إلى الموجودات من الحق تعالى وليس لموجود من قبل نفسه شيء، ولذا المحمدة والثناء خاص بالحق ولا يشاركه فيها أحد، فأيّ ربط لهذا إلى التفسير حتى يسمّى بالتفسير بالرأي أو لا يسمى ؟ إلى غير ذلك من الأمور التي تستفاد من لوازم الكلام ولا ربط لها بوجه إلى التفسير، مضافا إلى أن في التفسير بالرأي أيضا كلاما لعلة غير مربوط بآيات المعارف والعلوم العقلية التي توافق الموازين البرهانية وبالآيات الأخلاقية التي فيها للعقل دخل، لان التفاسير التي من هذا القبيل مطابقة للبرهان المتين العقلي أو الاعتبارات العقلية الواضحة، فإذا كان ظاهر الكلام على خلافها فاللازم أن يصرف الكلام من ظاهره، مثلا في كريمة {وَجَاء رَبُّكَ} (الفجر - 22) و {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} (طه - 5). التي يكون الفهم العرفي فيها مخالفا للبرهان ليس تفسيرا بالرأي ولا يكون ممنوعا بوجه فمن المحتمل بل من المظنون أن التفسير بالرأي راجع إلى آيات الأحكام التي تقصر عنها أيدي الآراء والعقول، ولابد وأن تؤخذ بصرف التعبّد والانقياد من خزّان الوحي ومهابط ملائكة الله، كما أن أكثر الروايات في هذا الباب وردت في مقابل علماء العامة الذين كانوا يريدون أن يفهموا دين الله بعقولهم ومقايساتهم، وما في بعض الروايات الشريفة من أنه ليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن..وكذلك الرواية الشريفة " إن دين الله لا يصاب بالعقول " تشهد بأن المقصود من دين الله الأحكام التعبّديّة للدين وإلا فباب إثبات الصانع والتوحيد والتقديس وإثبات المعاد والنبوّة بل مطلق المعارف حقٌ طلق

للعقول، ومن مختصاتها و إن ورد في كلام بعض المحدثين من ذوي المقام العالي أن الاعتماد في إثبات التوحيد على الدليل النقلي، فمن غرائب الأمور بل من المصيبات التي لابد أن يستعاذ بالله منها. ولا يحتاج هذا الكلام إلى التهجين والتوهين و إلى الله المشتكى.

ومن الحجب المانعة من فهم القرآن الشريف، ومن الاستفادة من معارف هذا الكتاب السماوي وموعظة حجاب المعاصي والكدورات الحاصلة من الطغيان والعصيان بالنسبة إلى ساحة رب العالمين المقدسة فتحجب القلب عن إدراك الحقائق.

وليعلم كما أن لكل عمل من الأعمال الصالحة أو السيئة كما أن له صورة في عالم الملكوت تتناسب معه فله صورة أيضا في ملكوت النفس، فتحصل بواسطتها في ملكوت النفس: إمّا النورانية ويكون القلب مطهّرا ومنوّرا وفي هذه الحالة تكون النفس كالمرآة المصقولة صافية، ويليق للتجليات الغيبية وظهور الحقائق والمعارف فيه، وإمّا أن يصير ملكوت النفس به ظلمانياً وخبيثاً، وفي هذه الصورة يكون القلب كالمرآة المريّنة والمدنّسة لا تنعكس فيها المعارف الإلهية ولا الحقائق الغيبية، وحيث أن القلب في هذه الحالة يقع بالتدريج تحت سلطة الشيطان ويكون المتصرف في مملكة الروح إبليس فيقع السمع والبصر وسائر القوى أيضا في تصرف ذاك الخبيث، وينسد السمع بالكلية عن المعارف والمواعظ الإلهية، ولا ترى العين الآيات الباهرة الإلهية وتعمى عن الحق وآثاره وآياته ولا يتفقّه القلب في الدين ويحرم من التفكر في الآيات والبيّنات وتذكر الحق والأسماء والصفات، كما قال الحق تعالى {لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ} (الأعراف - 179) . فيكون نظرهم إلى العالم كنظر الأنعام والحيوانات الخالية عن الاعتبار والتدبّر، وقلوبهم كقلوب الحيوانات لا نصيب لها من التفكر والتذكّر، بل تكون حالة الغفلة والاستكبار تزداد فيهم يوما فيوم من النظر في الآيات واستماع المواعظ، فهم أرذل وأضّل من الحيوان.

ومن الحجب الغليظة التي هي ستر صفيق بيننا وبين معارف القرآن ومواعظه: حجاب حبّ الدنيا، فيصرف القلب بواسطة تمام همّته في الدنيا وتكون وجهة القلب تماما إلى الدنيا ويغفل القلب بواسطة هذه المحبة عن ذكر الله، ويعرض عن الذكر والمذكور، وكلما ازدادت العلاقة بالدنيا وأوضاعها ازداد حجاب القلب وساتر ضخامة، وربما تغلب هذه العلاقة على القلب ويتسلّط سلطان حب الجاه والشرف على القلب بحيث يطفئ نور فطرة الله بالكليّة وتغلق أبواب السعادة على الإنسان، ولعل المراد من إقفال القلوب المذكورة في الآية الشريفة {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} (محمد - 24). هذه الأقفال وأغلال العلائق الدنيوية، ومن أراد أن يستفيد من القرآن ويأخذ نصيبه من المواعظ الإلهية لابدّ وأن يطهّر القلب من هذه الأرجاس، ويزيل لوث المعاصي القلبية وهي الاشتغال بالغير عن القلب لان غير المطهّر ليس محرما لهذا الأسرار قال تعالى: {إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ} الواقعة 77- 78). فكما أن غير المطهّر الظاهري ممنوع عن ظاهر هذا الكتاب ومسّه في العالم الظاهر تشريعا وتكليفا، كذلك ممنوع من معارفه ومواعظه وباطنه وسرّه من كان قلبه متلوثا بأرجاس التعلّقات الدنيوية، وقال تعالى: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} (البقرة - 2) إلى آخر الآية. فغير المتقي بحسب تقوى العامة وغير المؤمن بحسب إيمان العامة محروم من الأنوار الصورية لمواعظه وعقائده الحقة، وغير المتقي وغير المؤمن بحسب سائر مراتب التقوى الخاص وتقوى خاص الخاص وتقوى أخصّ الخواص محروم من سائر مراتبها. والتفصيل حول تلك المراتب وذكر سائر الآيات الدالة على المقصود موجب للتطويل، ولكن نختتم هذا الفصل بذكر آية شريفة إلهية تكفي لأهل اليقظة بشرط التدبّر، قال تبارك وتعالى: {قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ 15 يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ

إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } (المائدة 15- 16) .
فخصوصيات هذه الآية الشريفة كثيرة، والبيان حول نكاتها يستلزم رسالة على حدة ليس الان مجالها.

الفصل الخامس

في التفكّر

من آداب قراءة القرآن حضور القلب، وقد ذكرناه في الآداب المطلقة للعبادات في هذه الرسالة ولا يلزم اعادته، ومن الآداب المهمة لها: التفكر، والمقصود من التفكر أن يتجسس من الآيات الشريفة المقصد والمقصود، وحيث أن مقصد القرآن كما تقوله نفس الصحيفة النورانية هو الهداية إلى سبل السلام والخروج من جميع مراتب الظلمات إلى عالم النور، والهداية إلى طريق مستقيم فلا بد أن يحصّل الإنسان بالتفكر في الآيات الشريفة مراتب السلامة من المرتبة الدانية والراجعة إلى القوى الملكية إلى منتهى النهاية فيها وهي حقيقة القلب السليم على ما ورد تفسيره عن أهل البيت وهو أن يلاقي الحق وليس فيه غيره وتكون سلامة القوى الملكية والملكوتية ضالة قارئ القرآن فإنها موجودة في هذا الكتاب السماوي ولا بد أن يستخرجها بالتفكر، وإذا صارت القوى الانسانية سالمة عن التصرّف الشيطاني وتحصّل طرق السلامة وعمل بها ففي كل مرتبة من السلامة تحصل له ينجو من ظلمة ويتجلى فيه النور الساطع الالهي قهرا حتى اذا خلص عن جميع أنواع الظلمات التي أولها ظلمات عالم الطبيعة بجميع شؤونها وآخرها ظلمة التوجّه إلى الكثرة بتمام شؤونها يتجلى النور المطلق في قلبه ويهديه إلى طريق الانسانية المستقيم وهو في هذا المقام طريق الربّ {إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} (هود -56) .
وقد كثرت الدعوَة إلى التفكر وتمجيده وتحسينه في القرآن الشريف قال تعالى: {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} (النحل - 44) . وفي هذه الآية مدح عظيم للتفكر،

لان غاية انزال الكتاب العظيم السماوي
والصحيفة العظيمة النورانية قد جعلت احتمال
التفكر وهذا من شدّة الاعتناء به حيث أن مجرد
احتماله صار موجبا لهذه الكرامة العظيمة، وقال
تعالى في الآية الاخرى: { فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ
يَتَفَكَّرُونَ} (الأعراف - 176).
والآيات من هذا القبيل أو ما يقرب منه كثيرة
والروايات ايضا في التفكر كثيرة. فقد نقل عن
الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم انه لما
نزلت الآية الشريفة {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ
وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ} (آل عمران
- 190) إلى آخرها.. قال صلى الله عليه وآله:
"ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها".
والعمدة في هذا الباب ان يفهم الإنسان ما هو
التفكر الممدوح، وإلا لا شك في أن التفكر ممدوح في
القرآن والحديث، فأحسن التعبير فيه ما عبّر به
الخواجة عبد الله الأنصاري قال: اعلم ان التفكّر
تلمّس البصيرة لاستدراك البغية، يعني أن التفكر
هو تجسّس البصيرة وهي بصر القلب للوصول إلى
المقصود والمقصود هو السعادة المطلقة التي تحصل
بالكمال العلمي أو العملي فلا بد للإنسان أن
يتحصل على المقصود والنتيجة الانسانية وهي
السعادة في الآيات الشريفة للكتاب الالهي وفي قصصه
وحكاياته وحيث أن السعادة هي الوصول إلى
السلامة المطلقة وعالم النور والطريق المستقيم فلا
بد للإنسان أن يطلب من القرآن المجيد الشريف سبل
السلامة ومعدن النور المطلق والطريق المستقيمة
كما أشير اليها في الآية الشريفة السابقة، فإذا
وجد القارئ المقصد وتبصّر في تحصيله وانفتح له
طريق الاستفادة من القرآن الشريف وفتحت له
أبواب رحمة الحق فإنه لا يصرف عمره القصير العزيز
ورأس مال تحصيل سعادته على أمور ليست مقصودة
لرسالة الرسول صلى الله عليه وآله ويكف عن فضول
البحث وفضول الكلام، في مثل هذا الامر المهم فإذا
أشخص بصيرته مدّة إلى هذا المقصود وصرف نظره عن
سائر الامور تتبصّر عين قلبه ويكون بصره حديدا
ويكون التفكر في القرآن للنفس أمرا عاديا
وتنفتح طرق الاستفادة وتفتح له أبواب ليست

مفتوحة له إلى الان، ويستفيد مطالب ومعارف من القرآن ما كان يستفيدها إلى الان بوجه، فحين ذاك يفهم كون القرآن شفاء للأمراض القلبية، ويدرك مفاد الآية الشريفة {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَارًا} (الإسراء - 82) ومعنى قول أمير المؤمنين صلوات الله عليه " وتعلموا القرآن فانه ربيع القلوب واستشفعوا بنوره فإنه شفاء الصدور " ولا يطلب من القرآن شفاء الامراض الجسمانية فقط بل يجعل عمدة المقصد شفاء الامراض الروحانية الذي هو مقصد القرآن بل القرآن ما نزل لشفاء الامراض الجسمانية وان كان يحصل به كما أن الأنبياء عليهم السلام لم يبعثوا للشفاء الجسماني وان كانوا يشفون فهم أطباء النفوس والشافين للقلوب والأرواح.

الفصل السادس

في التطبيق

من الآداب المهمة لقراءة القرآن التي يَن ال الإنسان نتائج كثيرة والاستفادات غير المعدودة هو التطبيق.

وكيفيّتة انه حينما يتفكر في كل آية من الآيات الشريفة يطبق مفادها في حاله ويرفع نقصانه بواسطة هذا التطبيق ويشفي أمراضه به، مثلا في قصة آدم الشريفة يتفكر أن مطرودية الشيطان عن جناب القدس مع تلك السجدات والعبادات الطويلة لماذا ؟ فيطهّر نفسه منه لان مقام القرب الالهي مقام المطهّرين، فمع الاوصاف والأخلاق الشيطانية لا يمكن القدوم إلى ذلك الجناب الرفيع. ويستفاد من الآيات الشريفة أن مبدأ عدم سجود ابليس هو رؤية النفس العجب فطبّل أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين.. فهذا العجب صار سببا لحب النفس والاستكبار، وصار سببا للاستقلال والاستكبار، وعصيان الامر فصار مطرودا عن الجناب ونحن خطبنا الشيطان من أول عمرنا ملعونا ومطرودا واتصفنا بأوصافه الخبيثة ولم نتفكر في أن ما هو سبب المطرودية عن جناب القدس اذا كان موجودا في أي شخص، فهو مطرود وليس للشيطان خصوصية، فما كان سببا لطرده عن جناب القدس يكون مانعا من أن نتطّرق إليه، وأنا أخاف من أن نكون شركاء ابليس في اللعن الذي نلعنه.

ونتفكر أيضا في هذه القضية الشريفة ونرى ما هو السبّب لمزيّة آدم وأفضليته على الملائكة، فنتصف نحن أيضا بمقدار الطاقة بذاك السبب فنرى أن سبب التفضيل هو تعليم الاسماء كما قال تعالى: {وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا} (البقرة - 31) والمرتبة العالية من تعليم الاسماء هو التحقق بمقام اسماء الله. كما أن المرتبة العالية من الاحصاء الذي هو في الرواية الشريفة أن لله تسعا وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة، هو التحقق بحقيقتها التي تنيل الإنسان إلى جنة الاسماء.

الإنسان يستطيع أن يكون مظهرا لأسماء الله، والآية الكبرى الإلهية بالإرتياضات القلبية ويكون وجوده وجودا ربّانيا ويكون المتصرّف في مملكته يدا الجمال والجلال الالهي. وفي الحديث ما يقرب من هذا المعنى من أن " روح المؤمن أشدّ اتصالا بالله تعالى من اتصال شعاع الشمس بها أو بنورها ".

وفي الحديث الصحيح " لا يزال يتقرّب اليّ عبدي بالنوافل حتى أحبّه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يأخذ بها ". وفي الحديث " عليٌ عين الله ويد الله " إلى غير ذلك.. وفي الحديث " نحن أسماؤه الحسنى " والشواهد العقلية والنقلية في هذا بخصوصه كثيرة.

وبالجملة، من أراد أن يأخذ من القرآن الشريف الحظ الوافر والنصيب الكافي فلا له أن يطبّق كل آية شريفة من الآيات على حالات نفسه حتى يستفيد استفادة كاملة، مثلا يقول الله تعالى في سورة الانفال في الآية الشريفة: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} (الانفال - 2). فلا بد للسالك من أن يلاحظ هل هذه الاوصاف الثلاثة منطبقة عليه، وهل قلبه يجِلُ اذا ذكر الله ويخاف ؟ وإذا تليت عليه الآيات الشريفة الإلهية يزداد نور الإيمان في قلبه ؟ وهل اعتماده وتوكله على الحق تعالى ؟ أو أنه في كل من هذه المراحل راجل ومن كل هذه الخواص محروم ؟ فإن أراد أن يفهم أنه من الحق تعالى خائف وقلبه من خوفه وجل فلينظر إلى أعماله.

الإنسان الخائف لا يتجاسر في محضر الكبرياء إلى مقامه المقدس ولا يهتك الحرمات الإلهية في حضور الحق، وإذا قوي الإيمان بتلاوة الآيات الإلهية يسري نور الإيمان إلى المملكة الظاهرية ايضا، فغير ممكن أن يكون القلب نورانيا ولا يكون اللسان والكلام والعين والنظر والسمع والاستماع نورانيا.

فالبشر النوراني هو الذي تكون جميع قواه الملكية والملكوتية منيرة، فمضافا إلى هداية نفسه إلى السعادة و الطريق المستقيم يكون مضيئا لسائر الخلق أيضا ويهديهم إلى طريق الانسانية

كما أنه اذا توكل أحد على الله تعالى و اعتمد عليه فيقطع الطمع عمّا في أيدي سائر الخلق ويحط رحل حاجته وفقره إلى باب الغنى المطلق ولا يرى سائر الذين هم مثله فقراء ومساكين حلاّلين لمشاكله. فوظيفة السالك إلى الله هي أن يعرض نفسه على القرآن الشريف، فكما أن الميزان في صحة الحديث وعدم صحته واعتباره وعدم اعتباره ان يعرض على كتاب الله فما خالف كتاب الله فهو باطل وزخرف. كذلك الميزان في الاستقامة والاعوجاج والشقاوة والسعادة هو أن يكون مستقيما وصحيحا في ميزان كتاب الله، وكما أن خلق رسول الله هو القرآن فاللازم له أن يجعل خلقه موافقا للقرآن حتى يكون مطابقا لخلق الوليّ الكامل أيضا، والخلق يكون مخالفا لكتاب الله فهو زخرف وباطل.

وكذلك جميع المعارف وأحوال قلبه وأعمال الباطن والظاهر له لابد أن يطبّقها على كتاب الله ويعرضها عليه حتى يتحقق بحقيقة القرآن ويكون القرآن له صورة باطنية.

وأنت الكتاب المبين الذي بأحرفه يظهر المضمر

وفي هذا المقام آداب أخر قد ذكرنا بعضها في أول هذه الرسالة في آداب مطلق العبادات وبعضها مندرج في هذا الآداب، وذكر بعضها ينجّر إلى التطويل، فلهذه الجملة صرفنا النظر عنه والله العالم.

خاتمة الفصل

في ذكر ترجمة (ما ذكرناه نص الروايات لا ترجمتها، وإنما ذكرنا كلمة ترجمة لأداء الأمانة في الترجمة، حيث أتى المصنف، أدام الله ظلّه بترجمة الروايات في الاصل). نبذة من الروايات الشريفة لتتميم الفائدة والتبرّك بكلام العترة الطاهرة.

ففي الكافي الشريف بإسناده إلى سعد الخفّاف عن أبي جعفر عليه السلام قال: " يا سعد تعلّموا القرآن فإن القرآن يأتي يوم القيامة في أحسن صورة نظر اليها الخلق والناس صفوف عشرون ومائة ألف صف ثمانون ألف صفّ أمّة محمد وأربعون أل صف من سائر الامم، فيأتي على صف المسلمين في صورة

رجل فيسلّم فينظرون إليه ثم يقولون لا إله إلاّ الله الحليم الكريم ان هذا الرجل من المسلمين نعرفه بنعته وصفته غير أنه كان أشدّ اجتهادا منا في القرآن فمن هناك أعطي من البهاء والجمال والنور ما لم يُعطَه، ثم يجاوز حتى يأتي على صف الشهداء فينظرون إليه ثم يقولون: لا اله إلاّ الله الرب الرحيم ان هذا الرجل من الشهداء نعرفه بسمته وصفته غير أنه من شهداء البحر فمن هناك أعطي من البهاء والفضل ما لم نُعطه. قال: فيتجاوز حتى يأتي صف شهداء البحر في صورة شهيد.. ثم ذكر الحديث اتيانه صفوف النبيين والمرسلين إلى أن يعرّفه رسول الله صلى الله عليه وآله " الحديث بطوله.

وقال أبو عبد الله عليه السلام: " اذا جمع الله عزّ وجلّ الاولين والآخرين اذا هم بشخص قد أقبل لم ير قطّ أحسن صورة منه فإذا نظر إليه المؤمنون وهو القرآن قالوا هذا منّا هذا أحسن شيء رأينا، فإذا انتهى اليهم جازهم " إلى آخر الحديث.

والأحاديث بهذا المضمون كثيرة وهي دليل واضح على ما يقوله أهل المعرفة بأن الموجودات في هذا العالم لها صور أخروية، ومن أحاديث هذا الباب يستفاد أن للأعمال أيضا صورا أخروية.

وفي الكافي الشريف بإسناده إلى باقر العلوم عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله " أنا أول وافد على العزيز الجبّار يوم القيامة وكتابه وأهل بيتي ثم أمّتي ثم أسألهم ما فعلتم بكتاب الله وبأهل بيتي ". وفي حديث آخر: " فيقول الجبار: وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لأكرمنّ اليوم من أكرمك ولأهيننّ من أهانك " وليعلم أنه لو لم نكن نحيي أحكام القرآن ومعارفه بالعمل بها والتحقق بحقيقتها لا نستطيع أن نجيب رسول الله في ذلك اليوم فأي إهانة أعظم من أن تنبذ مقاصد القرآن ودعواته وراء الظهر، فليس إكرام القرآن وأهله وهم أهل بيت العصمة بتقبيل جلد القرآن أو الأضرحة المقدسة لهم فقط بل التقبيل هذا مرتبة ضعيفة من الاحترام و التكريم، وإذا عملنا بأوامره وأوامرهم عليهم السلام فهذا

الاحترام مقبول وإلا فهو يشبّه بالاستهزاء واللعب وقد حذر تحذيرا شديدا في الاحاديث الشريفة من قارئ القرآن الذي لا يعمل به كما نقل عن عقاب الاعمال للشيخ الصدوق رضوان الله عليه بإسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال في حديث " من تعلّم القرآن فلم يعمل به وآثر عليه حبّ الدنيا وزينتها استوجب سخط الله وكان في الدرجة مع اليهود والنصارى الذي ينبذون كتاب الله وراء ظهورهم " (أقول: الرواية بهذه الصورة ليست في النسخة المطبوعة في بيروت والموجودة عندي بل ما ذكر ما بين القوسين تحت رقم (5) لم يكن موجودا في نسختنا وإنما ترجمة المؤلف دام ظله وما ذكر منها تحت رقم (6) قد ذكر في نسختنا في باب عقاب من تعلم القرآن فلم يعمل به تحت رقم (3) وما ذكرناه تحت رقم (7) قد ذكر في نسختنا في باب ثواب قراءة تحت (6) وأقول: السمعة من أقسام الريا ومعناها انه يسمع العابد للناس بعبادته ليجلب قلوبهم إلى نفسه). " ومن قرأ القرآن وأراد به السمعة و الوصول إلى الدنيا لقي الله ووجهه عظم لا لحم فيه والقرآن يضرب على قفاه حتى يدخل النار ويسقط في النار مع الذين سقطوا ". " ومن قرأ القرآن ولم يعمل به حشره الله يوم القيامة أعمى فيقول ربّ لم حشرتني أعمي وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتي فنسيتها وكذلك اليوم تنسى فيؤمر به إلى النار ". " ومن قرأ القرآن ابتغاء وجه الله وتفقها في الدين كان له من الثواب مثل جميع ما يعطى الملائكة والأنبياء والمرسلون، ومن تعلّم القرآن يريده رياء وسمعة ليماري به السفهاء ويباهي به العلماء ويطلب به الدنيا بدّد الله عزّ وجل عظامه يوم القيامة ولم يكن في النار أشدّ عذابا منه وليس نوع من أنواع العذاب إلاّ ويعذب من شدّة غضب الله عليه وسخطه، ومن تعلّم القرآن وتواضع في العلم وعلّم عباد الله يريد ما عند الله لم يكن في الجنة أعظم ثوابا منه ولا أعظم منزلة منه ولم يكن في الجنة منزلة ولا درجة رفيعة ولا نفيسة إلاّ كان له فيها أوفر النصيب وأشرف المنازل ".

وقد وردت روايات كثيرة في خصوص التفكر في معاني القرآن والاتعاظ به والتأثر منه. كما في الكافي الشريف عن أبي عبد الله عليه السلام قال: " ان هذا القرآن فيه منار الهدى ومصابيح الدّجى فليجل جال بصره ويفتح للضياء نظره فإن التفكر حياة قلب البصير كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور ".. ومقصوده عليه السلام أنه كما أن الإنسان لا بد له من النور الظاهري اذا هو يمشي في الظلمات حتى يصان من خطر السقوط في المزلات، كذلك لابدّ له أن يمشي في ظلمات طريق السير إلى الاخرة و إلى الله بالقرآن الذي هو نور الهداية والمصباح المنير في طريق العرفان والإيمان كي لا يقع في المزلاّت المهلكة.

وفي معاني الاخبار، في حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: " الفقيه من لا يترك القرآن رغبة عنه ويتوجّه إلى غيره، إلاَّ لا خير في علم ليس فيه تفهّم، ولا خير في قراءة ليس فيها تدبّر، ولا خير في عبادة ليس فيها تفقّه ".

وروي في الخصال ومعاني الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: " حملة القرآن عرفاء أهل الجنة ". ومن المعلوم أن المراد من هذا الحمل هو حمل معارف القرآن وعلومه وتكون نتيجته في الاخرة ان الحامل يكون في عداد اهل المعرفة وأصحاب القلوب، كما أنه لو حمل سورة القرآن من دون الاتعاظ بمواعظه وتحمّل معارفه وحكمه والعمل بأحكامه وسننه، فهو كما قال تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا} (الجمعة - 5). والأحاديث الشريفة في شؤون القرآن الشريف وآدابه أكثر من أن تسع في هذا المختصر. والسلام على محمد وآله.

المصباح الثاني

في ذكر نبذة من آداب القراءة في خصوص الصلاة وفيه سبعة فصول

الفصل الأول

في آداب القراءة في الصلاة خاصة

اعلم أن للقراءة في هذا السفر الروحاني والمعراج الإلهي مراتب ومدارج نكتفي ببعضها حسب ما يناسب هذه الرسالة:

المرتبة الاولى: إلاَّ يشتغل القارئ إلاَّ بتجويد القراءة وتحسين العبارة، ويكون همّه التلفّظ بهذه الكلمات فقط وتصحيح مخارج الحروف حتى يأتي بتكليف ويسقط عنه أمر، ومعلوم أن التكاليف لهذه الاشخاص موجبة للكلفة والمشقة وقلوبهم منها منضجرة وبواطنهم عنها منحرفة وليس لهم حظ من العبادة إلاَّ أنهم ليسوا معاقبين بعقاب تاركها إلاَّ ان يتفضّل عليهم من خزائن الغيب ويقعوا موردا للاحسان والإنعام بمجرد لقلة اللسان، ويتّفق لهذه الطائفة أحيانا أن ألسنتهم مشغولة بذكر الحق وقلوبهم عنه عارية وبريئة ومتعلقة بالكثرات الدنيوية والمشاغل الملكية، وهذه الطائفة داخلة في الصلاة بحسب الصورة ولكنهم بحسب الباطن والحقيقة مشغولون بالدنيا ومآربها والشهوات الدنيوية، ويتفق أحيانا أن قلوبهم أيضا مشغولة بالتفكر في تصحيح صورة الصلاة. ففي هذه الصورة قد دخلوا في صورة الصلاة بحسب القلب واللسان، وهذه الصورة منهم مقبولة ومرضية.

المرتبة الثانية: هم الذين لا يقتنعون بهذا الحد بل يرون الصلاة وسيلة لتذكر الحق ويعدّون القراءة تحميدا وثناء على الحق، ولهذه الطائفة مراتب كثيرة يطول ذكرها ولعله أشير إلى هذه الطائفة في الحديث الشريف القدسي " قسمت الصلاة بيني وبين عبدي فنصفها لي ونصفها لعبدي فإذا قال بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله ذكرني عبدي وإذا قال الحمد لله يقول الله حمدني عبدي وأثنى علي وهو

معنى سمع الله لمن حمده. و اذا قال الرحمن الرحيم يقول الله عظّمني عبدي، وإذا قال مالك يوم الدين يقول الله مجّدني عبدي، وفي رواية فوّض إليّ عبدي وإذا قال ايّاك نعبد وإياك نستعين يقول الله هذا بيني وبين عبدي، وإذا قال اهدنا الصراط المستقيم يقول الله هذا لعبدي ولعبدي ما سأل ". وحيث أن الصلاة قد قسمت بحسب هذا الحديث الشريف بين الحق والعبد فلا بدّ للعبد أن يقوم بحق المولى إلى حيث حقّه ويقوم بأدب العبودية الذي ذكره في هذا الحديث حتى يعمل الحق تعالى شأنه معه باللطائف الربوبية كما يقول تعالى {أَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ} (البقرة - 40) .

والحق تعالى قد أقام آداب العبودية في القراءة على أربعة اركان:

الركن الأول: التذكر، ولا بد أن يحصل في بسم الله الرحمن الرحيم وينظر العبد السالك إلى جميع دار التحقق بالنظر الاسمى الذي هو الفناء في المسمّى ويعوّد القلب أن يكون طالباً للحقّ ومحبّا للحق في جميع ذرّات الممكنات وفطرة تعلّم الاسماء التي فطر بها في مخمّر ذاته المشار اليها في قوله تعالى: {وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا} (البقرة - 31) لا بدّ وأن تصل من حضرة اسم الله الأعظم إلى مرتبة الفعلية والظهور بمقتضى جامعية نشأة الظهور، ويحصل هذا المقام من الخلوة مع الحق وشدّة التذكر والتفكر في الشؤون الإلهية حتى ينتهي إلى حدّ يكون قلب العبد حقانيا ولا يكون في جميع زوايا قلبه اسم سوى الحق. وهذه مرتبة من الفناء في الالوهية، والقلوب المنكوسة القاسية للجاحدين لا تستطيع انكارها بهذا البيان الذي بيّنّاه إلاَّ أن يكون جحوده جحودا إبليسيا، فإن تلك القلوب والعياذ بالله متنفّرة بالطبع عن اسم الحق وذكره وتنقبض اذا جرى حرف من المعارف الإلهية أو ذكر من أسماء الله ولا يفتحون بصيرتهم إلاَّ إلى الشهوات البطنية والفرجية، وفي هذه الطائفة أفراد لا يعتقدون للأنبياء والأولياء عليهم السلام أيضا سوى المقامات الجسمانية والجنة الجسمانية التي يُقضى فيها الوطر الحيواني، ويحسبون عظمة المقامات الاخروية كالعظمة الدنيوية بسعة الجنات

والأنهار الجارية وكثرة الحور والغلمان والقصور، وإذا سمعوا كلاما عن العشق والمحبة والجذبة الإلهية فيحملون على صاحبه بالألفاظ الركيكة والكلمات القبيحة، فكأن هذا الكلام سبّ لهم فيجبرونه، هؤلاء مأمورون من قبل الشيطان قد قعدوا على الصراط المستقيم الالهي بمقتضى: {أَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ} (الأعراف - 16).

ولا يتركون أحدا يحصل له الانس مع الهه ويخلص من ظلمات التعلّق بالشهوات الحيوانية التي منها التعلّق بالحور والقصور.

ومن الممكن أن يستشهد هؤلاء بشواهد من أدعية الأنبياء وأهل بيت العصمة عليهم السلام بأنهم ايضا كانوا يطلبون الحور والقصور وهذا من قصور هذه الطائفة حيث أنهم لم يفرقوا بين حبّ كرامة الله حيث يكون النظر فيه إلى كرامة المحبوب وإعطائه الذي هو علامة المحبة والعناية وبين حب الحور والقصور وأمثالها استقلالا، الذي هو في خميرة الشهوة الحيوانية، فحب كرامة الله هو حب الله ويسري إلى الكرامة والعناية بالتبع (عاشقهم برهمه عالم كه همه عالم از اواست) (مصراع بيت للشاعر المعروف السعدي الشيرازي يقول: أنا للعالم عاشق حيث منه الكون أجمع).

وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

وإلا فما لعليّ والحور والقصور ؟ وأي تناسب بينه وبين الاهواء النفسانية والشهوات الحيوانية؟ من كانت عبادته عبادة الاحرار فلا يكون جزاؤه جزاء التجار.. قد أُرخي عنان القلم وبعدت عن المطلب، وبالجملة من عوّد نفسه على قراءة الآيات والأسماء الإلهية من كتاب التكوين والتدوين الالهي يصوّر قلبه بالتدريج على الصورة الذكرية والآيتية ويتحقق باطن الذات بذكر الله واسم الله وآيات الله كما فسر وطبّق الذكر بالرسول الاكرم وعلي بن أبي طالب صلوات الله عليهما وآلهما والأسماء الحسنى بأئمة الهدى وكذلك فسّرت وطبّقت آيات الله عليهم، صلوات الله عليهم، فهم الآيات الإلهية وأسماء الله الحسنى وذكر الله الأكبر ومقام الذكر من المقامات العالية الجليلة لا يسع

في مجال البيان وحيطة التقرير والتحرير، وتكفي لأهل المعرفة والجذبة الإلهية وأصحاب المحبة والعشق الآية الشريفة الإلهية {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ} (البقرة - 152). وقال الله تعالى لموسى " يا موسى أنا جليس من ذكرني ".. وفي رواية الكافي قال رسول الله صلى الله عليه وآله " من اكثر ذكر الله أحبه الله " وفي الوسائل بإسناده إلى الصادق عليه السلام قال: قال الله عزّ وجلّ " يا بن آدم اذكرني في نفسك اذكرك في نفسي، يا بن آدم اذكرني في خلاء أذكرك في خلاء يا بن آدم اذكرني في ملأ أذكرك في ملأ خير من ملئك ". وقال: " ما من عبد ذكر الله في ملأ من الناس إلاّ ذكره الله في ملأ من الملائكة ".

الركن الثاني: التحميد وهو في قول المصلّي الحمد لله رب العالمين.

اعلم ان المصلّي اذا تحقق بمقام الذكر ورأى جميع ذرّات الكائنات وعوالي الموجودات ودوانيها أسماء إلهية وأخرج عن قلبه جهة الاستقلال ونظر إلى الموجودات عوالم الغيب والشهود بعين الاستظلال تحصل له مرتبة التحميد ويعترف قلبه ان جميع المحامد من مختصات الذات الأحدية وليست لسائر الموجودات فيها شركة لأنه ليس لها كمال من عند أنفسها حتى يقع الحمد والثناء لها، ويأتي البيان التفصيلي لهذه اللطيفة الإلهية في تفسير هذه السورة المباركة ان شاء الله.

الركن الثالث: هو التعظيم، وهو يحصل في الرحمن الرحيم:

إن العبد السالك إلى الله اذا حصر المحمدة في ركن التحميد على الحق تعالى وسلب الكمال والتحميد عن الكثرات الوجودية يقرب من أفق الوحدة وتعمي بالتدريج عينه الرائية للكثرة وتتجلى لقلبه الصورة الرحمانية التي هي بسط الوجود والصورة الرحيمية التي هي بسط كمال الوجود. ويصف الحق بالاسمين المحيطين الجامعين المضمحلة فيهما الكثرات فيحصل للقلب بواسطة التجلي الكمالي الهيبة الحاصلة من الجمال بتنزل عظمة الحق في قلبه، وإذا تمكنت هذه الحالة في قلبه ينتقل إلى الركن الرابع.

الركن الرابع: الذي هو مقام التقديس الذي هو حقيقة التمجيد. وبعبارة أخرى تفويض الامر إلى الله، وهو عبارة عن رؤية مقام مالكية الحق وقاهريته وزوال غبار الكثرة وانكسار أصنام كعبة القلب، وظهور مالِكيّة بيت القلب والتصرف فيه بلا مزاحمة الشيطان، ويصل في هذه الحالة إلى مقام الخلوة. ولا يمكن بين العبد والحق حجاب وتقع اياك نعبد وإياك نستعين في تلك الخلوة الخاصة ومجمع الانس، ولهذا قال: هذا بيني وبين عبدي وإذا اشتملته العناية الازلية وأفاق يسأله الاستقامة في هذا المقام والتمكين في حضرته بقوله اهدنا الصراط المستقيم، ولهذا فسّر إهدنا ب ألزمنا وأدّبنا وثبّتنا وهذا لأولئك الذين خرجوا من الحجاب ووصلوا إلى المطلوب الازلي. وأما أمثالنا نحن أهل الحجاب لا بد وأن نسأل الهداية من الحق تعالى بمعناها المعروف، ولعلّه تأتي بقية من هذا في تفسير السورة المباركة الحمد، ان شاء الله تعالى.

تكميل: يظهر من الحديث الشريف أن الصلاة كلها قسمت بين الحق والعبد وقد ذكر الحمد من باب النموذج والمثل فبناء على هذا نقول: ان التكبيرات الصلاتية أعمّ من الافتتاحية وغيرها التي تقال في خلال انقلاب الاحوال الصلاتية كلها حظ الربوبية قسمة الذات المقدسة، فإن قام العبد السالك إلى الله بهذه الوظيفة العبودية وأدّى حق الربوبية بمقدار ما في وسعه فيؤدي الحق تعالى أيضا بألطافه الخاصة الازلية حق العبد وهو فتح باب المراودة والمكاشفة، كما اشار إليه في الحديث الشريف في مصباح الشريعة حيث يقول: " فإذا كبّرت فاستصغر ما بين العلى والثرى دون كبريائه ". إلى أن قال: " فاعتبر انت قلبك حين صلاتك فإن كنت تجد حلاوتها وفي نفسك سرورها وبهجتها وقلبك مسرورا بمناجاته ملتذا بمخاطباته فاعلم أنه قد صدّقك في تكبيرك، وإلا فقد عرفت من سلب لذة المناجاة وحرمان حلاوة العبادة انه دليل على تكذيب الله لك وطردك عن بابه.

وعلى هذا المقياس ففي كل حال من الاحوال الصلاتية وكل فعل من افعالها حق تعالى لابد للعبد من القيام به وهو آداب العبودية في ذلك المنزل

وللعبد حظ ونصيب يعطيه الحق باللطف الخفي والرحمة الجلية بعد قيام العبد بآداب العبودية، وإذا رأى نفسه في هذه المقامات الإلهية محروما فيعلم أنه لم يقم بآداب العبودية وعلامة ذلك للمتوسطين ان لا تذوّق ذائقة القلب لذة المناجاة وحلاوة العبادات ويحرم عن البهجة والسرور والانقطاع إلى الحق.

والعبادة التي خلت عن اللذة والحلاوة عبادة بلا روح ولا يستفيد القلب منها.

فيا أيها العزيز آنس قلبك بآداب العبودية وأذق ذائقة الروح حلاوة الذكر، وهذه اللطيفة الإلهية تحصل في بدء الامر بشدة التذكر والأنس بذكر الحق، ولكن في حال الذكر لا يكون القلب ميّتا ولا تستولي عليه الغفلة، فإذا آنست قلبك بالتذكر فتشملك العنايات الازلية بالتدريج ويفتح على قلبك أبواب الملكوت وعلامة ذلك التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل حلول الفوت.

اللهم أعطنا نصيباً من لذة مناجاتك وحلاوة مخاطباتك واجعلنا في زمرة الذاكرين والمنقطعين إلى عزّ قدسك، وهب لقلوبنا الميّتة حياة دائمة واقطعها عمّن سواك ووجهها اليك انك ولي الفضل والإنعام.

الفصل الثاني

في بعض آداب الاستعاذة

قال تعالى: {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ 98 إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ 99 إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ} (النحل 98 - 99 - 100).

من الآداب المهمة للقراءة وخصوصا القراءة في الصلاة التي هي السفر الروحاني إلى الله والمعراج الحقيقي ومرقاة وصول اهل الله، الاستعاذة من الشيطان الرجيم الذي هو شوكة طريق المعرفة ومانع السير والسلوك إلى الله، كما أخبر الله سبحانه وتعالى عن قوله في السورة المباركة الاعراف حيث قال: {فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ} (الأعراف - 16)، فإنه حلف ان يسد الطريق على أولاد آدم ويمنعهم عنه ففي الصلاة التي هي الصراط المستقيم الإنساني ومعراج الوصول إلى الله لا يتحقق الوصول من دون الاستعاذة من هذا القاطع للطريق، ولا يحصل الامان من شره من دون الاستعاذة إلى حصن الالوهية الحصين، ولا تتحقق هذه الاستعاذة بلقلقة اللسان والصورة بلا روح والدنيا بلا آخرة كما هو مشهود في أشخاص قالوا بهذا القول منذ أربعين أو خمسين سنة وما نجوا من شرّ هذا القاطع للطريق ويتبعون الشيطان في الأخلاق والأعمال بل في العقائد القلبية، ولو كنا مستعيذين من شرّ هذا الخبيث بالذات المقدسة للحق تعالى وهو الفيّاض المطلق وصاحب الرحمة الواسعة والقدرة الكاملة والعلم المحيط والكرم البسيط لأعاذنا الله ولصلح ايماننا وأخلاقنا وأعمالنا. فلا بدّ أن نفهم بأن التأخّر عن هذا السير الملكوتي والسلوك الالهي مهما كان فهو بواسطة إغواء الشيطان والوقوع تحت السلطنة الشيطانية من قصور أنفسنا أو من تقصيرنا حيث لم نقم بآدابه المعنوية وشرائطه القلبية، كما أن عدم نيلنا في جميع الاذكار والأوراد والعبادات نتائجها الروحية والآثار الظاهرية والباطنية فهو من

أجل هذه الدقيقة، ويستفاد من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة للمعصومين عليهم السلام آداب كثيرة وتعدادها يحتاج إلى الفحص الكامل وإطالة الكلام ونحن نكتفي بذكر بعضها، فمن مهمّات آداب الاستعاذة الخلوص كما نقله سبحانه عن الشيطان انه قال: {قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ 82 إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} (ص - 82 - 83) وهذا الاخلاص كما يظهر من الكريمة الشريفة أعلى من الاخلاص العملي وأعم من العمل الجوانحي أو العمل الجوارحي لأن المخلص بصيغة المفعول، ولو كان المنظور هو الاخلاص العملي لكان التعبير بصيغة الفاعل، فالمقصود من هذا الاخلاص هو خلوص الهوية الانسانية بجميع شؤونها الغيبية والظاهرية والإخلاص العملي من رشحاته، وهذه الحقيقة واللطيفة الإلهية وان كانت لا تحصل للعامة في ابتداء السلوك إلاّ بالرياضات العملية الشديدة وخصوصا الرياضيات القلبية التي هي أصلها كما أشير إليه في الحديث المشهور: " من أخلص لله أربعين صباحا جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه " فمن أخلص أربعين صباحا (بمقدار تخمير طينة آدم، وكان أربعين صباحا، والربط بينهما معلوم عند أهل المعرفة وأصحاب القلوب) نفسه لله وأخلص أعماله القلبية والقالبية للحق تعالى ويكون قلبه الهيا ولا ينفجر من القلب الالهي سوى عيون الحكمة، فيكون لسانه الذي هو أكبر ترجمان للقلب ناطقا بالحكمة.

ففي أول الامر يكون اخلاص العمل موجبا لخلوص القلب فإذا صار القلب خالصا تظهر على مرآة القلب أنوار الجلال والجمال التي أودعت بالتخمير الالهي من طبنة آدم وتتجلى وتسري من باطن القلب إلى ظاهر ملك البدن.

وبالجملة، الخلوص الذي يوجب الخروج من تحت السلطنة الشيطانية هو خلوص هوية الروح وباطن القلب لله تعالى، و إلى هذا الخلوص يشير أمير المؤمنين سلام الله عليه في المناجاة الشعبانية: إلهي هب لي كمال الانقطاع اليك. فإذا وصل القلب إلى هذه المرتبة من الاخلاص ينقطع بالكلية عما سوى الله ولا يتطرق في مملكة وجوده غير طريق الحق ويقبله الحق

تعالى في معاذه ويقع في الحصن الحصين للإلوهية، كما قال تعالى في الحديث القدسي: كلمة لا اله إلاَّ الله حصني فمن دخل في حصني أمن من عذابي.. وللدخول في حصن لا اله إلاَّ الله مراتب كما أن للأمن من العذاب ايضا مراتب، فمن وقع بباطنه وظاهره وقلبه وقالبه في حصن الحق وصار في معاذه فقد أمن من جميع مراتب العذاب، وأعلى مراتبها عذاب الاحتجاب عن جمال الحق والفراق عن وصال المحبوب جلّ جلاله فمن حصل له هذا المقام فهو عبد الله على الحقيقة ويقع تحت قباب الربوبية ويكون الحق تعالى متصرفا في مملكته ويخرج عن تحت ولاية الطاغوت.
وهذا المقام من أعز مقامات الاولياء وأخص مدارج الاصفياء وليس لسائر الناس منه حظ، بل لعل القلوب القاسية للجاحدين والنفوس الصلبة للمجادلين البعيدة عن هذه المرحلة بمراحل تنكر هذه المقامات، ويحسبون الكلام في أطرافها باطل بل ينسبون والعياذ بالله هذه الامور التي هي قرّة عين الاولياء والكتاب والسنة مشحونة بها إلى المنسوجات للصوفية والأراجيف للحشوية.
ونحن ايضا ان تذكرنا هذه المقامات التي هي في الحقيقة مقام الكمّل فليس من جهة أن لنا فيها حظا أو أن نمدّ اليها عين الطمع، بل من جهة أننا لا نجوّز انكار المقامات ونرى ذكر الاولياء ومقاماتهم دخيلا في تصفية القلوب وتخليصها وتعميرها لأن ذكر الخير بالنسبة إلى أصحاب الولاية والمعرفة يوجب المحبة والتواصل والتناسب، وهذا التناسب يوجب التجاذب وهذا يسبّب التشافع الذي ظاهره الاخراج من ظلمات الجهل إلى أنوار الهداية والعلم وباطنه الظهور بالشفاعة في العالم الاخرة لأن شفاعة الشافعين لا تكون من دون تناسب وتجاذب باطني ولا تكون عن جزاف وباطل.
وبالجملة، التخليص بهذه المرتبة الكاملة وان كان لا يتيسّر لغير الكمّل من الأولياء والأصفياء عليهم الصلاة والسلام بل المقام الكامل لهذه المرتبة من مختصات النبي الخاتم والقلب الخالص النوراني الأحدي الأحمدي الجمعي المحمدي صلى الله عليه وآله وسلم بالأصالة وللكمّل والخلّص من أهل بيته بالتبعية، ولكن لا يجوز للمؤمنين والمخلصين

أيضا أن يغضّوا النظر عن جميع مراتبه ويقنعوا بالإخلاص الصوري العملي والخلوص الظاهري الفقهي لأن الوقوف في المنازل من الاعمال والأفكار العبقرية لإبليس، فهو قاعد على سبيل الإنسان والإنسانية ويمنعه بأيه وسيلة كانت عن العروج إلى الكمالات والوصول إلى المدارج فلا بدّ من علوّ الهمة وتقوية الارادة، فلعل هذا النور الالهي واللطيفة الربانية تسري من الصورة إلى الباطن ومن الملك إلى الملكوت والإنسان إذا نال أي مرتبة من الإخلاص يكون بمقدارها في لواذ الحق وتتحقق الاستعاذة وتقصر يد تصرّف العفريت الخبيث والشيطان عن الإنسان، فأنت اذا أخلصت الصورة الملكية الانسانية لله وجهلت الجيوش الظاهرة الدنيوية للنفس التي هي عبارة عن القوى المتشتتة في ملك البدن في ملاذ الحق وطهّرت الاقاليم السبعة الارضية أي البصر والسمع واللسان والبطن والفرج واليد والرجل من قذارات المعاصي وجعلتها تحت تصرّف ملائكة الله الجيوش الإلهية فتصير بالتدريج هذه الاقاليم حقانية وتتصرّف بتصرف الحق إلى أن يكون هو نفسه ايضا من ملائكة الله أو مثل ملائكة الله لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، فتحصل المرتبة الاولى من الاستعاذة ويرحل الشيطان وجيوشه عن المملكة ويتوجّهون إلى الباطن ويهجمون على القوى الملكوتية النفسانية، فمن هذه الجهة يصير أمر السالك أصعب وسلوكه أدق ولا بد له أن يكون قدم سيره أقوى ومراقبته أكمل ويستعيذ بالله المتعال من المهالك النفسانية من العجب والرياء والكبر والخيلاء وغيرها، ويشتغل بالتدريج بتصفية الباطن عن الكدورات المعنوية والقذارات الباطنية، ومن مهمات هذا المقام بل جميع المقامات، ومن مهمّات السلوك وأركان العروج التوجّه التام إلى التوحيد الحق الفعلي وتذكير القلب بهذه اللطيفة الإلهية والمائدة السماوية، وإذاقة القلب حقيقة مالكية الحق تعالى للسموات والأرض والباطن والظاهر والملك والملكوت حتى يرتاض القلب بالتوحيد في الإلهية ونفي الشريك في التصرف ويخمّر بالتخمير الالهي ويربّي بتربية التوحيدي، فلا يرى القلب ولا يعلم في هذه الحالة

مفزعا ولا ملجأ ولا ملاذا ولا معينا سوى الحق، ويستعيذ بالحق ومقام الالوهية بالطوع والحقيقة، وما لم يقطع القلب عن تصرّف سائر الخلق ولم يغمض عين الطمع عن الموجودات لا يلوذ بالله على الحقيقة وتكون دعواه كاذبة وينسلك في مسلك أهل المعرفة في زمرة المنافقين وينسب إلى الخدعة والتغرير وفي هذا الوادي المهيب والبحر العميق الخطير استفادة التوحيدات الثلاثة استفادة علمية من نفخة حكيم رباني أو عارف نوراني يعين باطن القلب اعانة لائقة، ولكن شرط هذه الاستفادة أن يشتغل بها بنظر الآية والعلامة والسير والسلوك إلى الله ولا تكون نفس هذه الاستفادة شوكا للطريق وحجابا لرؤية جمال المحبوب كما لقّب رسول الله صلى الله عليه وآله هذا العلم في الحديث الشريف للكافي: " أية محكمة ".

وبالجملة، اذا استحكم في القلب أصل التوحيد الفعلي للحق وسقي بماء العلم التوأم بالعمل اللطيف الذي يقرع باب القلب تكون نتيجته تذكر مقام الالوهية ويصفى القلب بالتدريج للتجلي الفعلي للحق. فإذا خلت الدار من الغدّار والعش من الغش يتصرف في البيت صاحبه وتأخذ يد ولاية الحق القوى الملكوتية والملكية من ملكوت الباطن والقلب إلى الملك وظاهر البدن تحت تصرفه وحكومته وترتحل الشياطين أجمع من هذه المرحلة أيضا وترجع المملكة الباطنية إلى استقلاله الذي هو عين الاستظلال للحق، وهذه المرتبة الثانية (من اللطيفة الربانية للاستعاذة). وبعد هذا المقام هو استعاذة الروح واستعاذة السر وسائر مراتب الاستعاذة لا تناسب هذه الأوراق، وهذا المقدار ايضا ظهر في صورة الترقيم من طغيان القلم أو من جراء قلم المولى جلّ وعلا وإليه المفزع.

ومن الآداب والشرائط الاستعاذة التي أشير اليها في الآية الشريفة التي ذكرناها في أول الفصل الإيمان وهو غير العلم، حتى العلم الذي حصل بالبرهان الحكمي، فإن الشيطان مع أن له العلم بالمبدأ والمعاد بنصّ القرآن محسوب في زمرة الكفّار، فلو كان الإيمان عبارة عن هذا العلم البرهاني يلزم أن يكون الواجدون لهذا العلم

بعيدين عن تصرّف الشيطان ويتلألأ فيهم نور هداية القرآن، مع أننا نرى أن هذه الاثار لا تحصل بالإيمان البرهاني فإن اردنا أن نخرج من تصرّف الشيطان ونقع تحت عوذة الحق لابد وأن نوصل الحقائق الايمانية إلى القلب بالإرتياض القلبي الشديد ودوام التوجّه أو كثرته وشدّة المراودة والخلوة فإذا صار القلب إلهياً يخلو من تصرّف الشيطان كما قال الله تعالى: {اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ} (البقرة - 257). فالمؤمنون الذين يتصرف ويتولّى الحق تعالى في ظاهرهم وباطنهم وسرّهم وعلانيتهم خالصون من تصرّفات الشيطان وداخلون في سلطان الرحمن، ويخرجهم من جميع مراتب الظلمات إلى النور المطلق فينتقلون من ظلمة المعصية والطغيان ومن ظلمة كدورات الأخلاق الرذيلة وظلمة الجهل والكفر والشرك ورؤية النفس وحب النفس والعجب إلى نور الطاعة والعبادة وأنوار الأخلاق الفاضلة ونور العلم وكمال الإيمان والتوحيد ورؤية الله وطلب الله وحب الله.

كما أن من آداب الاستعاذة التوكل، وهو ايضا من شعب الإيمان ومن الانوار الحقيقية للّطيفة الايمانية وهو تفويض الامور إلى الحق الذي يحصل من ايمان القلب بالتوحيد الفعلي وتفصيله خارج عن نطاق هذه الأوراق.

فإذا لم ير العبد السالك مفزعا وملاذا غير الحق تعالى وعلم أن التصرّف في الامور منحصر في الذات المقدسة تحصل في القلب حالة الانقطاع والتوكل وتصير استعاذته حقيقية، فإذا لجأ بالحقيقة إلى حصن الربوبية والإلوهية الحصين فيأخذه لا محالة في كنف ظلّه ورحمته الكريمة انه ذو فضل عظيم.

تتميم ونتيجة: قد علم من مطالب الفصل السابق ان حقيقة الاستعاذة عبارة عن حالة وكيفية نفسانية تحصل من العلم الكامل البرهاني بمقام التوحيد الحق الفعلي والإيمان به بمعنى أنه بعدما فهم من طريق العقل المنور بالبرهان المتين الحكمي والشواهد النقلية المستفادة من النصوص القرآنية وإشارات الكتاب الالهي والأحاديث الشريفة وبدائعها أن السلطنة الايجادية

والاستقلال في التأثير بل أصل التأثير منحصرة بالذات الإلهية المقدسة وليس لسائر الموجودات فيها شركة، كما قرّر في محله لابد له من تنبيه القلب بها وأن يكتب بقلم العقل على لوحة القلب حقيقة لا اله إلاّ الله ولا مؤثّر في الوجود إلاّ الله فإذا آمن القلب بهذه اللطيفة الايمانية والحقيقة البرهانية تحصل حالة انقطاع والتجاء. وإذا وجد الشيطان قاطع طريق الانسانية والعدو القوى لنفسه تحصل له حالة الاضطرار وهذه الحالة القلبية هي حقيقة الاستعاذة، وحيث أن اللسان ترجمان القلب يظهر بلسانه تلك الحالة القلبية مع كمال الاضطرار والاحتياج ويقول على الحقيقة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وإذا لم يكن في القلب اثر من هذه الحقائق ويكون المتصرف في القلب وسائر المملكة الوجودية هو الشيطان وتكون استعاذته ايضا بتصرف الشيطان وتدبيره، وفي التلفّظ يقول بالاستعاذة بالله من الشيطان ولكن في الحقيقة حيث أن التصرف شيطاني تقع الاستعاذة بالشيطان من الله تعالى وتحقق نفس الاستعاذة عكس المطلوب ويستهزئ الشيطان بقائلها وتتبين نتيجة هذه السخرية بعد كشف الغطاء وانطواء حجاب الطبيعة ومثل هذا الشخص الذي استعاذته لفظية فقط كمثل من يريد أن يستعيذ من شرّ العدوّ الجرّار إلى حصن منيع ولكن يمشي هو نفسه نحو العدوّ ويولّي الوجه عن الحصن ويقول لفظاً إنّي أعوذ من شرّ هذا العدو بهذا الحصن. هذا الشخص مضافا إلى أنه يبتلي بشر العدو يكون سخرية له ايضا.

الفصل الثالث

في أركان الاستعاذة وهي أربعة:

الأول: المستعيذ. الثاني: المستعاذ. الثالث: المستعاذ به. الرابع: المستعاذ لأجله.

اعلم أن لهذه الأركان تفصيلات كثيرة خارجة عن مجال هذه الأوراق ونحن نكتفي بذكر مختصر منها.

الركن الأول في المستعيذ:

وهو الحقيقة الإنسانية من أول منزل السلوك إلى الله إلى منتهى النهاية للفناء الذاتي، وإذا تم الفناء المطلق هلك الشيطان وتمت الاستعاذة.

وتفصيل هذا الإجمال أن الإنسان ما دام مقيما في بيت النفس والطبيعة ولم يشتغل بالسفر الروحاني والسلوك إلى الله وهو تحت السلطنة الشيطانية بجميع شؤونها ومراتبها لم يلتبس بحقيقة الاستعاذة وقلقلة اللسان بلا فائدة بل هي تثبيت وتحكيم للسلطنة الشيطانية إلاّ بالتفضل والعناية الإلهية، فإذا تلبس بالسير والسلوك إلى الله وشرع في السفر الروحاني فما دام هو في السير والسلوك فكل ما كان مانعا له من هذا السفر وشوكا في طريقه فهو شيطان سواء أكان من القوى الروحانية الشيطانية أم من الجن والأنس لأن الجن والأنس أيضا إذا كانت شوكة الطريق ومانعة السلوك إلى الله فبتأييد الشيطان وتصرفه كما أشار إليه سبحانه وتعالى في سورة الناس المباركة حيث يقول: { مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ } (الناس - 4 - 5 - 6) فالشيطان إن كان جنّا فيستفاد من الآية الشريفة إن الوسواس الخنّاس الذي هو الشيطان جنّ وأنس أحدهما بالأصالة والآخر بالتبعية، وان كان الشيطان حقيقة أخرى شبيهة للجنة فيعلم من الآية الشريفة أن هذين النوعين يعني الجن والأنس أيضا تمثّلات شيطانية ومظاهره، وقد أشار إلى هذا المعنى في آية أخرى أيضا حيث يقول: {شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ } (الأنعام - 112) وقد أشار سبحانه في هذه السورة المباركة إلى الأركان الأربعة المذكورة كما هو ظاهر.

وبالجملة الإنسان قبل شروعه في السلوك إلى الله ليس مستعيذا وبعد تمام سيره، وبعد أن لم يبق من آثار العبودية شيء ونال الفناء الذاتي المطلق فلا يبقى أثر من الاستعادة والمستعاذ منه والمستعيذ ولا يكون في قلب العارف شيء سوى الحق والسلطنة الإلهية، وليس له خبر من قلبه ولا من نفسه أيضا، وأعوذ بك منك أيضا ليس في هذا المقام فإذا أتاه الصحو والأنس والرجوع تكون الاستعاذة حقيقة أيضا ولكن لا كاستعاذة السالك. ولهذا أمر الرسول الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم) أيضا بالاستعاذة كما قال الله تعالى: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} (الفلق - 1) و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} (الناس - 1). و {وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ 97 وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ } (المؤمنون - 97 - 98). فالإنسان ليس مستعيذا في مقامين أحدهما قبل السلوك وهو حالة الاحتجاب المحض تحت تصرف الشيطان وسلطنته، والآخر بعد ختم السلوك وحصول الفناء المطلق، لأنه لا يكون ثمة خبر من المستعيذ والمستعاذ له والاستعاذة.

والإنسان مستعيذ في مقامين أحدهما حال السلوك إلى الله، وهو يستعيذ من أشواك الوصول التي قعدت على الصراط المستقيم للإنسانية كما حكي سبحانه من قول الشيطان: {فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ} (الأعراف - 16) والآخر في حال الصحو والرجوع من الفناء المطلق، فهو إذاً يستعيذ من الإحتجابات التلوينية وغيرها.

الركن الثاني في المستعاذ منه:

وهو إبليس والشيطان الرجيم الذي يمنع الإنسان بحبائله المتنوعة من الوصول إلى المقصد، وحصول المقصد وما ذكره بعض أعاظم أهل المعرفة من أن حقيقة الشيطان عبارة عن جميع العالم بجنبته السوائية فليس بتمام لدى الكاتب لأن الجنبة السوائية التي هي عبارة عن الصورة الموهومة العارية عن الحقيقة الخالية عن التحقق والواقعية من حبائل إبليس التي يشغل الإنسان بها، ولعله إلى ذلك أشير في قوله تعالى: {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ} (التكاثر - 1 -

2) وإلاّ فنفس إبليس هي حقيقة ذات تجرّد مثالي وذات حقيقة إبليسية كليّة، هي رئيس الأبالسة وإبليس الكل أيضا، كما أن الحقيقة العقلية المجرّدة الكلية وهي آدم الأول هي عقل الكل. وإن القوى الواهمة الجزئية الملكية من مظاهر إبليس وشؤونه، كما أن العقول الجزئية شؤون العقل الكلّي ومظاهره. وتفصيل هذا المقام وتحقيقه خارج عن مجال هذه الرسالة.

وبالجملة، ما كان في هذا السلوك الإلهي والسير إلى الله مانعا من السير وشوكا في الطريق فهو الشيطان أو مظاهره التي أعمالها أيضا عمل الشيطان، وما كان من عوالم الغيب والشهود والعوارض الحاصلة للنفس وحالاتها المختلفة حجابا لجمال المحبوب سواء أكان من العوالم الملكية الدنيوية كالفقر والغنى والصحة والمرض والقدرة والعجز والجهل والآفات والعاهات وغيرها، أو كان من العوالم الغيبية التجردية والمثالية كالجنة وجهنم، والعلم المتعلق بها حتى العلوم العقلية البرهانية الراجعة إلى توحيد الحق وتقديسه كل ذلك من حبائل إبليس التي تمنع الإنسان عن الحق والأنس به والخلوة معه وتشغله بذلك حتى الاشتغال بالمقامات المعنوية والوقوف في المدارج الروحانية الذي ظاهره الوقوف في الصراط الإنساني وباطنه الوقوف في صراط الحق الذي هو جسر روحاني لجهنم الفراق والبعد وينتهي إلى جنة اللقاء. وهذا الجسر مخصوص لطائفة قليلة من أهل المعرفة وأصحاب القلوب، وهذا الاشتغال من الحبائل العظيمة لإبليس الأبالسة و لابد من الاستعاذة منه إلى ذات الحق المقدسة جلّ شأنه.

وبالجملة، ما منعك عن الحق وحجبك عن جمال المحبوب الجميل فهو شيطانك سواء أكان في صورة الإنسان أو الجن، وكل ما يمنعك به الشياطين عن هذا المقصد والمقصود فهو حبائل الشيطان سواء كان من سنخ المقامات والمدارج أو العلوم والكمالات أو الحرف والصنائع أو العيش والراحة أو المشقة و الذلّة أو غيرها، وهذه عبارة الدنيا المذمومة وحبائل الشيطان و لابد من الاستعاذة منها. وما نقل عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)

أنه كان يقول: " أعوذ بوجه الله الكريم وبكلمات الله التي لا يجاوزهنّ بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء وما يعرج فيها وشر ما ينزل من الأرض وما يخرج منها ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر طوارق الليل والنهار إلاّ طارقا يطرق بخير " فلعل المقصود منه هذا المعنى والاستعاذة بوجه الله وبكلمات الله هي الاستغراق في بحر الجمال والجلال، وما منع الإنسان منه فهو من الشرور ومرتبط بعالم الشيطان ومكائده ولا بدّ من الاستعاذة منه بوجه الله سواء أكان من الحقائق الكاملة السماوية أو الناقصة الأرضية إلاّ أن يكون طارقا بخير وهو الطارق الإلهي الذي يدعو إلى الحق تعالى.

الركن الثالث: في المستعاذ به:

اعلم أن حقيقة الاستعاذة حيث أنها متحققة في السالك إلى الله ومتحصلة في السير والسلوك إلى الحق، بمعنى إن الاستعاذة تختص بالسالك في مراتب السلوك فتختلف الاستعاذة والمستعيذ والمستعاذ منه والمستعاذ به على حسب مقامات السائرين و لمدارجهم ومنازل سالكي الحقيقة، ويمكن أن تكون إشارة إلى ذلك السالك السورة الشريفة الناس حيث يقول تعالى: {قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس} (الناس - 1 - 2 -3) فيستعيذ السالك بمقام الربوبية من مبادئ السلوك إلى حدود مقام القلب، ويمكن أن تكون هذه الربوبيّة، الربوبية الفعلية فتطابق أعوذ بكلمات الله التامات، فإذا انتهى سير السالك إلى مقام القلب فيظهر في القلب مقام السلطنة الإلهية فيستعيذ في هذا المقام بمقام ملك الناس من شر تصرفات إبليس القلبية وسلطنته الباطنية الجائرة، كما يستعيذ في المقام الأول من شر تصرفاته الصدرية، ولعل ما قاله تعالى {الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ} (الناس - 5). مع أن الوسوسة في القلوب والأرواح أيضا من الخناس لأن الأنسب في مقام التعريف أن يكون التعريف بالشأن العمومي والصفة الظاهرة عند الكل.

فإذا تجاوز السالك عن مقام القلب أيضا إلى مقام الروح الذي هو من النفخة الإلهية واتصاله بالحق اشّد من اتصال شعاع الشمس بالشمس فيشرع في

هذا المقام مبادئ الحيرة و الهيمان والجذبة والعشق والشوق، فيستعيذ في هذا المقام بإله الناس،
فإذا ترقى من هذا المقام وتكون الذات بلا مرآة الشؤون نصب عينيه، وبعبارة أخرى يصل إلى مقام السر، فالمناسب له أعوذ بك منك وفي هذه المقامات تفصيل لا يناسب هذه المقالة.
وأعلم أن الاستعاذة بسم الله لجامعيته تناسب جميع المقامات وهي في الحقيقة الاستعاذة المطلقة، وسائر الاستعاذات استعاذات مقيّدة.
الركن الرابع: في المستعاذ له، يعني غاية الاستعاذة:
اعلم أن ما هو المطلوب بالذات للإنسان المستعيذ فهو من نوع الكمال والسعادة والخير، ويتفاوت ذلك على حسب مراتب السالكين ومقاماتهم تفاوتا كثيرا. فالسالك ما دام في بيت النفس وحجاب الطبيعة تكون غاية سيره حصول الكمالات النفسانية و السعادات الخسيسة الطبيعية وهذا في مبادئ السلوك، فإذا خرج من بيت النفس وذاق شيئا من المقامات الروحانية و الكمالات التجردية فيصير مقصده أعلى و مقصوده أكمل فيلقي المقامات النفسانية وراء ظهره وتكون قبلة مقصودة حصول الكمالات القلبية و السعادات الباطنية فإذا ألفت عنان السير عن هذا المقام أيضا. ووصل إلى منزل السر الروحي فتبرز في باطنه مبادئ التجليات الإلهية ويكون لسان روحه في بادئ الأمر وجّهت وجهي لوجه الله ثم بعد ذلك وجهت وجهي لأسماء الله أو لله ثم بعد ذلك وجهت وجهي له، ولعل الجهة في وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض راجعة إلى المقام الأول بمناسبة الفاطرية.
وبالجملة، فالسالك غايته الحقيقية في كل مقام حصول الكمال والسعادة بالذات، وحيث أن مع السعادات والكمالات في كل مقام شيطانها هو لها قرين وحباله من حبائله مانعة للحصول فلا بد للسالك أن يستعيذ بالحق تعالى من ذلك الشيطان وشروره وحبائله للوصول إلى المقصود الأصلي والمنظور الذاتي، ففي الحقيقة غاية الاستعاذة للسالك حصول ذلك الكمال المترقب والسعادة المطلوبة والحق تعالى جلت عظمته غاية الغايات

ومنتهى الطلبات، والاستعاذة من الشيطان تقع بالتبع. والحمد لله أولا و آخراً.

الفصل الرابع

في بعض آداب التسمية

روي في التوحيد عن الرضا (هو علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن ابي طالب عليهم السلام، الامام الثامن من الأئمة الإثنى عشر) عليه السلام حين سئل عن تفسير البسملة: " معنى قول القائل بسم الله أي اسم على نفسي سمة من سمات الله ن وهي العبادة. قال الراوي: فقلت: ما السمة ؟ قال: العلامة ".

اعلم جعلنا الله وإياك من المتَّسمين بسمات الله أن الدخول في منزل التسمية لا يتيسر للسالك إلاَّ بعد الدخول في منزل الاستعاذة واستيفاء حظوظ ذاك المنزل، فما دان الإنسان في تصرّف الشيطان ومقهوراً تحت سلطنته فهو متّسم بالسمات الشيطانية، وإذا غلب على باطنه وظاهره غلبة تامة يصير هو بجميع مراتبه آية وعلامة له، وإذا أتى بالتسمية في هذا المقام فيقولها بالإرادة الشيطانية والقوة الشيطانية واللسان الشيطاني ولا يحصل من استعاذته وتسميته سوى تأكيد السلطنة الشيطانية فإن أفاق بتوفيق الله من نوم الغفلة ووجدت له حالة اليقظة وأحسّ لزوم السير والسلوك إلى الله بنور الفطرة الإلهية وأنوار التعليمات القرآنية وسنن الهداة إلى طريق التوحيد في منزل اليقظة وأدرك القلب موانع السير فتحصل له حالة الاستعاذة بالتدريج وبعد ذلك يدخل منزل الاستعاذة بالتوفيق الرباني فإذا تطهّر من القذارات الشيطانية فيتجلى في مرآة السالك من تلك الأنوار الإلهية على حسب ما يناسبه بمقدار تطهيره الباطن والظاهر وفي أول الأمر تكون الأنوار مشوبة بالظلمات بل تكون الظلمة غالبة، خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا. وبالتدريج فكلما قوي السلوك، فبمقدار قوة السلوك يغلب النور على الظلمة وتظهر سمات الربوبية في السالك فتصير تسميته حقيقية إلى حد ما، والعلامات الشيطانية وهي في الظاهر المخالفة لنظام المدينة الفاضلة، وفي الباطن العجب

والاستكبار وأمثالها، وفي باطن الباطن رؤية النفس وحبها وأمثالها ترتحل بالتدريج عن مملكة باطن السالك وظاهره وتسكن في مكانها سمات الله وهي في الظاهر حفظ نظام المدينة الفاضلة وفي الباطن العبودية و ذلة النفس وفي باطن الباطن حب الله ورؤية الله، فإذا صارت المملكة إلهية وخلت من شياطين الجن والإنس وظهرت فيها السمات الإلهية يتحقق السالك بنفسه بمقام الإسمية، فأول تسمية السالك عبارة عن الاتصاف بالسمات الإلهية وعلاماتها ثم يترقى عن هذه المرتبة ويصل بنفسه مقام الاسمية، وهذا أوائل قرب النافلة، فإذا تحقق بقرب النافلة نال تمام الاسمية فلا يبقى بعد شيء من العبد والعبودية، وإذا وصل أحد إلى هذا المقام تقع جميع صلاته بلسان الله وهذا يتحقق في القليل من الأولياء، وأما للمتوسطين أمثالنا الناقصين فالأدب أن نسمَ القلب بسمة العبودية وكيّها عند التسمية ونعلن القلب من سمات الله والعلامات الإلهية وألا نكتفي بلقلقة اللسان، فلعل من العنايات الأزلية نبذة تشمل حالنا وتجبر ما سبق منا وينفتح لقلوبنا طريق إلى تعلّم الأسماء ويحصل سبيل إلى المقصود.

ويمكّن أن يكون المقصود من السمة من سمات الله في هذا الحديث الشريف سمة الرحمة الرحمانية والرحمة الرحيمية وعلامتها لأن هذين الاسمين الشريفين من الأسماء المحيطة التي وصلت جميع دار التحقق في ظلّ هذين الاسمين الشريفين إلى أصل الوجود وكماله، ويستمر هذا الوصول، والرحمة الرحمانية والرحيمية شاملة لجميع دار الوجود، حتى أن الرحمة الرحيمية التي جميع هدايات الهادين إلى طريق التوحيد من تجلياتها تشمل الجميع إلاّ أن الخارجين عن فطرة الاستقامة بسوء اختيارهم، حرموا أنفسهم منها لأن الرحمة غير شاملة لحالهم حتى أنه في عالم الآخرة وهي يوم حصاد ما زرع من الحسنة والسيئة فالذين زرعوا السيئة فهم بأنفسهم قاصرون عن الاستفادة من الرحمة الرحيمية.

وبالجملة، إذا أراد السالك أن تكون تسميتة حقيقيّة فلا بد له أن يوصل مراحم الحق تعالى إلى

قلبه ويتحقق بالرحمة الرحمانية والرحيمية، وعلامة حصول نموذج منها في القلب أنه ينظر إلى عباد الله بنظر العناية والتلطف ويطلب الخير والصلاح للجميع وهذا هو نظر الأنبياء العظام والأولياء الكمل عليهم السلام، غاية الأمر أن لهم نظرين أحدهما النظر إلى سعادة المجتمع ونظام العائلة والمدينة الفاضلة، والآخر النظر الشخصي، ولهم علاقة كاملة بهاتين السعادتين والقوانين الإلهية التي تؤسس وتنفّذ وتكشف وتجري بأيديهم، يراعون فيها هاتين السعادتين حتى إجراء القصاص والحدود والتعزيرات وأمثالها والتي تبدو في النظر أنها أسّست وتقنّنت مع لحاظهم نظام المدينة الفاضلة، قد لوحظ فيها كلتا السعادتين لأن لهذه الأمور دخالة كاملة في التربية الروحية في الأكثر وإيصالهم إلى السعادة حتى الذين ليس لهم نور الإيمان والسعادة فيقتلونهم بالجهاد وأمثاله كيهود بني قريظة، فهذا القتل لهم أيضا صلاح وإصلاح ويمكن أن يقال أن قتلهم كان من الرحمة الكاملة للنبي الخاتم لأنهم مع وجودهم في هذا العالم يهيّئون لأنفسهم في كل يوم أنواع العذاب الذي لا يقابل يوما من عذاب الآخرة وعسرها جميع مدة الحياة في هذا العالم، وهذا المطلب واضح جدا عند أولئك الذين يعلمون ميزان عذاب الآخرة وعقابها والأسباب والمسببات فيها، فالسيف الذي يضرب أعناق بني قريظة يهود وأمثالهم كان أقرب إلى أفق الرحمة، والآن هو أيضا أقرب منه إلى أفق الغضب والسخط.

وباب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من وجهة الرحمة الرحيمية فلا بد للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يذيق قلبه من الرحمة الرحيمية ولا يكون نظره في الأمر والنهي إراءة نفسه والتكبّر وفرض أمره ونهيه لأنه إن مشى بهذا النظر لا يحصل المنظور من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو حصول سعادة العباد وإجراء أحكام الله في البلاد، بل يصل ربما تحصل النتيجة المعكوسة من الأمر بالمعروف ومن إنسان جاهل، وتزداد عدة منكرات لأجل أمر أو نهي من جاهل يقع من جهة الهوى النفسي والتصرف الشيطاني، وأما إذا كانت

دواعي الإنسان لإرشاد الجاهلين وإيقاظ الغافلين حس الرحمة والشفقة وحق النوعية والأخوة تكون كيفية البيان والإرشاد المترشحة من القلب الرحيم على نحو يؤثر في الموارد اللائقة تأثيرا حسنا وتنزل القلوب الصلبة القاسية عن استكبارها واستنكارها.

يا للأسف، إننا لا نتعلم من القرآن، وليس نظرنا إلى هذا الكتاب الكريم الإلهي نظر التدبر والتعلم، واستفادتنا من هذا الذكر الحكيم قليلة وضئيلة، ففكر الآن في الآية الشريفة: {اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى43 فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} (طه- 43 - 44) ينفتح لك طرق من المعرفة ويفتح على قلب الإنسان أبواب من الرجاء.

إن فرعون الذي قد بلغ من الطغيان إلى حد أنه قال: {أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى} (النازعات - 24) وبلغ علوه وفساده إلى درجة نزلت فيه {يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ} (القصص - 4) وبمجرد أنه رأى مناما وأخبرته الكهنة والسحرة أن موسى بن عمران سيطلع فرّق بين الرجال والنساء، وذبح الأطفال الأبرياء وأفسد ذلك الفساد، فإن الله الرحمن نظر برحمته الرحيمية على جميع وجه الأرض فأنتخب من نوع البشر أشدّهم تواضعا وأكملهم، ونبيّا عظيم الشأن ورسولا عالي المقام المكرم كموسى بن عمران على نبيّنا وآله وعليه السلام وعلّمه وربّاه بيده التربوية كما قال تعالى: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} (القصص - 14) وشدّد ظهره بأخ كريم مثل هارون عليه السلام ، وأنتخب تبارك وتعالى هاتين الزبدتين في العالم الإنساني كما قال تعالى: {وَأَنَا اخْتَرْتُكَ} (طه - 13). وقال تعالى: {وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي} (طه - 39). وقال تعالى: {وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي 41 اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي } (طه - 41 - 42). وسائر الآيات الشريفة الواردة في هذا الموضوع الخارجة عن مجال البيان، وللقلب منها نصيب لا يمكن أن يقال وخصوصا من هاتين الكلمتين الشريفتين

ولتصنع على عيني.. واصطنعتك لنفسي.. وأنت أيضا لو فتحت عين قلبك لتسمع نغمة روحانية لطيفة تمتلئ جميع مسامع قلبك وشراشر وجودك من سرّ التوحيد.
وبالجملة، إن الله تبارك وتعالى بعد هذه التشريفات هيّأ التهيئّات وروّض موسى الكليم بالرياضات الروحانية كما قال تعالى: {وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا} (طه - 40). وأرسله سنين في خدمة شعيب شيخ طريق الهداية والمرتاض في عالم الإنسانية، كما قال تعالى: {فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى} (طه - 40) ثم بعثه للاختبار والافتتان الأعلى إلى واد، في طريق الشام وأضله الطريق وأمطر عليه المطر وغلب عليه الظلمة وعرّض زوجته للمخاض، فإذا أغلقت عليه جميع أبواب الطبيعة وانضجر قلبه عن الكثرات وانقطع إلى الحق بجبلة الفطرة الصافية وانتهى السفر الروحاني الإلهي في ذلك الوادي الظلماني غير المتناهي، آنس من جانب الطور نارا إلى أن قال: {فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي مِن شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} (القصص - 30)، وبعد هذه الامتحانات الكثيرة والتربية الروحانية المتكثرة هيّأه سبحانه لماذا ؟ لأن يدعو ويهدي ويرشد وينجي عبدا طاغيا، باغيا، يضرب طبل أنا ربكم الأعلى.. وأفسد في الأرض ذلك الفساد الكبير. وكان في إمكانه تعالى أن يحرقه بصاعقة غضبه ولكن الرحمة الرحيمية ترسل إليه رسولين عظيمين ويوصيهما في نفس الوقت أن يقولا له قولا لينا لعله يتذكر الله أو يخشى من عمله وعاقبة أمره. هذا هو دستور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذه كيفية إرشاد مثل فرعون الطاغوت.
فإذا أردت أيضا أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وترشد خلق الله فتذكر من هذه الآيات الشريفة التي أنزلت للتذكر والتعليم وتعلّم منها، فالق عباد الله بقلب مملوء من المحبة وفؤاد عطوف لعباد الله وكن طالبا لخيرهم من صميم القلب، فإذا وجدت قلبك رحمانيا ورحيميا فقم بالأمر والنهي والإرشاد كي يلين برق عطف قلبك القلوب

القاسية وتلين حديد القلوب بالموعظة الخليطة بنار المحبة، وهذا الوادي غير وادي البغض في الله والحب في الله ولا بد للإنسان أن يعادي أعداء الدين، كما ورد في الروايات الشريفة والقرآن الكريم فهو في محله صحيح وهذا أيضا في محله صحيح وليس الآن مجال بيانه.

الفصل الخامس

في البيان الإجمالي من تفسير سورة الحمد المباركة

وفيه نبذة من آداب التحميد والقراءة

اعلم أن العلماء اختلفوا في متعلق باء بسم الله الرحمن الرحيم وذكر كل حسب مشربه من العلم والعرفان متعلقا لها كما أن علماء الادب اشتقوا من مادة الابتداء أو الاستعانة كلمة وجعلوها في التقدير وما ورد في بعض الروايات ايضا من أن بسم الله هي أستعين اما على وفق مذاق العامة كما أنه شائع في كثير من الروايات واختلاف الاحاديث الكثيرة محمول بهذا المعنى، ولهذا قال الرضا عليه السلام في هذا ايضا: بسم الله أي اسم نفسي بسمة من سمات الله او ان المقصود من الاستعانة ألطف مما يدركه العامة.

وبعض أهل المعرفة جعله متعلقا بظهر وقال: اي ظهر الوجود باسم الله وهذا على حسب مسلك أهل المعرفة وأصحاب السلوك والعرفان حيث أنهم يرون جميع الموجودات وذرات الكائنات وعوالم الغيب والشهادة تجليا للاسم الجامع الالهي يعني الاسم الاعظم الظاهر، فبناء على هذا فإن الاسم بمعنى الآية والعلامة أو بمعنى العلّو والارتفاع عبارة عن التجلي الفعلي الانبساطي للحق الذي يسمى الفيض المنبسط والإضافة الإشراقية لأنه على حسب هذا المسلك جميع دار التحقق من العقول المجردة الى آخر مراتب الوجود تعينات لهذا الفيض وتنزلات لهذه اللطيفة ومؤيد هذا المسلك كثير من الآيات الشريفة الإلهية والأحاديث الكريمة لأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، كما يقول في

الحديث الشريف الكافي: " ان الله خلق المشيئة بنفسها ثم خلق الاشياء بالمشيئة " وقد يوجّه هذا الحديث الشريف كل على حسب مسلكه توجيها، وأظهر التوجيهات ما يطابق هذا المسلك، وهو أن يكون المراد من المشيئة المشيئة الفعليّة وهي عبارة عن الفيض المبسط، والمراد من الاشياء مراتب الوجود التي هي عينات هذه اللطيفة وتنزلاتها فيكون معنى الحديث هكذا.

ان الله تعالى خلق المشيئة الفعلية التي هي ظلّ المشيئة الذاتية القديمة بنفسها وبلا واسطة وخلق سائر موجودات عالم الغيب والشهادة بتبعها، وللسيد المحقق الداماد (هو السيد الأجل محمد باقر بن محمد الحسيني الاستراباي المعروف بالميرداماد المحقق المدقق العالم الحكيم المتبحّر النقّاد ذو الطبع الوقّاد الذي حلى بعقود نظمه وجواهر نثره عواطل الأجياد سّمي الداماد لان والده كان صهرا للمحقق الثاني رضوان الله عليه فيدعى داماد وله من المؤلفات القبسات والرواشح السماوية الصراط المستقيم والحبل المتين وشارع النجاة وضوابط الرضاع وغير ذلك من الكتب الكثيرة وله حواش على الكافي والفقيه والصحيفة السجادية وغير ذلك وله ديوان شعر بالعربية والفارسية وحكي أنه لم يأو بالليالي الى فراشه للاستراحة مدة أربعين سنة ولم يفت منه (رحمه الله) نوافله مدة تكليفه ذهب في آخر عمره الشريف من أصبهان بمرافقة السلطان شاه صفي الى زيارة العتبات العالية فمات (رحمه الله) هناك وذلك في 1041 (غما) ودفن في النجف الأشرف) (قدس سره) مع ما له من مقام التحقيق والتدقيق توجيه عجيب للحديث المزبور، كما أن توجيه الفيض المرحوم أيضا بعيد عن الصواب.

وبالجملة، الاسم عبارة عن نفس التجلي الفعلي الذي به تحققت جميع دار التحقق وإطلاق الاسم على الأمور العينية في الأحاديث القدسية وعلى لسان الرسول الأكرم وأهل بيت العصمة عليهم السلام كثير، مثل ما ورد عنهم عليهم السلام: " نحن الأسماء الحسنى ".. وفي الأدعية الشريفة: " وباسمك الذي تجليت به على فلان " كثيرة.

ويحتمل أن يكون بسم الله في كل سورة متعلقا بتلك السورة، فمثلا بسم الله سورة الحمد المباركة متعلق بالحمد وهذا مطابق للذوق العرفاني ومسلك أهل المعرفة لأنه إشارة الى أن حمد الحامدين وثناء المثنين ايضا بقيمومة اسم الله، فبناء على هذا فالتسمية في مقدمة جميع الاقوال والأفعال التي هي من جملة المستحبات للتذكر بأن كل قول وفعل (لابد وأن يتحقق بقيمومة اسم الله، فبناء على هذا الاحتمال معنى بسم الله الرحمن الرحيم في أوائل السور) (ما ذكر بين القوسين لم يكن فيما عندي من النسخة ويحتمل أن يكون سقطا من العبارة فمع الاعتذار عن الاستاذ أضيفت تلك الجملات لانسجام المطلب -- المترجم) يختلف. وقال الفقهاء لابد وأن يتعين بسم الله الرحمن الرحيم لكل سورة فإذا قرأ بسم الله بنية سورة في الصلاة فلا يجوز ابتداء سورة اخرى بتلك التسميه، وهذا القول على المسلك الفقهي لا يخلو من وجه، وعلى هذا التحقيق وجيه، وبالنظر الى اضمحلال الكثرات في حضرة اسم الله الأعظم فلبسم الله في جميع السور معنى واحد كما أن هاتين النظرتين موجودتان في مراتب الوجود ومنازل الغيب والشهود. فبنظر الكثرة ورؤية التعينات والموجودات متكثرة ومراتب الوجود وتعينات عالم الأسماء مختلفة، فرحمانية ورحيمية وقهرية ولطفية، وفي نظر اضمحلال الكثرات وانمحاء انوار الوجودية في النور الأزلي للفيض المقدس، فليس من سوى الفيض المقدس والاسم الجامع الإلهي خبر ولا اثر، وهذان النظران موجودان في الأسماء والصفات الإلهية ايضا، فبالنظر الاول فحضرة الواحدية مقام كثرة الأسماء والصفات وان جميع الكثرات من تلك الحضرة، وبالنظر الثاني ليس من سوى حضرة اسم الله الأعظم اسم ولا رسم وهذان النظران حكميان وبقدم الفكر، وأما إذا كان النظر نظر العارف بفتح أبواب القلب وبقدم السلوك والرياضات القلبية فيتجلى الحق تعالى بالتجليات الفعلية والاسمية والذاتية لقلوب اصحاب التجلي تارة بنعت الكثرة وطورا بنعت الوحدة. وقد أشير الى هذه التجليات في القرآن الشريف تارة بالصراحة مثل قوله تعالى: {فَلَمَّا

تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسَى صَعِقًا} (الأعراف - 143) وأخرى بالإشارة مثل مشاهدات ابراهيم ورسول الله صلى الله عليه وآله المذكورة في سورتي الأنعام والنجم والإشارة إلى ذلك في الأخبار وأدعية المعصومين عليهم السلام كثيرة خصوصا في دعاء السمات العظيم الشأن الذي لا يتجرأ المنكرون على إنكار سنده ومتنه وهو مقبول للعامة والخاصة، والعارف والعامي، وفي ذلك الدعاء الشريف من المضامين العالية والمعارف الكثيرة ما يغشي شميمة قلب العارف ونسيمه ينفخ النفخة الإلهية في روع السالك مثل قوله: " وبنور وجهك الذي تجليت به للجبل فجعلته دكا وخر موسى صعقا وبمجدك الذي ظهر على طور سيناء فكلمت به عبدك ورسولك موسى بن عمران عليه السلام وبطلعتك في ساعير وبظهورك في جبل فاران " .

وبالجملة، لابد للسالك إلى الله في وقت التسمية أن يفهم قلبه أن جميع الموجودات الظاهرة والباطنة وجميع عوالم الغيب والشهادة تحت تربية أسماء الله، بل ظاهرة بظهور أسماء الله وجميع حركاته وسكناته وجميع العالم بقيمومية اسم الله الأعظم، فمحامده للحق وعبادته وإطاعته وتوحيده وإخلاصه كل ذلك بقيمومة اسم الله، فإذا أحكم واستقر هذا المقام وهذه اللطيفة الإلهية في قلبه بواسطة التذكر الشديد الذي هو غاية العبادات، كما قال تعالى في خلوة الأنس ومحفل القدس لكليمه موسى بن عمران: {إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي } (طه - 14) . فجعل غاية إقامة الصلاة ذكره، فبعد التذكر الشديد يفتح لقلب العارف طريق آخر من المعارف ويجذب الى عالم الوحدة حتى يكون لسان حاله وقلبه بالله الحمد لله وأنت كما أثنيت على نفسك وأعوذ بك منك.

هذا إجمال من سر تعلق باء بسم الله، ونبذة من المعارف التي يستفاد منها.

وأما أسرار الباء ونقطة تحت الباء التي باطنها مقام الولاية العلوية ومقام جمع الجمع القرآني فيستلزم مجالا أوسع.

وأما حقيقة الاسم فإن لها مقاما غيبيا وغيب الغيبي، وسريا وسر السرّي، ومقام ظهور وظهور الظهور، وحيث أن الاسم علامة للحق وفان في الذات المقدسة فكل اسم يكون أقرب الى أفق الوحدة وأبعد من عالم الكثرة فهو في الأسمية أكمل، وأتم الأسماء اسم يكون مبرأ عن الكثرات حتى عن الكثرة العلمية وهو التجلي الغيبي الأحدي الأحمدي في حضرة الذات بمقام الفيض الأقدس، ولعله تشير إليه كريمة أو أدنى وبعده التجلي بحضرة اسم الله الأعظم في الحضرة الواحدية، وبعده التجلي بالفيض المقدس، وبعده التجليات بنعت الكثرة في حضرات الأعيان الى أخيرة دار التحقق، وقد كتبت تفصيل هذا الإجمال في رسالتي مصباح الهداية وشرح دعاء السحر (طبعت هاتان الرسالتان بترجمة منّي في إيران وبتعليقات مني أيضا في بيروت وهما من أنفس الكتب في العرفان).

والله مقام الظهور بالفيض المقدس إن كان المراد بالاسم التعينات الوجودية وإطلاق الله له من جهة اتحاد الظاهر والمظهر وفناء الاسم في المسمى بلا إشكال. ولعل كريمة {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} (النور - 35) وكريمة {هُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ} (الزخرف - 84) تكون إشارة الى هذا المَقام وشاهدا لهذا الإطلاق ، وان كان المراد من الاسم مقام التجلي بالفيض المقدس فالله مقام الواحدية وجمع الأسماء، وبعبارة أخرى مقام الاسم الأعظم، ولعل هذا أظهر من سائر الاحتمالات وان كان المقصود من الاسم: الاسم الأعظم، فمقام الذات أو مقام الفيض الأقدس ويختلف مقام الرحمن الرحيم على حسب هذه الاحتمالات كما هو ظاهر.

والرحمن الرحيم يمكن أن يكونا صفتي الاسم ويمكن أن يكونا صفتي الله والأنسب أن يكونا صفتي الاسم لأنهما في التحميد صفتي الله فعلى هذا تكون مصونة من احتمال التكرار وان كان له توجيه حتى إذا كانا صفة لله، وفي التكرار أيضا نكتة البلاغة وان أخذناهما صفة للاسم فيؤيد أن المراد من الاسم الأسماء العينية لأن المتصف بالصفات الرحمانية والرحيمية ليس إلاّ الأسماء العينية، فإذا كان المراد من الاسم الإسم الذاتي والتجلي بالمقام

الجمعي فالرحمانية والرحيمية من الصفات الذاتية التي ثبتت لحضرة اسم الله في التجليات بمقام الواحدية، والرحمة الرحمانية والرحيمية الفعلية من تنزلاتها ومظاهرها. وان كان المراد من الاسم التجلي الجمعي الفعلي وهو مقام المشيئة، فالرحمانية والرحيمية من صفات الفعل، فالرحمة الرحمانية هي بسط أصل الوجود وهي عامة لجميع الموجودات ولكنها من الصفات الخاصة للحق لأنه ليس له شريك في بسط أصل الوجود. وسائر الموجودات قاصرة الأيدي من الرحمة الايجادية ولا مؤثر في الوجود إلاَّ الله ولا اله في دار التحقق إلاَّ الله. وأما الرحمة الرحيمية وهداية هداة الطريق أيضا من رشحاتها فهي مخصوصة للسعداء والفطر التي من العليّين ولكنها من الصفات العامة التي لسائر الموجودات أيضا منها حظ ونصيب، وان كنا أشرنا سابقا أن الرحمة الرحيمية أيضا من الرحمة العامة وعدم شمولها الأشقياء من جهة نقصانهم لا من ناحية تحديد الرحمة، ولهذا كانت الهداية والدعوة عامة لجميع العائلة البشرية كما يدل عليه القرآن الشريف، وبنظر آخر الرحمة الرحيمية أيضا مختصة للحق تعالى وليس لغيره فيها شركة. وفي الروايات بينت الرحمة الرحيمية بما يختلف على حسب اختلاف النظر والاعتبار فتارة قالوا " إن الرحمن اسم خاص لصفة عامة، والرحيم اسم عام لصفة خاصة " وقالوا " الرحمن بجميع خلقه والرحيم بالمؤمنين خاصة "، وقالوا " يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة " وأخرى " يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما ".

تحقيق عرفاني: إن علماء الأدب قالوا: أن الرحمن والرحيم مشتق من الرحمة وللمبالغة ولكن المبالغة في الرحمن أكثر منها في الرحيم والقياس يقتضي أن يكون الرحيم مقدما على الرحمن ولكن الرحمن حيث إنه بمنزلة العلم الشخصي ولا يطلق على سائر الموجودات فلذا قدم وقال البعض أن كليهما بمعنى واحد وتكرارهما لمحض التأكيد.

وأما الذوق العرفاني الذي نزل القرآن بأعلى مراتبه فيقتضي أن يكون الرحمن مقدما على الرحيم لأن القرآن الشريف عند أصحاب القلوب

نازلة التجليات الإلهية والصورة الكتبية للأسماء الحسنى الربوبية، وحيث أن اسم الرحمن أكثر الأسماء الإلهية إحاطة بعد الاسم الأعظم وقد حقق عند أصحاب المعرفة أن التجلي بالأسماء المحيطة مقدم على التجلي بالأسماء المحاطة، وكل اسم يكون أكثر إحاطة فالتجلي به أيضا مقدم، فلذا كان التجلي الأول في الحضرة الواحدية التجلي باسم الله الأعظم وبعده التجلي بمقام الرحمانية، وان التجلي بالرحيمية بعد التجلي بالرحمانية وهكذا في التجلي الظهوري الفعلي أيضا التجلي بمقام المشيئة الذي هو الاسم الأعظم في هذا المشهد وظهور الاسم الأعظم الذاتي مقدم على جميع التجليات، والتجلي بمقام الرحمانية الذي له الإحاطة على جميع موجودات عالم الغيب والشهادة، والية الإشارة {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} (الأعراف - 156) مقدم على سائر التجليات واليه يشير سبقت رحمته غضبه ببعض الوجوه.

وبالجملة، حيث أن بسم الله على حسب الباطن والروح صورة التجليات الفعلية، وعلى حسب السر وسرّ السرّ صورة التجليات الأسمائية بل الذاتيه والتجليات المذكورة هي التجليات بمقام الله أولا وبعده بمقام الرحمن وبعد بمقام الرحيم، فلا بد أن تكون صورتها اللفظية والكتبية أيضا كذلك حتى تطابق النظام الإلهي والرباني، وأما تأخر الرحمن الرحيم في السورة المباركة الحمد عن رب العالمين فلعله من جهة أنه في بسم الله النظر الى ظهور الوجود من مكامن غيب الوجود، وفي السورة الشريفة النظر الى الرجوع والبطون وفي هذا الاحتمال إشكال، ولعل التأخر إشارة الى إحاطة الرحمة الرحمانية والرحيمية، ولعله لنكتة أخرى، وعلى كل حال ما ذكر من النكتة في بسم الله جدير بالتصديق ولعلها من بركات الرحمة الرحيمية في قلبي، قلب الأقل وله الحمد على ما أنعم.

بحث وتفصيل:

قال علماء الظاهر أن الرحمن والرحيم مشتقة من الرحمة ومأخوذ فيها العطوفة والرقة. وروي عن ابن عباس (رضي الله عنه) أنهما " اسمان

رقيقان أحدهما أرق من الآخر فالرحمن الرقيق والرحيم العطوف على عباده بالرزق والنعم ".
وحيث أن العطوفة والرقة يلزمها الانفعال، فمن هذه الجهة قالوا بالتأويل والتوجيه في إطلاقهما على الذات المقدسة وذهبوا الى أنه مجاز، وبعض على أن مطلق الأوصاف من هذا النحو من قبيل: خذ الغايات واترك المبادئ. فإطلاقها للحق بلحاظ الآثار والأفعال لا بلحاظ المبادئ والأوصاف فمعنى الرحمن والرحيم للحق تعالى من هذا القبيل أو ما يقرب منه وبناء عليه فإطلاقها أيضا على الحق مجاز، وعلى كل حال فكونها مجازا بعيد وخصوصا في الرحمن فإنه بناء على المجازية لا بد أن يلتزم بأمر عجيب وهو أن هذه الكلمة قد وضعت لمعنى لا يجوز الاستعمال فيه ولا يمكن، وفي الحقيقة هذا مجاز بلا حقيقة فتأمل.
وقال أهل التحقيق في جواب الإشكالات من هذا النوع أن الألفاظ موضوعة للمعاني العامة والحقائق المطلقة، فبناء على هذا فالتقييد بالعطوفة والرقة ليس داخلا في الموضوع له، وفيما وضع له لفظ الرحمة، وهذا التقييد هو مخترع الأذهان العامية وإلا فلا دخل له في أصل الوضع ، وهذا المطلب بعيد عن التحقيق ظاهرا لأنه من المعلوم أن الواضع أيضا أحد هذه الأشخاص المتعارفة ولم يلاحظ في حين الوضع المعاني المجردة والحقائق المطلقة، نعم لو كان الواضع هو الحق تعالى أو الأنبياء بالوحي أو الإلهام الإلهيين لكان لهذا المطلب وجه ولكن هو أيضا غير ثابت.
وبالجملة، فظاهر هذا الكلام مخدوش ولكن ليس من المعلوم أن يكون هذا الظاهر أيضا مقصودا لأهل التحقيق بل يمكن أن يقال في بيان هذا المطلب أن واضع اللغات وان لم يلاحظ في حين الوضع المعاني المطلقة المجردة ولكن ما وضعت له الألفاظ في إزائه هو المعاني المجردة المطلقة، فمثلا لفظ النور إذا أراد الواضع أن يضعه فما كان في لحاظه من الأنوار وان كانت هذه الأنوار الحسية العرضية لأنه ما كان يدرك ما وراء هذه الأنوار ولكن ما وقع لفظ النور في إزائه هو الجهة النورية لا جهة اختلاط النور بالظلمة بحيث لو قيل له بأن هذه

الأنوار العرضية المحدودة ليست نورا صرفا بل هي نور مختلط بالظلمة والفتور. فهل وضعت لفظ النور بإزاء تلك الجهة النورية أو بإزاء النورية والظلمانية، فبالضرورة كان الجواب انه في إزاء جهة النورية، وأما جهة الظلمة فليس لها دخل في الموضوع له بوجه من الوجوه كما أنا كلنا نعلم أن الواضع حينما وضع لفظ النار ما كان في نظره غير النيران الدنيوية وما كان سببا لانتقاله الى هذه الحقيقة هو النيران الدنيوية وكان غافلا عن نار الآخرة ونار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة خصوصا إذا لم يكن معتقدا بعالم الآخرة، ومع ذلك لا تكون هذه الوسيلة للانتقال موجبة للتقييد في الحقيقة بل النار وقعت بإزاء الجهة النارية فلا نقول أن الواضع جرد المعاني حتى يكون أمرا مستغربا بعيدا بل نقول أن الألفاظ وقعت في إزاء تلك الجهات للمعاني من دون التقييد بقيد، فبناء على هذا ليس ثمة جهة للاستبعاد في الأمر وكلما كان المعنى خاليا من الغرائب والأجانب فهو الى الحقيقة أقرب ومن شائبة المجاز أبعد، مثلا كلمة نور وهي موضوعة لما فيه جهة الظاهرية بالذات والمظهرية للغير وان كان إطلاقها على هذه الأنوار العرضية الدنيوية لا يخلو من الحقيقة لأن في إطلاقها عليها لم نلاحظ الجهة المحدودية والاختلاط بالظلمة، بل الملاحظ هو الظهور الذاتي والمظهرية ولكن إطلاقها على الأنوار الملكوتية التي ظهورها أكمل وبأفق الذاتية ومظهريتها كما وكيفا أكثر، واختلاطها بالظلمة والنقص أقل، الى الحقيقة أقرب، وإطلاقها على الذات المقدسة جل وعلا وهو نور الأنوار وخالص من جميع جهات الظلمة وصرف النور والنور الصرف حقيقة محضة وخالصة بل يمكن أن يقال أن النور لو كان موضوعا للظاهر بذاته والمظهر لغيره فإطلاقه على غير الحق تعالى حقيقة عند العقول الجزئية وأما عند العقول المؤيدة وأصحاب المعرفة فمجاز، وإطلاقه على الحق تعالى حقيقة فقط وهكذا جميع الألفاظ التي وضعت للمعاني الكمالية يعني الأمور التي من سنخ الوجود والكمال، فبناء على ذلك نقول أن في بسم الله الرحمن الرحيم

والعطوف و الرؤوف وأمثالها جهة كمال وتمامية وجهة انفعال ونقص وهذه الألفاظ موضوعة بإزاء تلك الجهة الكمالية التي هي أصل تلك الحقيقة، وأما الجهات الانفعالية التي هي من لوازم النشأة وأجانب الحقيقة وغرائبها والتي تتلازم وتتشابك معها بعد تنزل هذه الحقائق في البقاع الإمكانية والعوالم النازلة الدنيوية كالظلمة التي اختلطت بالنور في النشأة النازلة، فلا دخل لها في المعنى الموضوع له، فإطلاقه على موجود واجد لجهة الكمال مبرئ من جهات الانفعال والنقص صرف الحقيقة وحقيقة صرفة.

وهذا المطلب بهذا البيان مضافا الى أنه قريب من ذوق أهل المعرفة مناسب لوجدان أهل الظاهر أيضا فعلى هذا فقد علم أن إطلاق هذا النحو من أوصاف الكمال التي اختلطت مع أمر آخر وتلازمت معه في بعض النشآت بعد التنزل، والذات المقدسة الحق جلّت عظمته منه مبرأ فإطلاقه على الحق تعالى ليس بمجاز، والله الهادي.

قوله: الحمد لله يعني جميع أنواع الحمد مختصة بذات الألوهية المقدسة.

اعلم أيها العزيز أن تحت هذه الكلمة الشريفة سر التوحيد الخاص بل أخص الخواص.

واختصاص جميع المحامد من جميع الحامدين للحق تعالى على حسب البرهان واضح مبين عند أصحاب الحكمة وأئمة الفلسفة العالية لأنه قد لزم بالبرهان أن جميع دار التحقق ظل منبسط وفيض مبسوط لحضرة الحق وجميع النعم الظاهر وباطنة من أي منعم، وان كانت على حسب الظاهر، وفي أنظار العامة من ذاك المنعم فهي من الحق تعالى جل وعلا وليس لأحد من الموجودات فيها شركة، حتى أن الشركة الإعدادية أيضا عند أهل الفلسفة العامية لا الفلسفة العالية، فحيث أن الحمد في مقابل النعمة والأنعام والإحسان، وليس في دار التحقيق منعم سوى الحق فجميع المحامد مختصة له، وأيضا ليس جمال وجميل سوى جماله وسواه، فالمدائح أيضا ترجع إليه.

وببيان آخر كل حمد ومدح من كل حامد ومادح بإزاء جهة النعمة والكمال ومحال النعمة

والكمال وموردهما التي تنقصهما وتحددهما ليس دخيلا في الحمد والمدح بوجه من الوجوه بل مناف ومضاد لهما، فالمحامد والمدائح كلها ترجع الى حظ الربوبية وهو الكمال والجمال لا الى حظ المخلوق وهو النقص التحديد.

وببيان آخر من الفطر الإلهية التي فطر جميع الخلق عليها ثناء الكامل وشكر المنعم وحمده.

وأيضا من الفطر الإلهية التنفّر من النقص والناقص ومنقص النعمة. وحيث أن النعمة المطلقة الخالصة من أي شوب أو نقص والجمال والكمال التام التمام المبرأ من كل نقص، مختصة بالحق وسائر الموجودات تنقص النعم المطلقة والجمال المطلق وتحددهما دون أن تزيدهما وتأيدهما ففطرة جميع الناس حامدة ومادحة للذات المقدسة ومتنفرة من سائر الموجودات إلاّ الموجودات التي فنيت في ذات ذي الجلال على حسب السير في ممالك الكمال وبلاد العشق فإن العشق والمحبة لتلك الموجودات وحمدها ومدحها عين العشق بالحق وحمده (حب خاصان خدا حب خدا أست) (مصراع بيت للمولى العارف الرومي (حب المخصوصين بالله هو حب الله).

وما ذكر الى هنا أيضا على حسب مقامات المتوسطين الذين فيهم بقية من حجاب الكثرة ولم يبرؤوا من جميع مراتب الشرك الخفيّ والأخفى ولم يصلوا الى كمال مراتب الخلوص الإخلاص، وأما على حسب عرفان أصحاب القلوب الفانية في بعض الحالات الخاصه، فجميع النعم والكمال والجمال والجلال صورة التجلي الذاتي وجميع المحامد والمدائح مرتبطة بذات الحق تعالى المقدسة، بل المدح والحمد من نفسه لنفسه، كما يشير الى هذا المعنى تعلق بسم الله بالحمد لله.

واعلم أن السالك الى الله والمجاهد في سبيل الله لا بد له أن لا يقتنع بالحد العلمي لهذه المعارف ولا يصرف جميع عمره في الاستدلال الذي هو حجاب بل الحجاب الأعظم لأن هذه المرحلة لا يمكن طيها بالرجل الخشبية بل ولا بطائر سليمان (الرجل الخشبية التي يأخذها المعوق تحت إبطيه ويمشي بها، هنا إشارة الى بيت معروف من المولى العارف الرومي يقول: (باي

استدلاليان بود   پاي جوبين سخت بي تمكين بود)
الإستدلاليون يمشون في طريق العلم بالرجل الخشبية فكما أنه لا يمكن الاعتماد عليها فإنها تنكسر فكذلك لا يمكن الاعتماد على الاستدلال. وهذا في مقابل الشهود والعيان وأما طائر سليمان فتعبير دائر في لسان الشعراء يكنّون به عن سرعة السير كما يقول الحافظ الشيرازي - قطع اين مرحلة با مر غ سليمان كردم - تنهيت هذه المرحلة بمساعدة طائر سليمان.
إن هذا الوادي وادي المقدسين وهذه المرحلة مرحلة الأحرار، فما لم يخلع نعلي حب الجاه والشرف والأهل والولد وما لم يلق عصا الاعتماد والتوجه الى الغير عن اليمين لا يمكن وضع القدم على الوادي المقدس الذي هو مكان المخلصين ومنزل المقدسين، وإذا خطى السالك في هذا الوادي بحقائق الإخلاص وألقى الكثرات والدنيا (وهي خيال في خيال) ورواء ظهره فإن بقي فيه بقايا من الأنانية فيؤيد من عالم الغيب ويندك جبل انّيته بالتجليات الإلهية وتحصل له حالة الصعق والفناء، وقبول هذه المقامات للقلوب القاسية التي ليس عندها خبر سوى الدنيا وحظوظها ولا تتعارف إلاّ بالغرور الشيطاني يكون صعبا جدا وينسب الى نسج الأوهام مع أن الفناء الذي نحن الآن فيه بالنسبة الى الطبيعة والدنيا بحيث أننا غافلون بالكلية عن عوالم الغيب التي هي أظهر من جميع الجهات من هذا العالم، بل إننا غافلون عن الذات وصفات الذات المقدسة التي يختص بها الظهور (وقد أشار الى ذلك مولانا أبي عبد الله عليه السلام في دعاء عرفة " ألغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك) ونتشبث لإثبات تلك العوالم والذات المقدسة للحق جلا وعلا بذيل البرهان والاستدلال أغرب وأعجب بمراتب من الفناء الذي يدعيه أصحاب العرفان والسلوك.
حيرت اندر حيرت آمد زين قصص
بيهشيّ خاصكان اندر اخص (اخس) (الشعر للعارف الرومي ذكره في ضمن نقل رواية يرويها أن رسول الله صلى الله عليه وآله استدعى جبرائيل أن يريه

صورته الأصلية فظهر جبرائيل في صورته الأصلية وقد ملأت المشرقين فخرّ رسول الله صلى الله عليه وآله مغشيا عليه ثم يقول ان الحيرة في الحيرة تأتي من جهة أنه كيف يمكن أن يكون الخاص مدهوشا في الأخص فذكر الأستاذ مدّ ظله التفصيل المذكور في المتن للأخص. فتدبر).

وإن كان الأخص بالصاد فليس لشدة الحيرة حينئذ مجال لان فناء الناقص في الكامل أمر طبيعي وموافق للسنة الإلهية فالحيرة في الحيره في محل يكون الأخس بالسين كما أن هذا الصعق والفناء متحقق الآن لنا أجمع وقد انغمرت أسماعنا وأبصارنا في الطبيعة الى حد ليس لنا أي خبر من ضوضاء عالم الغيب.

نقل وتحقيق:

اعلم أن علماء الأدب والظاهر قالوا ان الحمد هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري وحيث أنهم غافلون عن جميع الألسنة غير هذا اللسان اللحمي فلهذا حملوا تسبيح الحق تعالى وتحميده بل مطلق كلام ذاته المقدسة على نوع من المجاز وكذلك يحملون كلام الموجودات وتسبيحها على المجاز فيرون أن التكلم للحق تعالى عبارة عن إيجاد الكلام ويقولون أن التسبيح والتحميد في سائر الموجودات هو التسبيح والتحميد الذاتي التكويني، فهؤلاء في الحقيقة يحصرون النطق في نوع البشر ويظنون أن الذات المقدسة الحق جل وعلا وسائر الموجودات غير ناطقة، بل نعوذ بالله، يظنونها خرساء ويتوهمون أن ذلك تنزيه للذات المقدسة مع أن هذا تحديد بل تعطيل (بين في الروايات الواردة عن الأئمة المعصومين أن التوحيد عبارة عن إخراج الذات المقدسة عن حدّ التعطيل والتشبيه ولتفصيل الكلام محل آخر) والحق سبحانه منزه عن هذا التنزيه، كما أن الغالب لتنزيهات العامة التحديد والتشبيه، ونحن ذكرنا من قبل كيفية وضع الألفاظ للمعاني العامة والمطلقة ، والآن نقول أنا لا نتقيد بالصدق اللغوي أو لزوم تحقق الحقيقة اللغوية في هذه الحقائق الإلهية بل الميزان في هذه المباحث هو صحة الإطلاق ووجود الحقيقة العقلية

وان كانت الحقيقة اللغوية أيضا ثابتة بالبيان السابق فنقول: أن للسان و التكلم والكلام والكتابة والكتاب والحمد والمدح مراتب على حسب النشآت الوجودية تتناسب كل مرتبة مع نشأة من النشآت ومرتبة من مراتب الوجود وحيث أن الحمد في كل مورد على جميل والمدح على جمال وكمال فالحق جلّ وعلا على حسب علمه الذاتي شاهد جماله الجميل في حضرة غيب الهوية بأتمّ مراتب العلم والشهود فكان مبتهجا بذاته الجميلة أشد مراتب الابتهاج (قولنا مبتهج بذاته لا يذهب عليك أن إطلاق لفظ الابتهاج في حقه تعالى وكذلك ألفاظ العشق والحبّ وأمثالهما التي تلازم نوعا من التجدد والحدوث والانفعال والإمكان هو على حسب معانيها العامة المتعارفة بل إنها أيضا من الألفاظ التي وضعت للمعاني المجردة وإطلاقها على الحق تعالى كإطلاق العطوف والرحمن وأمثالهما وهذه الأمور ليست من الأمور التي يستقيم بالإفهام العرفية لعوام الناس بل تحتاج الى بحث دقيق فلسفي وذوق فوار عرفاني رزقنا الله وإياكم. " المؤلف دام ظله ")

فتجلي بالتجلي الأزلي بأعلى مراتب التجليات في حضرة الذات لحضرة الذات وهذا التجلي وإظهار ما في المكنون الغيبي والمقارعة الذاتية هو الكلام الذاتي الذي وقع بلسان الذات في حضرة الغيب ومشاهدة هذا التجلي الكلامي هو سمع الذات، وثناء الذات هذا لذات الحق هو ثناء الحق وتعجز سائر الموجودات عن إدراكه كما أن الذات المقدسة للنبي الخاتم الذي هو أقرب الموجودات وأشرفها يعترف بالعجز ويقول " لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك " ومعلوم أن إحصاء الثناء فرع المعرفة بالكمال والجمال، وحيث أن المعرفة التامة للجمال المطلق لا تحصل، فالثناء الحقيقي لا يقع وغاية معرفة أصحاب المعرفة عرفان العجز عن المعرفة.

ويقول أهل المعرفة: إن الحق تعالى يحمد ويمدح نفسه بالألسنة الخمسة وهي لسان الذات من حيث هي، ولسان أحدية الغيب، ولسان الواحدية الجمعية، ولسان الأسماء التفصلية، ولسان الأعيان، وهذه الألسن غير لسان الظهور الذي أوله لسان

المشيئة الى آخر مراتب التعيينات أي لسان الكثرات الوجودية.

واعلم أن لجميع الموجودات حظا بل حظوظا من عالم الغيب الذي هو الحياة محضا والحياة سارية في جميع دار الوجود، وهذا المطلب ثابت عند أرباب الفلسفة العالية بالبرهان وعند أصحاب القلوب والمعرفة بالمشاهدة والعيان، وتدل عليه الآيات الشريفة وأخبار أولياء الوحي عليهم الصلاة والسلام دلالة تامة، والمحجوبون من أهل الفلسفة العامية وأهل الظاهر حيث لم يدركوا نطق الموجودات قاموا بتأويله وتوجيهه.

ومن العجيب أن أهل الظاهر الذين كانوا يطعنون أهل الفلسفة بأنهم يؤوّلون كتاب الله على حسب عقولهم أولوا في هذه الموارد الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة على كثرتها بمجرد أنهم لم يدركوا نطق الموجودات مع أنه ليس بيدهم برهان فيؤولون القرآن من دون برهان، وعلى مجرد الاستبعاد.

بالجملة، إن دار الوجود أصل الحياة وحقيقة العلم والشعور وتسبيح الموجودات تسبيح نطقي شعوري إرادي لا التكويني الذاتي الذي يقوله المحجوبون، ولجميع الموجودات على حسب حظها من الوجود معرفة بمقام الباري جلت عظمته، وحيث أنه ليس لموجود الاشتغال بالطبيعة والانغمار في الكثرة الى الحد الذي هو للإنسان فلهذا كانت محجوبية الإنسان أكثر من جميع الموجودات إلاَّ أن يخرج من جلباب البشرية ويخرق حجب الكثرة والغيرية فيشاهد جمال الجميل بلا حجاب فيكون حمده ومدحه أجمع المحامد والمدائح، وهو إذاً يثني على الحق ويعبده بجميع الشؤون الإلهية وكل الأسماء والصفات.

تتميم:

اعلم أن الكلمة الشريفة " الحمد لله " على حسب ما بيناه من الكلمات الجامعة التي إذا حمد بها الحق تعالى بلطائفها وحقائقها فقد أدى حق الحمد بقدر ما في الطاقة البشرية، ولهذا وردت في الروايات الشريفة الإشارة الى هذا المعنى كما عن

باقر العلوم سلام الله عليه ما مضمونه أنه خرج من دار وليس مركوبه على بابها فقال: لو وجد المركوب لحمدت الله حق حمده، فلمّا وجد المركوب ركب عليه وسوى ثيابه فقال الحمد لله (مصراع وبيت من أبيات العارف الرومي). وعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: " لا اله إلاَّ الله نصف الميزان والحمد لله يملؤه ".

وهذا لما بيناه من أن الحمد جامع للتوحيد أيضا.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله " قول العبد الحمد لله أثقل في ميزانه من السموات السبع والأرضين السبع ". ونقل عنه صلى الله عليه وآله ما معناه: " لو أن الله سبحانه أعطى جميع الدنيا عبداً من عباده ثم يقول العبد الحمد لله لكان قوله أفضل مما أعطى ".. وعنه صلى الله عليه وآله أيضا " ما من شيء أحب الى الله من قول القائل الحمد لله.. ولهذا أثنى الله به على نفسه " والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

قوله تعالى رب العالمين: الرب إذا كان بمعنى المتعالي والثابت والسيد فهو من الأسماء الذاتية، وإذا كان بمعنى المالك والصاحب والغالب والقاهر فهو من الأسماء الصفاتية، وان كان بمعنى المربّي والمنعم والمتمم فهو من الأسماء الأفعالية.

والعالم ان كان عبارة عن سوى الله الشامل لجميع مراتب الوجود ومنازل الغيب والشهود فلا بد أن يعد الرب من أسماء الصفات وان كان المراد من العالم عالم الملك الذي هو تدريجي الحصول والكمال، فالمراد من الرب اسم الفعل ، وعلى أي حال ليس المراد منه هنا اسم الذات ولعله بقرينة أن المراد من العالمين هذه العوالم الملكية التي تحت التربية والتمشية الإلهية حتى تصل الى كمالها اللائق، فإن المراد من الربّ هو المربّي الذي هو من أسماء الأفعال.

واعلم أننا نكف في هذه الرسالة عن ذكر الجهات التركيبية واللغوية والأدبية للآيات الشريفة فقد تعرّض لها العلماء غالبا، وإنما نذكر هنا بعض الأمور التي يتعرّض لها أصلا أو ذكرت ذكرا ناقصا.

وليعلم أن أسماء الذات والصفات والأفعال التي أشير إليها فهي على طبق اصطلاح أرباب المعرفة وبعض المشايخ من أهل المعرفة قسمت الأسماء في كتاب إنشاء الدائرة الى أسماء الذات وأسماء الصفات وأسماء الأفعال، وقال إن أسماء الذات هي الله الرب الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر العلي العظيم الظاهر الباطن الأول الآخر الكبير الجليل المجيد الحق المبين الواجد الماجد الصمد المتعالي الغنيّ النور الوارث ذو الجلال الرقيب.

وأسماء الصفات هي: الحي الشكور القهار القاهر المقتدر القوي القادر الرحمن الرحيم الكريم الغفّار الغفور الودود الرؤوف الحليم الصبور البرّ العليم الخبير المحصي الحكيم الشهيد السميع البصير.

وأسماء الأفعال هي: المبدىء الوكيل الباعث المجيب الواسع الحسيب المقيت الحفيظ الخالق البارئ المصوّر الوهّاب الرّزّاق الفتاح القابض الباسط الخافض الرافع المعزّ المذلّ الحكيم العدل اللطيف المعيد المحيي المميت الوالي التوّاب المنتقم المقسط الجامع المغني المانع الضارّ النافع الهادي البديع الرشيد. (انتهى).

وذكروا في ميزان هذا التقسيم أن الأسماء وإن كانت كلها أسماء الذات ولكنها باعتبار ظهور الذات يقال لها أسماء الذات وباعتبار ظهور الصفات والأفعال يقال لها الأسماء الصفاتية والأفعالية بمعنى أن الاسم تابع لاعتبار يكون اظهر فلهذا قد يجتمع في بعض الأسماء اعتباران أو اعتبارات ثلاثة فيكون من الأسماء الذاتية والصفاتية والأفعالية، أو الاثنين من هذه مثل الرب كما ذكر.

وهذا المطلب لا يستقيم على مذاق الكاتب ولا يطابق الذوق العرفاني بل ما يبدو للنظر في هذا التقسيم أن الميزان في هذه الأسماء هو أن السالك بقدم المعرفة إذا حصل له الفناء الفعلي، فالتجليات لقلبه من الحق تعالى هي التجليات بأسماء الأفعال، وبعد حصول الفناء الصفاتي تكون التجليات الصفاتية وبعد الفناء الذاتي تكون

التجليات بأسماء الذات، وإذا كان قلبه قادرا للحفظ بعد الصحو فما يخبره من المشاهدات الأفعالية فهو أسماء الأفعال ، ومن المشاهدات الصفاتية فهو أسماء الصفات. وهكذا أسماء الذات، ولهذا المقام تفصيل لا ينبغي لهذه الأوراق.

وما ذكره في إنشاء الدائرة فهو غير صحيح طبقا للميزان الذي عيّنه نفسه كما يتضح ذلك بالنظر الى الأسماء.

ويمكن أن يقال أن هذا التقسيم الثلاثي للأسماء أشير إليه في القرآن الشريف في الآيات الأخيرة من سورة الحشر قال تعالى: " هو الله الذي لا اله إلاَّ هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم " الى آخر الآيات الشريفة، ولعل الأولى من هذه الآيات الشريفة تكون إشارة الى الأسماء الذاتية، والثانية إشارة الى الأسماء الصفاتية والثالثة إشارة الى الأسماء الأفعالية وتقديم الذاتية على الصفاتية والتجليات الصفاتية على الأفعالية على حسب ترتيب الحقائق الوجودية الإلهية لا على حسب ترتيب مشاهدات أصحاب المشاهدات والتجليات القلبية لأرباب القلوب.

ليعلم أن للآيات الشريفة رموزا أخرى لا يناسب المقام ذكرها، وأما كون الآية الثانية من الأسماء الصفاتية والثالثة من الأفعالية فواضح، و أمّا كون عالم الغيب والشهادة والرحمن والرحيم من الأسماء الذاتية فمبني على أن يكون الغيب والشهادة عبارة عن الأسماء الباطنة والظاهرة والرحمانية والرحيمية من تجليات الأقدس لا الفيض المقدس. واختصاص هذه الأسماء بالذكر مع أن الحي والثابت والرب وأمثالها يبدو للنظر أنها أقرب الى الأسماء الذاتية فلعله لإحاطتها لأنها من أمهات الأسماء، والله العالم.

تنبيه:

فقد وقع اختلاف عظيم في لفظ العالمين واشتقاقه ومعناه، فبعض على أن العالمين جمع ومشتمل على جميع أصناف الخلق من المادي والمجرد، وكل صنف هو عالم بنفسه، وهذا الجمع ليس له مفرد من جنسه، وهذا القول مشهور، وقال بعض أن العالم بفتح

اللام اسم مفعول وعالِم بكسر اللام اسم فاعل وعالمين بمعنى معلومين وهذا القول مضافا الى أنه في حد نفسه لا شاهد له وبعيد، فإطلاق رب المعلومين بارد جدا وبلا مورد. وقال بعض أن اشتقاقه من العلامة وعليه فيطلق على جميع الموجودات لأنها كلها علامة وآية للذات المقدسة والواو والنون باعتبار الاشتمال على ذوى العقول وتغليبها على سائر الموجودات.

وذهب بعض الى انه مشتق من العلم، وعلى كل حال فإطلاقه على جميع الموجودات صحيح كما أن إطلاقه على ذوي العقول أيضا وجيه ولكن العالم يطلق على ما سوى الله ويطلق العالم أيضا على كل فرد وصنف، فإن كان الذي يطلق اللفظ من أهل العرف واللغة فباعتبار أن كل فرد علامة لذات الباري وفى كل شيء له آية، وان كان عارفا إلهيا فباعتبار أن كل موجود ظهور بالاسم الجامع ومشتمل على كل الحقائق بطريق ظهور أحدية الجمع وسر الوجود ومن هذه الجهة يمكن أن يقال أن جميع العالم وكل جزء منه هو الاسم الأعظم بمقام أحدية الجمع والأسماء كلها في الكل وكذا الآيات، وبناء على ما ذكر فإيراد الفيلسوف العظيم الشأن صدر الملة والدين (قدس سره) على أمثال البيضاوي وارد لأنهم لم يتذوقوا هذا المشرب، وأما في مسلك أهل العرفان فليس بصحيح، وحيث أن الكلام البيضاوي في هذا المقام وكلام الفيلسوف المذكور طويل تركنا ذكره فمن أراد فليراجع تفسير السورة الفاتحة للفيلسوف المرحوم.

والرب إن كان من أسماء الصفات بمعنى المالك والصاحب وأشباههما فيمكن أن يكون المراد من العالمين جميع ما سوى الله سواء أكان من الموجودات لعالم الملك أو الموجودات المجردة الغيبية ، وأما إن كان من أسماء الأفعال، ولعل هذا هو الأظهر فالمراد من العالمين هو عالم الملك فقط لأن الرب حينئذ بمعنى المربّي، وهذا المعنى يستلزم التدريج والعوالم المجردة منزّهة عن التدريج الزماني و إن كان روح التدريج بمعنى متحقق في عالم الدهر عند الكاتب وبذاك المعنى أثبتنا الحدوث الزماني بمعنى روح الزمان ودهرية التدريج في العوالم المجردة

أيضا، وفي المسلك العرفاني أيضا نقول بأن الحدوث الزماني ثابت لجميع العوالم لكن لا على نحو يسعه فهم المتكلمين وأصحاب الحديث.

تنبيه آخر:

اعلم أن الحمد حيث أنه في مقابل الجميل، ويستفاد من الآية الشريفة أن الحمد والثناء ثابتة لمقام الاسم الأعظم الذي هو الاسم الجامع له مقام ربوبية العالمين والرحمة والرحمانية والرحيمية وهو مالك يوم الدين، فلا بد أن يكون لهذه الأسماء الشريفة مدخلية تامة في التحميد.

ونحن نذكر بعد ذلك في ذيل مالك يوم الدين بيانا تفصيليا عن هذا المطلب.

ونتكلم الآن من مناسبة مقام ربوبية العالمين للتحميد وهذا التناسب من جهتين.

الجهة الأولى: أن الحامد حيث أنه بنفسه من العالمين بل هو ربما يكون عالما برأسه أحيانا بل في نظر أهل المعرفة كل موجود من الموجودات عالم برأسه فيحمد الحق لأنه ربّاه بيده التربوية في مقام الربوبية فأخرجه من الضعف والنقص والوحشة والظلمة والعدم والهيولاني الى القوة والكمال والطمأنينة ونورانية العالم الإنساني وأوصله عبر المنازل الجسمية والعنصرية والمعدنية والنباتية والحيوانية تحت النظام المرتب بالحركات الذاتية والجوهرية وأنواع العشق الفطري والجبلي الى منزل الإنسانية الذي هو أشرف منازل الموجودات، وبعد ذلك أيضا يربيه الى أن يصل الى حدّ لا يتّسع في الوهم.

آنجه اندروهم نايد آن شوم
بس عدم كردم عدم جون
ارغنون كويدم كانا إليه راجعون
(مصراع وبيت من أبيات العارف الرومي)

الجهة الثانية: حيث أن تربية نظام عالم الملك من الفلكيات والعنصريات والجوهريات والعرضيات مقدمة وجود الإنسان الكامل، وفي الحقيقة هذه الوليدة عصارة عالم التحقق والغاية القصوى للعالمين ولهذه الجهة صارت الوليدة الأخيرة، وحيث أن عالم الملك متحرك بالحركة الذاتية الجوهرية

وهذه الحركة ذاتية استكماليا فأينما انتهت فهو غاية الخلقة ونهاية السير، فإذا نظرنا بالطريق الكلي الى الجسم الكلي والطبع الكل والنبات الكل والحيوان الكل والإنسان الكل، فإن الإنسان هو الوليدة الأخيرة التي وجدت بعد الحركات الذاتية الجوهرية للعالم وانتهت الحركات إليه، فيد التربية للحق تعالى فيد التربية للحق تعالى قد ربّت الإنسان في جميع دار التحقق والإنسان هو الأول والآخر.

تنبيه آخر:

وهذا الذي ذكرناه في الأفعال الجزئية وبالنظر الى مراتب الوجود وإلا فبحسب الفعل المطلق ليست لفعل الحق تعالى غاية سوى ذاته المقدسة كما هو مبرهن في محالّه، وإذا نظرنا الى الأفعال الجزئية أيضا فغاية خلقة الإنسان عالم الغيب المطلق كما ورد في القدسيات " يا بن آدم خلقت الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلي ".. وفي القرآن الشريف يخاطب موسى ابن عمران على نبينا وآله وعليه السلام ويقول {وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي } (طه - 41). وأيضا يقول: {وَأَنَا اخْتَرْتُكَ} (طه - 13). فالإنسان مخلوق لأجل الله ومصنوع لذاته المقدسة وهو المصطفى والمختار من بين الموجودات، وغاية سيره الوصول الى باب الله والفناء في ذات الله والعكوف لفناء الله ومعاده الى الله ومن الله وفي الله وبالله كما يقول سبحانه في القرآن: " إنّ إلينا إيابهم ".. وسائر الموجودات بواسطة الإنسان ترجع الى الحق تعالى بل مرجعها ومعادها الى الإنسان كما يقول في الزيارة الجامعة المظهرة لنبذة من مقامات الولاية "وإياب الخلق إليكم وحسابكم عليكم ". ويقول: " بكم فتح الله وبكم يختم ".. وفي قول الله تعالى: {إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ} (الغاشية -25-26).. وقوله عليه السلام في الزيارة الجامعة " وإياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم " سر من أسرار التوحيد وإشارة الى أن الرجوع الى الإنسان الكامل هو الرجوع الى الله لأن الإنسان الكامل فانٍ مطلق وباقٍ ببقاء الله وليس له من عند نفسه تعيّنٌ

وإنّيّة وأنانية بل هو نفسه من الأسماء الحسنى وهو الاسم الأعظم.
كما أن الإشارة الى هذا المعنى كثيرة في القرآن والأحاديث الشريفة وان القرآن الشريف قد جمع من لطائف التوحيد وحقائقه وسرائره ودقائقه ما تتحير فيه عقول أهل المعرفة وهذا هو الإعجاز العظيم لهذه الصحيفة النورانية السماوية لا أن حسن التركيب ولطف البيان وغاية الفصاحة ونهاية البلاغة وكيفية الدعوة والأخبار عن المغيبات وأحكام الأحكام وإتقان التنظيم للعائلة وأمثالها فحسب التي يكون كل واحد منها باستقلاله إعجازا فوق الطاقة وخارقا للعادة بل يمكن أن يقال أن معروفية القرآن بالفصاحة واشتهار هذا الإعجاز من بين سائر المعجزات في الآفاق لأنه كان للأعراب في الصدر الأول هذا التخصص وأدركوا هذه الجهة من الأعجاز فحسب، وأما الجهات الأخرى المهمة التي كانت فيه وكانت جهة إعجازها أرفع، وأساس إدراكها أعلى فلم يدركها أعراب ذلك الزمان، والحال أيضا أن المتحدين معهم في أفق الفهم لا يدركون من هذه اللطيفة الإلهية سوى التركيبات اللفظية والمحسنات البديعة والبيانية، أما المطلعون لأسرار المعارف ودقائقها والخبراء بلطائف التوحيد والتجريد فوجهة نظرهم في هذا الكتاب الإلهي وقبلة أمالهم في هذا الوحي السماوي إنما هي معارفه وليس لهم توجّه كثير الى الجهات الأخرى. ومن نظر الى عرفان القرآن وعرفاء الإسلام الذين اكتسبوا المعارف من القرآن وقايس بينهم وبين سائر علماء الأديان وتصنيفاتهم ومعارفهم يعرف حد معارف الإسلام والقرآن التي هي أساس الدين والديانة والغاية القصوى لبعث الرسل وإنزال الكتب ويصدق بلا مؤونة أن هذا الكتاب وحي الهي وهذه المعارف معارف إلهية.

إيقاظ إيماني:

اعلم أن الربوبية الحق جلّ شأنه للعالمين على نحوين:
الأول: الربوبية العامة التي تشارك فيها جميع موجودات العالم وهي التربية التكوينية التي توصل

كل موجود من حد النقص الى حدّ الجمال اللائق له تحت تصرف الربوبي وتقع جميع الترقيات الطبيعية والجوهرية والحركات والتطورات الذاتية والعرضية تحت التصرفات الربوبية.

وبالجملة، التربية التكوينية من منزل مادة المواد والهيولى الأولى الى المنزل الحيواني وحصول القوى الجسمانية والروحانية الحيوانية، وانّ كلا منها يشهد بأن الله جلّ جلاله ربي.

والثاني من مراتب الربوبية، الربوبية التشريعيةالمختصة بالنوع الإنساني وليس لسائر الموجودات فيها نصيب، وهذه التربية هي هداية الطرق النجاة وإراءة سبل السعادة والإنسانية والتحذير من منافياتها قد أظهرها الله سبحانه بتوسط الأنبياء عليهم السلام، فإذا وقع إنسان بقدمه الإختيارية تحت تربية رب العالمين وتصرفه وصار مربى بتلك التربية بحيث لم تكن تصرفات أعضائه وقواه الظاهرية والباطنية تصرفات نفسانية بل كانت تصرفات إلهيه وربوبية يصل الى مرتبة الكمال الإنساني المختص بالنوع الإنساني.

إن الإنسان الى أن يصل الى منزل الحيوانية يكون متماشيا مع سائر الحيوانات ومن هذا المنزل يكون أمامه سبيلان لابد أن يسلكهما بقدم الاختيار، أحداهما طريق السعادة وهي الصراط المستقيم لرب العالمين، إن ربي على صراط مستقيم.

والثانية: طريق الشقاوة وهو الطريق المعوّج للشيطان الرجيم فإن جعل قواه وأعضاء مملكته في تصرّف رب العالمين وصار مربى بتربيته فيسلم القلب وهو سلطان هذه المملكة له وإذا صار القلب مربوبا لرب العالمين فيقتدي سائر جنوده له وتصير المملكة كلها مربوبة له، وفي هذا الوقت يتمكن لسانه الغيبي وهو ظل القلب أن يجيب ملائكة عالم القبر حين تقول له من ربك ؟ بأن: الله جلّ جلاله ربي. وحيث أن هذا الشخص قد أطاع رسول الله واقتدى بأئمة الهدى وعمل بكتاب الله فينطق لسانه بقوله: محمد صلى الله عليه وآله نبيّي، وعليّ وأولاده المعصومون أئمتي والقرآن كتابي، لكنه إذا لم يصر القلب إلهيا وربوبيا ولم ينتقش نقش لا اله إلاّ الله ومحمد رسول الله وعلي ولي الله على لوح

القلب ولم يصر صورة باطنية للنفس ولم ينتسب الى القرآن بالعمل به والتفكر والتذكر والتدبّر فيه ولم يرتبط هو بالقرآن ارتباطا روحيا ومعنويا، ففي سكرات الموت وشدائده وفي حال الموت الذي هو الداهية العظمى تنمحي جميع المعارف عن خاطره.

أيا عزيزي، إن الإنسان ينسى جميع معلوماته عند ابتلائه بمرض أو ضعف قواه الدماغية إلاَّ أمورا قد صارت بشدة التذكر والأنس بها جزء من فطراته الثانوية، وإذا دهمته داهية عظمى ومخوفة فيغفل عن أكثر أموره ويخط خط النسيان على معلوماته، فماذا يكون حاله في أهوال الموت وشدائده وسكراته، وإذا كان سمع القلب غير منفتح ولم يكون قلبه سميعا فلا ينفعه تلقين العقائد حين الموت وبعد الموت، والتلقين ينفع لمن يكون قلبه خبيرا بالعقائد الحقه ويكون سمع قلبه منفتحا، وقد حصلت له غفلة ما في تلك السكرات والشدائد فيصير التلقين وسيلة الى أن يوصلها ملائكة الله الى سمعه، ولكن إذا كان الإنسان أصم ولم يكن له سمع عالم البرزخ أبدا فلا يؤثر التلقين في حاله، وقد أشير الى بعض ما قلناه في الأحاديث الشريفة.

قوله تعالى: الرحمن الرحيم:

اعلم أن لجميع الأسماء والصفات للحق تعالى جل وعلا مقامين ومرتبتين على النحو الكلّي:

أحدهما مقام الأسماء والصفات الذاتية الثابتة في الحضرة الواحدية كالعلم الذاتي الذي هو من الشؤون الذاتيه والقدرة والإرادة الذاتيتين وسائر الشؤون الذاتية.

والثاني: مقام الأسماء والصفات الفعلية الثابتة للحق بتجلي الفيض المقدس كالعلم الفعلي الذي يثبته الاشراقيون ويرونه مناطا للعلم التفصيلي، وقد أقام البرهان عليه أفضل الحكماء الخواجة نصير الدين الطوسي (هو حجة الفرقة الناجية الفيلسوف المحقق أستاذ البشر وأعلم أهل البدو والحضر محمد بن محمد بن الحسن الطوسي الجهرودي ممدوح أكابر الآفاق ومجمع مكارم الأخلاق الذي لا يحتاج الى التعريف لغاية شهرته مع أن كل ما يقال فيه فهو دون رتبته. ولد في

11جمادى الأولى سنة 597 بطوس ونشأ بها ولذلك أشتهر بالطوسي وصنّف كتبا ورسائل نافعة نفيسة في فنون العلم له تجريد الكلام وهو كتاب كامل في شأنه وصفه الفاضل القوشجي بأنه مخزون بالعجائب مشحون بالغرائب صغير الحجم وجيز النظم كثير العلم جليل الشأن حسن الانتظام مقبول الأئمة العظام ولم يظفر بمثله علماء الأعصار وهو في الأشتهار كالشمس في رابعة النهار (انتهى).

شرحه جمع من أعاظم العلماء أولهم آية الله العلامة (رحمه الله) وله كتاب التذكرة النصيرية في علم الهيئة الذي شرحه النظام النيسابوري والأخلاق الناصرية وآداب المتعلمين وأوصاف الأشراف وكتاب قواعد العقايد وتحرير المجسطي وتحرير أصول الهندسة لإقليدس الى غير ذلك. حكي أنه قدس سره قد عمل الرصد العظيم بمدينة مراغة وأتخذ في ذلك خزانة عظيمة ملأها من الكتب وكانت تزيد على أربعمئة ألف مجلّد وكان من أعوانه على الرصد من العلماء جماعة أرسل إليهم الملك هلاكوخان منهم العلامة قطب الدين الشيرازي ومؤيد الدين العروضي الدمشقي وكان متبحرا في الهندسة وآلات الرصد ومحيي الدين الأخلاطي وكان مهندسا متبحرا في العلوم الرياضية وغيرهم من الفضلاء فضبطوا حركات الكواكب.

وحكي من أخلاقه الكريمة أن ورقة حضرت إليه من شخص فكان ممّا فيها: يا كلب بن الكلب. فكان الجواب: أما قولك يا كذا فليس بصحيح لأن الكلب من ذوات الأربع وهو نابح طويل الأظفار وأما أنا فمنتصب القامة بادي البشرة عريض الأظفار ناطق ضاحك فهذه الفصول والخواص غير تلك الفصول والخواص، وأطال في نقض كل ما قاله. هكذا ردّ عليه بحسن طوية وتأنّ غير منزعج ولم يقل في الجواب كلمة قبيحة، وتوفي قدس سره في يوم الغدير سنة 673 (خعج) ودفن في جوار الإمامين موسى بن جعفر والجواد عليهما السلام في المكان الذي أعدّ للناصر العبّاسي فلم يدفن فيه.) نضر الله وجهه، وتبع الإشراقيين في هذا المعنى وهو أن الميزان في العلم التفصيلي العلم الفعلي، وهذا المطلب وان كان على خلاف التحقيق بل العلم التفصيلي ثابت في

مرتبة الذات وإنّ كشف العلم الذاتي وتفصيله أعلى وأكثر من العلم الفعلي، كما ثبت وحقق في محله على وجه البرهان النوري، ولكن أصل المطلب وهو أن نظام الوجود هو العلم الفعلي التفصيلي للحق ثابت ومحقق في سنّة البرهان ومشرب العرفان وان كان للمسلك الأعلى العرفاني وذوقه الأصلي طريقة غير هذه الطرق. (مذهب عاشق زمذهبها جدا است).

وبالجملة، إن للرحمة الرحمانية والرحيمية مرتبتين وتجليين. أحدهما:

في مجلى الذات في حضرة الواحدية بتجلي الفيض الأقدس.

والثاني في مجلى الأعيان الكونية بتجلي الفيض المقدس، ففي السورة المباركة إن كان الرحمن الرحيم من صفات الذاتية كما هو ظاهر ففي الآية الشريفة بسم الله الرحمن الرحيم يمكن أن تجعل هاتين الصفتين تابعتين للاسم، فتكونا من الصفات الفعلية، وبناء على هذا فليس في المقام تكرار أصلا حتى يقال أنه للتأكيد والمبالغة وعلى هذا الاحتمال فمعنى الآيات الشريفة والعلم عند الله يكون هكذا:

بمشيئته الرحمانية والرحيمية الحمد لذاته الرحمانية والرحيمية وكما أن مقام المشيئة هو تجلي الذات المقدسة فمقام الرحمانية والرحيمية الذي هو من تعينات مقام المشيئة تجلي الرحمانية والرحيمية الذاتيتين، وهنا احتمالات أخر تركنا ذكرها لكون هذا الاحتمال أظهر.

قوله تعالى مالك يوم الدين:

قرأ كثير من القرّاء ملك بفتح الميم وكسر اللام وذكروا لكل من هاتين القراءتين ترجيحات أدبية، حتى أن بعض الأعاظم من العلماء رحمه الله كتب رسالة في ترجيح ملك على مالك، وما ذكره الطرفان ليس مما يحصل به الاطمئنان، وما في نظر الكاتب أن مالك راجح بل متعيّن لان هذه السورة المباركة والسورة المباركة التوحيد ليستا كسائر السور القرآنية بل حيث أن الناس يقرأون هاتين السورتين في فرائضهم ونوافلهم وفي كل عصر من العصور يسمعها ملايين من المسلمين من مئات ملايين

المسلمين وهم كذلك من مئات الملايين سابقيهم وهكذا بالتسامح ثبتت هاتان السورتان الشريفتان على هذا النحو الذي يقرؤونه من دون تقدم حرف وتأخره ومن دون زيادة حرف ونقصه عن الأئمة الهداة والنبي صلى الله عليه وآله. ومع أن أكثر القراء قرؤوها ملك وكثير من العلماء رجّحوا ملك مع ذلك ما ضرّت هذه الأمور في هذا الأمر الثابت الضروري والمتواتر القطعي ولم يتبعهم الناس ومع أن العلماء يجوّزون تبعية كل من القرّاء لم يقرأ أحد في مقابل هذه الضرورة (ملك) في صلاته إلاّ الشّاذ الذي لا يعتني بقوله، وان قرأ أحد ملك قرأ مالك أيضا من باب الاحتياط، كما أن شيخنا العلاّمة في العلوم النقلية الحاج الشيخ عبد الكريم اليزدي قدس سره كان يقرأ ملك أيضا باستدعاء من أحد علمائنا الأعلام المعاصر ولكن هذا الاحتياط في غاية الضعف بل على عقيدة الكاتب مقطوع خلافه. ومن هذا البيان الذي ذكرناه علم ضعف ما قالوا أن ملك ومالك متشابهان في الخط الكوفي لأن هذا ربما يمكن أن يدعى في السور التي ليست كثيرة التداول على الألسنة على إشكال فيه أيضا، ولكن في مثل هذه السورة التي ثبوتها بالتسامع والقراءة كما هو واضح جدا دعوى بلا محتوى وقول بلا اعتبار، وهذا الكلام الذي ذكرناه جار في كفوا أيضا لأن القراءة بالواو المفتوحة والفاء المضمومة مع أنها قراءة عاصم فقط فمع ذلك هي أيضا ثابتة بالضرورة بالتسامع، وان القراءات الأخر لا تعارض هذه الضرورة وان كان البعض يحتاط بزعمه ويقرؤوها بضمّ الفاء والهمزة طبقا لقراءة الأكثر ولكن لا مورد لهذا الاحتياط ولو نوقش في الروايات التي أمر فيها بالقراءة كقراءة الناس، كما أنها أيضا محل المناقشة، ومن المظنون أن المراد من تلك الروايات أن اقرؤوا كما يقرأ عامة الناس لا أنكم مخيّرون بين القراءات السبع مثلا، فحينئذ تكون قراءة ملك وكفوا بغير ما هو مشهور بين المسلمين ومسطور في الصحف غلطا، وعلى كل حال الأحوط قراءتها على النحو المتداول بين الناس والمشهور على الألسنة والمسطور في القرآن لأن

القراءة على هذا النحو صحيحة على جميع المسالك والله أعلم.

تحقيق حكمي:

اعلم أن مالكية الحق تعالى ليست كمالكية العباد مملوكاتهم ولا كمالكية السلاطين ممالكهم لأنها إضافات اعتبارية وليست إضافة الحق الى الخلق من هذا القبيل، وان كان هذا النحو من المالكية ثابتاً للحق تعالى طولا عند علماء الفقه وهو لا ينافي ما هو ملحوظ ومذكور في هذا النظر.

وليست من قبيل مالكية الإنسان أعضاءه وجوارحه وليست أيضا من قبيل مالكيته قواه الظاهرية والباطنية وان كانت هذه المالكية أقرب الى مالكيته تعالى من سائر أنواع المالكية المذكورة سابقا. وليست من قبيل مالكية النفس لأفعالها الذاتية التي هي من شؤون النفس كإيجاد الصور الذهنية التي يكون قبضتها وبسطها الى حد تحت إرادة النفس أيضا وليست أيضا من قبيل مالكية العوالم العقلية ما دونها وان كانت تلك العوالم متصرفة في هذه العوالم بالإيجاد والإعدام لان جميع دار التحقق الإمكانية الثابت في ناصيتها ذل الفقر محدودة بحدود ومقدرة بقدر ولو بالحد الماهوي وكل ما كان محدودا بحد يكون بينه وبين فعله بينونة عزليه على قدر محدوديته وليس له إحاطة قيومية حقانية، فجميع الأشياء متباينة مع منفعلاتها ومتقابلة معها بحسب مرتبة ذاتها ولهذه الجهة ليست لها إحاطة ذاتية قيومية، وأما مالكية الحق تعالى التي هي بالإضافة الإشراقية والإحاطة القيومية مالكية ذاتية حقيقية حقة بحيث ليست شائبة البينونة العزلية بوجه من الوجوه في ذاته وصفاته لموجود من الموجودات، وان مالكية الذات المقدسة لجميع العوالم على السواء من دون أن يتفاوت بوجه لموجود من الموجودات أو أن تكون إحاطته بعوالم الغيب والمجردات أكثر أو أقرب من العوالم الأخر لأنه يستلزم المحدودية والبينونة العزلية ويلازم الافتقار والإمكان تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا كما أنه يمكن أن تكون الإشارة الى هذا المعنى قوله تعالى: {نَحْنُ

أَقْـرَبُ إِلَـيْـهِ مِـنكُمْ } (الـواقـعة- 85) ، و {نَـحْنُ أَقْـرَبُ إِلَـيْـهِ مِنْ حَبْلِ الْـوَرِيـدِ} (ق - 16) ، و {الـلَّـهُ نُـورُ الـسَّمَـاوَاتِ وَالْـأَرْضِ} (الـنور - 35) . و {هُوَ الَّـذِي فِـي الـسَّمَـاء إِلَـهٌ وَفِـي الْـأَرْضِ إِلَـهٌ} (الـزخرف - 84) و {لَـهُ مُـلْكُ الـسَّمَـاوَاتِ وَالْـأَرْضِ } (الحديـد - 2) . وقـول رسـول الله عـلى مـا نـقـل "لـو دلـيـتم بحبل الى الأرضين الـسفـلى لهبطتم عـلى الله ".

((- بحار الأنـوار - الـعلامـة المجلسي ج 55 ص 107: وقـال الـطيبي: فـيمـا رووا (لـو دلـيـتم بحبل إلى الأرض الـسفـلى لهبط عـلى الله) دلـيـتم أي أرسلـتم، وعلـى الله أي علـى علمه وقـدرتـه وسلطانـه)) .

ملاحظة: هـذا الـشرح من دار الـولايـة لـلـثـقـافـة والإعلام ولـيس من الأصل...

وقـول الـصادق عليـه الـسلام في روايـة الـكـافي " لا يخلو منـه مكـان ولا يـشتغل بـه مكـان ولا يـكـون الى مكـان أقـرب منـه الى مكـان ".. وقـول الإمـام علـي الـنقـي عليـه الـسلام (هـو الإمـام الـعـاشر والـبـدر الـبـاهـر ذو الـشرف والـكرم والمجد والأيـادي أبـو الحسن الـثـالـث علي الـنقـي الهـادي بـن محمد بـن علي بـن موسى بـن جعفـر بـن محمد بـن علي بـن الحسن بـن علي بـن أبـي طـالـب صلوات الله عـلـيهم. ولـد عليـه الـسلام بـصريـا من المـديـنـة لـلنصف من ذي الحجة سنـة 212 اثـنـتي عشرة ومـئـتين، وقـيـل يـوم الجمعة ثـانـي رجب وقـيـل خـامسه من تـلك الـسنـة. أمّـه المعظّمة الجليلـة سّمانـة المغربـيـة وفي الـدر الـنظيم هي تـعرف بـالـسيّدة وتـكـنّـى أم الـفضل. وقـبض عليـه الـسلام مسمومـا بـسرّ من رأى في يـوم الاثـنـين ثـالـث رجب سنـة 254 (رنـد) سنـة أربـع وخمسين ومـئـتين ولـه إحدى وأربـعون سنـة وأشهر. وكـانـت مـدة إمـامـتـه ثـلاثـا وثـلاثـين سنـة وأشهـرا وكـان في أيـام إمـامـتـه بـقـيـة مـلك المعتصم ثم مـلك الـواثـق ثم مـلك المتـوكـل ثم مـلك المنـتصر ثم مـلك المستعين ثم مـلك المعتـز ودفـن في داره بـسرّ من رأى وخرج أبـو محمد عليـه الـسلام في جنـازتـه وقـميصه مشقـوق وصلّى علـيه ودفـنـه وقـال المسعودي: وكـانـت وفـاة أبـي الحسن عليـه الـسلام في خلافـة المعتـز بـالله وذلـك في يـوم الاثـنـين لأربـع بـقـين من جمادي الآخرة سنـة 254 وهو ابـن أربـعين سنـة وقـيـل أبـن اثـنـين

وأربعين وقيل أكثر من ذلك. وسمع في جنازته جارية تقول ماذا لقينا في يوم الاثنين قديما وحديثا وصلى عليه احمد بن المتوكل على الله في شارع أبي أحمد في داره بسامرّا ودفن هناك (انتهى).) . "
واعلم أنه إذا كان في السماء الدنيا فهو كما هو على العرش والأشياء كلها له سواء علما وقدرة وملكا إحاطة ". ومع أن مالكية الذات المقدسة لجميع الأشياء ولجميع العوالم على السواء مع ذلك يقول في الآية الشريفة مالك يوم الدين.. وهذا الاختصاص يمكن أن يكون إمّا لأجل أن يوم الدين هو يوم الجمع، فلهذه الجهة مالك يوم الدين الذي هو يوم الجمع مالك سائر الأيام المتفرقات، والمتفرقات في النشأة الملكية هي مجتمعات في النشأة الملكوتية، وأما لان ظهور مالكية الحق وقاهريته تعالى مجده في يوم الجمع الذي هو يوم رجوع الممكنات الى باب الله وصعود الموجودات الى فناء الله.
وتفصيل هذا الإجمال على وجه يناسب هذه الرسالة هو أن نور الوجود وشمس الحقيقة مادامت في السير التنزلي والنزول عن مكامن الغيب الى عالم الشهادة، يكون سيرها في الاحتجاب والغيبة، وبعبارة أخرى في كل تنزّل وتعيّن وفي كل تعيّن وتقيّد حجاب والإنسان حيث أنه مجتمع التعيّنات والتقيدات فهو محتجب بجميع الحجب السبعة الظلمانية والحجب السبعة النورية التي هي الأرضون السبع والسموات السبع على حسب التأويل، ولعل الرد الى أسفل السافلين أيضا عبارة عن الاحتجاب بجميع أنواع الحجب، ويمكن أن يعبّر بالليل وليلة القدر عن هذا الاحتجاب لشمس الوجود وصرف النور في أفق التعينات، ومادام الإنسان محتجبا في تلك الحجب فهو محجوب عن مشاهدة جمال الأزل ومعاينة النور الأول، وحيث أن جميع الموجودات في السير الصعودي عن المنازل السافلة لعالم الطبيعة بالحركات الطبيعية التي هي في جبلة ذاتها وأودعت فيها من نور جاذبة فطرة الله بتقدير من الفيض الأقدس في الحضرة العلميّة إذا رجعت الى الوطن الأصلي والميعاد الحقيقي كما أشير الى ذلك كثيرا في الآيات الشريفة، فإنها تتخلص

ثانيا من الحجب النورانية والظلمانية وتتجلى مالكية الحق تعالى وقاهريته، ويتجلى الحق بالوحدة والقاهرية وعند ذلك إذا رجع الأخر الى الأول واتصل الظاهر بالباطن وسقط حكم الظهور وتجلت حكومة الباطن فيجيء الخطاب عن المالك على الإطلاق وليس له مخاطب سوى ذاته المقدسة لمن الملك اليوم.. وحيث أنه ليس ثمة مجيب فيقول نفسه: لله الواحد القهار.. وهذا اليوم المطلق الذي هو يوم خروج شمس الحقيقة عن حجاب أفق التعينات يوم الدين بمعنى، لأن كل موجود من الموجودات في ظل الاسم المناسب له يفنى في الحق فإذا نفخ في الصور فيظهر من ذلك الاسم ويقترن مع توابع ذلك الاسم فريق في الجنة وفريق في السعير والإنسان الكامل في هذا العالم على حسب السلوك الى الله والهجرة إليه يخرج عن هذه الحجب وتظهر وتثبت له أحكام القيامة والساعة ويوم الدين فيظهر الحق على قلبه بمالكيته في هذا المعراج الصلاتي ويكون لسانه ترجمانا لقلبه وظاهره لسانا لمشاهدات باطنه، وهذا أحد أسرار اختصاص المالكية بيوم الدين.

الهام عرشي:

اعلم أن في باب العرش وحملته اختلافات وفي ظواهر الأخبار الشريفة أيضا اختلافا وان كان الاختلاف منفيا على حسب الباطن فإن العرش في النظر العرفاني والطريق البرهاني يطلق على معان كثيرة، واحد تلك المعاني ولم أره في لسان القوم هو الحضرة الواحدية التي هي مستوى الفيض الأقدس وحملته أربعة من أمهات الأسماء وهي: الأول والأخر والظاهر والباطن، والمعني الأخر وما رأيته أيضا في لسان القوم الفيض المقدّس الذي هو مستوى الاسم الأعظم وحامله الرحمن الرحيم والرب والمالك، ومن إطلاقاته جميع ما سوى الله وحامله أربعة من الملائكة اسرافيل وجبرائيل وميكائيل وعزرائيل، والمعنى الآخر هو جسم الكل وحامله أربعة أملاك وهي صور أرباب الأنواع وقد أشير إليه في رواية الكافي. وربما أطلق على العلم ولعل المراد من العلم، العلم الفعلي للحق الذي

هو عبارة عن مقام الولاية الكبرى وحملته أربعة من الأولياء الكمّل في الأمم السابقة وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى على نبينا وآله وعليهم السلام، وأربعة من الكمّل في هذه الأمة الرسول الخاتم وأمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام، فإذا علمت هذه المقدمة فاعلم:

أنه في السورة الشريفة الحمد بعد اسم الله الذي هو إشارة الى الذات اختصت بالذكر هذه الأسماء الشريفة الأربعة وهي الرب والرحمن والرحيم والمالك، ويمكن أن يكون هذا الاختصاص لأن هذه الأسماء الشريفة الأربعة حملة عرش الوحدانية على حسب الباطن ومظاهرها الملائكة الأربعة المقرّبون للحق تعالى حملة عرش التحقق، فالاسم المبارك الرب باطن ميكائيل وهو بمظهريته للرب موكل بالأرزاق ومربي دار الوجود، والاسم الشريف الرحمن باطن اسرافيل منشأ الأرواح والنافخ في الصور وباسط الأرواح والصور كما أن بسط الوجود أيضا باسم الرحمن، والاسم الشريف الرحيم هو باطن جبرائيل الموكل على تعليم الموجودات وتكميلها. والاسم الشريف المالك هو باطن عزرائيل الموكل بقبض الأرواح والصور وإرجاع الظاهر الى الباطن، فالسورة الشريفة الى مالك يوم الدين مشتملة على عرش الوحدانية وعرش التحقق ومشيرة الى حوامله، فجميع دائرة الوجود وتجليات الغيب والشهود التي ترجمانها القرآن مذكورة الى هذا الموضع من السورة، وهذا المعنى موجود جمعا في بسم الله الذي هو الاسم الأعظم وفي الباء التي هي مقام السببية وفي النقطة التي هي سر السببية وعليّ عليه السلام هو سر الولاية والله اعلم.

تنبيه عرفاني:

لعل في تقديم الرب وذكر الرحمن والرحيم بعده وفي تأخير المالك، إشارة لطيفة الى كيفية سلوك الإنسان من النشأة الملكية الدنيوية حتى الفناء الكلي أو حتى مقام الحضور عند مالك الملوك.

فالسالك مادام في مبادئ السير فهو تحت تربية رب العالمين التدريجية لأنه أيضا من العالمين وسلوكه تحت تصرف الزمان والتدرج فإذا انسلخ عن عالم

الطبيعة المتصرمة بقدم السلوك تتجلى لقلبه مرتبة الأسماء المحيطة التي لا تتعلق بالعالم فقط الذي يغلب عليه جانب السوائيه، وحيث أن للاسم الرحمن الشريف مزيد اختصاص بين الأسماء المحيطة فلهذه الجهة قد ذكر، وحين أن الرحمن ظهور الرحمة ومرتبة البسط المطلق فقد قدم على الرحيم الأقرب الى أفق البطون.

ففي السلوك العرفاني تتجلى أولا الأسماء الظاهرة وبعدها الأسماء الباطنة لأن سير السالك من الكثرة الى الوحدة حتى ينتهي الى الأسماء الباطنية المحصنة التي منها اسم المالك، ففي التجلي بالمالكية تضمحل كثرات عالم الغيب والشهادة ويحصل الفناء الكلي والحضور المطلق فإذا تخلص عن حجب الكثرة بظهور الوحدة والسلطنة الإلهية ونال المشاهدة الحضورية فيخاطب مخاطبة حضورية ويقول: إياك نعبد. فدائرة سير السائرين أيضا بتمامها مذكورة في السورة المباركة من أخيرة حجب عالم الطبيعة الى رفع جميع الحجب الظلمانية والنورانية وحصول الحضور المطلق وهذا الحضور هو القيامة الكبرى للسالك وقيام ساعته، ولعل المقصود من المستثنى في الآية الشريفة " فصعق من في السموات ومن في الأرض إلاّ من شاء الله ". هو هذا النوع من أهل السلوك فإنه قد حصل لهم الصعق والمحو قبل النفخ الكلي في الصور، ولعل هذا المعنى أحد محتملات قول رسول الله صلى الله عليه وآله: " أنا والساعة كهاتين " وجمع بين السبابتين الشريفتين.

تنبيه أدبي:

ما رأيناه في التفاسير المتداولة أو نقل عنهم أنهم فسروا الدين بمعنى الجزاء والحساب، وقد ذكر هذا المعنى في كتب اللغة أيضا واستشهد عليه بقول الشعراء العرب، مثل قول الشاعر " واعلم بأنّ كما تدين تدان " والقول المنسوب الى س هل بن ربيعة " ولم يبق سوى العدوان دنّاهم كما دانوا " وقالوا بأن الديّان وهو من الأسماء الإلهية أيضا بهذا المعنى ولعل المراد من الدين الشريعة الحقة، وحيث أن آثار الدين تظهر في يوم القيامة وتلقي

الستار عن وجه الحقائق الدينية فيحق أن يقال لذاك اليوم يوم الدين، كما أن يومنا هذا هو يوم الدنيا لأنه يوم ظهور آثار الدنيا ولم تظهر صورة حقيقة الدين بعد، وهذا يشبه قوله تعالى: {وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّام اللّهِ } (إبراهيم - 5)، وهي الأيام التي يعامل فيها الحق تعالى قوما بالقهر والسلطنة، ويوم القيامة أيضا يوم الله وكذلك هو يوم الدين أيضا لأنه يوم ظهور السلطنة الإلهية ويوم بروز حقيقة دين الله.

قوله تعالى: إياك نعبد وإياك نستعين:

اعلم أيها العزيز أنه إذا علم السالك في طريق المعرفة أن المحامد والمدائح بتمامها مختصة بذات الحق وعلم أن قبض الوجود وبسطه منه وعلم أن أزمّة الأمور في الأول والأخر والمبدأ والمنتهى بيد مالكيته وتجلى لقلبه توحيد الذات والصفات والأفعال فانه يحصر العبادة والاستعانة بالحق، ويرى جميع دار التحقق خاضعة لذاته المقدسة طوعا أو كرها ولا يرى قادرا في دار التحقق حتى ينسب الإعانة إليه، وما ذكره بعض أهل الظاهر من أن حصر العبادة حقيقي وأما حصر الاستعانة فليس بحقيقي لأنه يستعان بغير الحق، وفي القرآن الشريف ذكر سبحانه أيضا {وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى} (المائدة - 2). وقال: {وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ} (البقرة - 45) أيضا من المعلوم بالضرورة أن سيرة النبي الأكرم والأئمة الهداة وأصحابهم المسلمين قائمة على الاستعانة بغير الحق في غالب الأمور المباحة مثل الاستعانة بالدابة والخادم والزوجة والرفيق والرسول والأجير وغير ذلك، فهذا كله كلام على أسلوب أهل الظاهر، وأما من له علم بالتوحيد الفعلي للحق تعالى ويرى أن نظام الوجود صورة فاعلية الحق تعالى ويرى ببصيرته وقلبه النوراني إما برهانا أو عيانا انه لا مؤثر في الوجود إلاّ الله، فهو يرى حصر الاستعانة أيضا حصرا حقيقيا ويرى إعانة سائر الموجودات صورة لإعانة الحق، وبناء على ما يذكره أهل الظاهر فاختصاص المحامد لله أيضا لا وجه له لأنه على هذا المسلك، فلسائر الموجودات تصرفات واختيارات وجمال وكمال تليق بها للمدح

والحمد بل الإحياء والإماتة والرزق والخلق وسائر الأمور مشتركة بين الحق والخلق، وهذه الأمور في نظر أهل الله هي الشرك وقد عبّر في الروايات عن هذه الأمور بالشرك الخفيّ، كما أن إدارة الخاتم لتذكر شيء عدّت من الشرك الخفيّ.

وبالجملة، إياك نعبد وإياك نستعين من متفرعات الحمد لله الذي هو إشارة الى التوحيد الحقيقي، ومن لم تتجلّ حقيقة التوحيد في قلبه ولم يطهر قلبه من مطلق الشرك فقوله إياك نعبد عار عن الحقيقة ولا يتمكن من حصر العبادة والاستعانة بالحق ولا يكون شاهدا لله وطالبا لله، وإذا تجلى التوحيد في القلب فانه ينصرف عن الموجودات ويتعلق بعزّ قدس الحق بمقدار تجلّيه الى أن يشاهد انه باسم الله يقع إياك نعبد وإياك نستعين وتتجلى لقلبه بعض حقائق " أنت كما أثنيت على نفسك ".

تنبيه إشراقي:

قد تبين من بيانات هذه الرسالة نكتة العدول عن الغيبة الى الخطاب، وهذا وان كان بنفسه من محسنات الكلام ومزايا البلاغة وكثيرا ما يقع في كلام الفصحاء والبلغاء ويوجب حسن الكلام، ونفس الالتفات من حال الى حال يرفع السآمة عن المخاطب ويعطي روحه نشاطا جديدا، ولكن حيث إن الصلاة معراج الوصول الى حضرة القدس ومرقاة حصول مقام الأنس فهذه السورة الشريفة تعطي تقريرا للترقي الروحاني والسفر العرفاني، وحيث أن العبد في بدء السلوك الى الله محجوب في الحجب الظلمانية لعالم الطبع والحجب النورانية لعالم الغيب ومحبوس فيها، والسفر الى الله هو الخروج من هذه الحجب بقدم السلوك المعنوي، وفي الحقيقة المهاجرة الى الله هي الرجوع من بيت النفس وبيت الخلق الى الله وترك الكثرات ورفض غبار الغيرية وحصول التوحيدات والغيبة عن الخلق والحضور لدى الرب، فإذا رأى في الآية الشريفة مالك يوم الدين الكثرات منطوية تحت سطوع نور المالكية والقاهرية فتحصل له حالة المحو عن الكثرة ويحصل له الحضور في الحضرة ويقدّم العبودية بالمخاطبة الحضورية ومشاهدة الجمال والجلال ويعرض مشاهداته

لله وطلبه على محضر القدس ومحفل الأنس ، ولعل النكتة في أن العبد يؤدي هذا المقصد بضمير اياك هي ان هذا الضمير راجع الى الذات مضمحلة فيها الكثرات فيمكن أن تحصل للسالك في هذا المقام حالة التوحيد الذاتي وينصرف عن كثرة الأسماء والصفات أيضا وتكون وجهة القلب حضرة الذات بلا حجب الكثرات وهذا هو كمال التوحيد الذي يقوله إمام الموحدين ومقدم حلقة العارفين وقائد العاشقين ورأس سلسلة المجذوبين والمحبوبين أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى أولاده المعصومين: " وكمال التوحيد نفي الصفات عنه " لان للصفة وجهة الغيرية والكثرة. وهذا التوجه الى الكثرة الأسمائية بعيد عن سرائر التوحيد وحقائق التجريد، ولهذا فلعل سر خطيئة آدم عليه السلام كان التوجه الى الكثرة الأسمائية التي هي روح الشجرة المنهية.

تحقيق عرفاني:

اعلم أن أهل الظاهر ذكروا في ذكر نعبد ونستعين بصيغة المتكلم مع الغير مع أن العابد واحد، نكاتا منها أن العابد يحتال حيلة شرعية تكون عبادته بها مقبولة لجناب الحق تعالى وهي أن يقدم عبادته لجناب القدس وحضرة الرحمة ضمن عبادة سائر المخلوقين ومنهم كمّل أولياء الله الذين يقبل الله تعالى عبادتهم كي تكون بهذه الوسيلة عبادته أيضا مقبولة ضمنا لان تبعض الصفقة ليس من عادة الكريم.

ومنها تشريع الصلاة إذ كانت في أول الأمر مع الجماعة، فمن هذه الجهة أدّيت بلفظ الجمع ونحن ذكرنا نكتة في السرّ الجملي للأذان والإقامة يكتشف منها هذا السر في الجملة، وهي أن الأذان إعلان لقوى السالك الملكية والملكوتية بالحضور في المحضر وان الإقامة هي إقامتها في الحضور، فإذا أحضر السلك قواة الملكية والملكوتية في المحضر وقام القلب الذي هو إمامها بسمة الإمامة فقد قامت الصلاة وان المؤمن وحده جماعة.. فقول نعبد ونستعين وإهدنا كلها لأجل هذا الجمع الحاضر في محضر القدس، وقد أشير الى هذا المعنى في الروايات

والأدعية الصادرة عن أهل بيت العصمة والطهارة منابع العرفان والشهود.
والوجه الآخر الذي يتراءى في نظر الكاتب هو أن السالك في الحمد لله إذا جعل الحامد والأثنية من كل حامد ومثن في الملك والملكوت مقصورة ومخصوصة بالذات المقدسة للحق وقد ظهر أيضا في مدارك برهان أئمة البرهان وقلوب أصحاب العرفان أن لجميع دائرة الوجود بملكها وملكوتها وقضها وقضيضها حياة شعورية إدراكية حيوانية بل إنسانية وهي حامدة مسبحة للحق تعالى عن استشعار وإدراك. وان الخضوع لدى حضرة الكامل المقدسة والجميل على الإطلاق ثابت في فطرة جميع الموجودات وخصوصا النوع الإنساني وناصية الكل في جناب قدسه على التراب كما قال تعالى في القرآن الشريف: {وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ} (الإسراء - 44) وسائر الآيات الشريفة وأخبار المعصومين المشحونة بهذه اللطيفة الإلهية مؤيدة بالبرهان الحكمي المتين، فإذا وجد السالك الى الله هذه الحقيقة بقدم الاستدلال البرهاني أو الذوق الإيماني أو المشاهدة العرفانية فهو يدرك في أي مقام هو فيه أن جميع ذرات الوجود وسكنة الغيب والشهود عابدة للمعبود على الإطلاق وتطلب موجدها فيظهر بصيغة الجمع أن جميع الموجودات في جميع حركاتها وسكناتها تعبد الذات المقدسة للحق تعالى وتستعين به.

تنبيه ونكتة:

اعلم أن العلماء قالوا في وجه تقديم إياك نعبد وإياك نستعين مع أن القاعدة تقتضي أن تكون الاستعانة في العبادة مقدمة على نفس العبادة، ان ما قدم هو العبادة على الاستعانة لا على الإعانة وربما تكون الإعانة من دون الاستعانة.
وأيضا حيث أنهما مرتبطان احدهما بالأخرى فلا فرق في التقديم والتأخير كما يقال قضيت حقي فأحسنت إليّ، وأحسنت إليّ فقضيت حقي.
وأيضا الاستعانة هي للعبادة المستأنفة لا العبادة الواقعة، وبرودة هذه الوجوه ليست

مختفية لأهل الذوق، ولعل النكتة فيه أن حصر الاستعانة بالحق تعالى متأخر عن حصر العبادة على حسب السلوك الى الله كما هو واضح فإن كثيرا من الموحدين في العبادة والحاصرين العبادة في الحق مشركون في الاستعانة ولا يحصرون الاستعانة بالحق كما نقلناه عن بعض أرباب التفسير أن حصر الاستعانة ليس حقيقيا، فالحصر في العبادة بمعناه المتعارف من أوائل مقامات الموحدين وأما حصر الاستعانة فهو ترك غير الحق مطلقا ولا يخفى أن المقصود من الاستعانة ليس الاستعانة في العبادة فقط بل الاستعانة في مطلق الأمور وهذا إنما يكون بعد رفض الأسباب وترك الكثرات والإقبال التام على الله.

وبعبارة أخرى، حصر العبادة هو حب الحق وطلب الحق وترك طلب الغير، وأما حصر الاستعانة فهو رؤية الحق وترك رؤية الغير، وفي مقامات العارفين ومنازل السالكين ترك رؤية الغير متأخّر عن ترك طلب الغير.

فائدة عرفانية:

اعلم أيها العبد السالك ان حصر العبادة والاستعانة للحق أيضا ليس من مقامات الموحّدين والمدارج الكمالية للسالكين لان فيه دعوى تنافي التوحيد والتجريد بل رؤية العبادة والعابد والمعبود والمستعين والمستعان به والاستعانة كلها منافية للتوحيد، وفي التوحيد الحقيقي الذي يتجلى لقلب السالك تستهلك كل هذه الكثرات وتضمحلّ رؤية كل هذه الأمور، نعم الذين انتبهوا من الجذبة الغيبية وحصل لهم مقام الصحو فليست الكثرة حجابا لهم وذلك لان الناس على طوائف. فطائفة هم المحجوبون أمثالنا المساكين المستغرقون في الحجب الظلمانية للطبيعة، وطائفة هم السالكون المسافرون الى الله والمهاجرون الى حضرة القدس. وطائفة هم الواصلون قد خرجوا عن حجب الكثرة واشتغلوا بالحق، وهم عن الخلق محجوبون وغافلون وقد حصل لهم الصعق الكلي والمحو المطلق، وطائفة هم الراجعون الى الخلق الذين لهم منصب المكمّلية والهادويّة كالأنبياء العظام والأوصياء

لهم، عليهم السلام، وهذه الطائفة مع وقوعهم في الكثرة واشتغالهم بإرشاد الخلق لا تكون الكثرة حجابا لهم، ولهم مقام البرزخية، فبناء على هذا يفرق إياك نعبد وإياك نستعين على حسب حالات هؤلاء الطوائف، فمن أمثالنا المحجوبين فهو ادّعاء صرف وصورة محضة فان تنبّهنا لحجابنا ووجدنا نقصاننا، فبمقدار ما اطّلعنا على نقصاننا تنور عبادتنا وتقع موردا لعناية الحق تعالى وأما من السالكين فيقع هذا القول بمقدار سلوكهم قريبا من الحق ومن الواصلين فهو بالنسبة الى رؤيتهم الحق حقيقة وبالنسبة الى رؤية الكثرة صورة صرفة وجري على العادة، ومن الكاملين حقيقة صرفة فليس لهم حجاب حقي ولا حجاب خلقي.

إيقاظ إيماني:

اعلم أيها العزيز أننا مادمنا في هذه الحجب الغليظة لعالم الطبيعة ونصرف الوقت في تعمير الدنيا ولذائذها غافلين عن الحق تعالى وذكره، والتفكر فيه فجميع عباداتنا وأذكارنا وقراءاتنا عارية عن الحقيقة فلا في الحمد لله نتمكن من حصر الحامد للحق ولا في إياك نعبد وإياك نستعين نسلك طريقا من الحقيقة بل نحن مع هذه الدعاوى الفارغة مخزيون وناكسو الرؤوس في محضر الحق تعالى والملائكة المقربين والأنبياء المرسلين والأولياء المعصومين فإن من كان لسان حاله ومقاله مشحونا بمدح أهل الدنيا كيف يقول الحمد لله، وان من كانت وجهة قلبه الى الطبيعة ولم يشمّ رائحة الإلوهية وكان اعتماده واتكاله على الخلق فبأي لسان يقول إياك نعبد وإياك نستعين، فإذا كنت من رجال هذا الميدان فشمّر ذيل الهمة وأوصل الى قلبك هذه الحقائق واللطائف التي ذكرت في خلال هذه الرسالة في أوائل الأمر بشدّة التذكر والتفكر في عظمة الحق وفي ذلة المخلوق وعجزه وفقره، أحيي قلبك بذكر الحق تعالى كي تصل رائحة من التوحيد الى شامة قلبك وتجد طريقا الى صلاة أهل المعرفة بالإمداد الغيبي، وان لم تكن من رجال هذا الميدان فلا أقل من أن تجعل نقصك نصب عينيك. وتوجّه الى ذلتك وعجزك وقم بالأمر بالخجلة

والاستحياء، واحذر من دعوى العبودية واقرأ هذه الآيات الشريفة التي ليست متحققا بلطائفها أما بلسان الكمّل، وأما أن يكون في نيّتك قراءة صورة القرآن صرفا حتى لا تدّعي باطلا ولا يكون ادّعاؤك كاذبا على الأقل.

فرع فقهي:

ذهب بعض الفقهاء الى عدم جواز قصد الإنشاء في إيّاك نعبد وإياك نستعين وأمثاله ظنّا منهم أنه ينافي القرآنية والقراءة لأن القراءة هي نقل كلام الغير.

وهذا الكلام ليس له وجه لأن الإنسان كما يمكن أن يمدح بكلامه مثلا إنسانا يمكن أن يمدحه بكلام الآخرين، فمثلا اذا مدحنا شخصا بشعر من الحافظ يصدق أنّا مدحناه ويصدق أيضا أنا قرأنا شعر الحافظ فإذا أنشأنا حقيقة جميع المحامد للحق بالحمد لله رب العالمين وأنشأنا قصر العبادة للحق بإيّاك نعبد يصدق أنّا حمدنا الله بكلامه وقصرنا العبادة لله بكلامه بل نقول:

إذا جرد أحد كلامه عن هذا المعنى الإنشائي ، فهذا التجريد مخالف للاحتياط إن لم نقل ببطلان قراءته، نعم لو لم يعلم أحد معناه فلا يلزم له أن يتعلم بل تكفي له قراءة سورة الآية بما لها من المعنى، وفي الروايات الشريفة إشارة الى أن القارئ ينشىء كما في الحديث القدسي: " فإذا قال - أي العبد - في صلاته بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله ذكرني عبدي وإذا قال الحمد لله يقول الله حمدني عبدي " الى آخره.. وما لم يكن إنشاء الحمد والتثنية من جانب العبد فلا معنى لذكرني وحمدني وفي أحاديث المعراج يقول " الآن وصلت فسمّ باسمي". ويعلم من الحالات التي كانت تحصل لأئمة الهدى في مالك يوم الدين وإياك نعبد وتكرار بعض هذه الآيات أنهم كانوا ينشؤون وليست قراءتهم قراءة صرفة ومن قبيل إسماعيل يشهد أن لا اله إلاّ الله، ومن إحدى مهمات اختلاف مراتب صلاة أهل الله الاختلاف في قراءتهم كما أشير في السابق الى نبذه منها، وهذا لا يتحقق إلاّ إذا كان القارئ منشئا

للقراءة والأذكار، والشواهد على هذا المعنى أكثر مما ذكرنا.
وبالجملة فجواز إنشاء هذه المعاني بالكلام الإلهي بلا إشكال.

فائدة:

إن أهل اللغة قالوا بأن العبادة بمعنى غاية الخضوع فلا تليق إلاَّ لمن له أعلى مراتب الوجود والكمال وأعظم مراتب النعم والإحسان. ومن هذا تكون عبادة غير الحق شركا ولعل في العبادة التي في اللغة الفارسية بمعنى (بر ستش وبندكي) معنى مأخوذا في حقيقتها أكثر من المعنى الذي ذكروه لها، وهو عبارة عن الخضوع للخالق ولله ولهذا يلازم هذا النحو من الخضوع اتخاذ المعبود الها وخالقا أو نظيرا وشبيها ومظهرا له مثلا فلهذه الجهة تكون عبادة غير الحق تعالى شركا وكفرا، وأما مطلق الخضوع من دون هذا الاعتقاد أو التجزّم بهذا المعنى ولو تكلّفا فإنه لا يوجب الكفر والشرك وان بلغ غاية الخضوع وأن كان بعض أنواعه حراما كتعفير الجبين بالتراب للخضوع فهذا وان لم يكن عبادة لكنه ممنوع شرعا على الظاهر، فالحرمات التي يراعيها أرباب المذاهب لأعاظم مذاهبهم مع الاعتقاد بأنهم عباد فقراء الى الحق تعالى في كل شيء في أصل الوجود وكماله وعباد صالحون، ومع أنهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ومقربو جناب الحق تعالى ومورد عناياته ووسائل عطياته بواسطة العبودية ليس فيها شائبة الشرك والكفر، وحرمة خاصة الله حرمته و (حب خاصان خدا حب أست) (مصراع بيت لعارف الرومي يقول: حب خواص الله حب الله) وأشهد بالله وكفى بالله شهيدا أن فيما بين الطوائف الطائفة التي امتازت عن جميع طوائف العائلة البشرية في توحيد الحق تعالى وتقديسه وتنزيهه ببركة أهل البيت الوحي والعصمة وخزّان العلم والحكمة هي طائفة الشيعة الإثنا عشرية وكتبهم في أصول العقائد مثل الكتاب الشريف أصول الكافي والكتاب الشريف توحيد الشيخ الصدوق رضوان الله عليه، وخطب أئمتهم المعصومين وأدعيتهم عليهم

السلام التي صدرت في توحيد الحق جلّ وعلا وتقديسه من معادن الوحي والتنزيل تشهد أن تلك العلوم لم تكن لها سابقة لدى البشر وبعد الكتاب المقدس الوحي الإلهي والقرآن الشريف الذي كتب بيد القدرة لم يقدّس ولم ينزّه أحد الحق تعالى مثلهم، وعلى الرغم من أن الشيعة في جميع الأمصار والإعصار اتّبعت هؤلاء الأئمة المعصومين المنزّهين الموحّدين وعرفت الحق ونزّهته ووحّدته بالبراهين الواضحة. فمع ذلك فإن بعض الطوائف المعلوم من عقائدهم وكتبهم الإلحاد لما فيهم من النصب الباطني قد فتحوا باب الطعن واللعن على الشيعة ونسبوا التابعين لأهل بيت العصمة الى الشرك والكفر وهذا وان كان في سوق أهل المعرفة لا يقوّم بشيء ولكن فيه مفسدة ان يبعّد الناس الناقصين والعوام الجاهلين عن معادن العلم ويسوقهم الى الجهل والشقاوة وهذه جناية عظيمة لنوع البشر لا يمكن جبرانها بوجه، فلهذه الجهة طبقا لموازين العقلية والشرعية يكون وزر هذه الجماعة القاصرة الجاهلة المسكينة وذنبها على الذين لم يراعوا الأنصاف ومنعوا نشر المعارف والأحكام الإلهية لمنافع خيالية في أيام معدودة وأوجبوا الشقاوة للنوع البشري وضيّعوا وأبطلوا جميع ما تحمّل خير البشر صلوات الله عليهم من التعب وأغلقوا باب أهل بيت الوحي والتنزيل على الناس، اللهم العنهم لعنا وبيلا وعذبهم عذابا أليما.

قوله تعالى: إهدنا الصراط المستقيم الى آخر السورة:

اعلم أيها العزيز حيث أن في السورة الشريفة الحمد إشارة الى كيفية سلوك أرباب المعرفة والأرتياض والى إياك نعبد جميع كيفية السلوك من الخلق الى الحق فإذا ارتقى السالك من التجليات الأفعالية الى التجليات الصفاتية ومنها الى التجليات الذاتية وخرج من الحجب النورانية والظلمانية ووصل الى مقام الحضور والمشاهدة فحصلت له مرتبة الفناء التام وإصابة الاستهلاك الكلي، فإذا تمّ السير الى الله بغروب أفق العبودية وطلوع سلطنة المالكية في مالك يوم الدين ففي

منتهى هذا السلوك تصيبه حالة التمكن
والاستقرار ويصحو السالك وتحصل له حالة الصحو
ويتوجّه الى مقامه ولكن إتباع التوجّه الى الحق
بعكس حال الرجوع الى الله الذي كان التوجه الى
الحق فيه بتبع التوجه الى الخلق، وبعبارة أخرى في
حال السلوك الى الله كان يرى الحق في الحجاب الخلقي
وبعد الرجوع من مرتبة الفناء الكلي التي حصلت
في مالك يوم الدين يرى الخلق في حجاب الحق، ومن
هذه الجهة يقول إياك نعبد بتقديم ضمير إيّا وكاف
الخطاب على ذاته وعبادته وحيث انه لا يمكن إلاَّ
يكون لهذه الحالة ثبات ويتصوّر في هذا المقام أيضا
الزلّة فيطلب من الحق تعالى ثباته ولزومه بقوله
إهدنا أي ألزمنا كما في السر بهذا.
وليعلم أن هذا المقام الذي ذكر، والتفسير
الذي بيّن إنما هو للكمّل من أهل المعرفة الذين
مقامهم الأول أنهم في مقام رجوعهم من السير الى
الله يكون الحق تعالى حجابا لهم عن الخلق ومقام
كمالهم هو حالة البرزخية الكبرى التي لا يكون الخلق
فيها حجابا لهم من الحق كأمثالنا المحجوبين ولا الحق
يكون حجابا لهم عن الخلق كالواصلين المشتاقين
والفانين المجذوبين، فالصراط المستقيم لهم عبارة عن
هذه الحالة البرزخية المتوسطة بين النشأتين وهي
صراط الحق وبناء على هذا يكون المقصود من الذين
أنعمت عليهم هؤلاء الذين قدر الحق تعالى في الحضرة
العلمية بالتجلي بالفيض الأقدس استعدادهم وبعد
الفناء الكلي أرجعهم الى مملكتهم ويكون المغضوب
عليهم على هذا التفسير المحجوبين قبل الوصول
والضالين هم الفانون في الحضرة وأما غير الكمّل
فإنهم إن لم يردوا في السلوك فهذه الأمور في حقهم
غير صحيحة وصراطهم صراط ظاهر الشريعة ولهذا فسّر
الصراط المستقيم بالدين والإسلام وأمثالهما وإن
كانوا من أهل السلوك فالمقصود من الهداية ومن
الصراط المستقيم أقرب طرق الوصول الى الله وهو
طريق رسول الله وأهل بيته كما فسّر برسول الله
وأئمة الهدى وأمير المؤمنين عليهم السلام، وكما في
الحديث أن رسول الله رسم خطا مستقيما ورسم في
أطرافه خطوطا قال رسول الله صلى الله عليه وآله
هذا الخط الوسط المستقيم لي ولعل المراد من الأمة

الوسط في قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} (البقرة - 143). الوسطية بقول مطلق وبجميع المعاني ومن جملتها الوسطية في جميع المعارف والكمالات الروحية وهي مقام البرزخية الكبرى والوسطية العظمى ولهذا يختص هذا المقام بالكمّل من أولياء الله، ولذا ورد في الرواية أن المقصود من هذه الآية أئمة الهدى عليهم السلام كما قال الباقر عليه السلام ليزيد بن معاوية العجلي: " نحن الأمة الوسط ونحن شهداء الله تبارك وتعالى على خلقه " الحديث. وفي رواية أخرى " إلينا يرجع الغالي وبنا يلحق المقصّر " وفي هذا الحديث إشارة الى ما ذكر.

تنبيه إشراقي وإشراق عرفاني:

اعلم أيها الطالب للحق والحقيقة أن الحق تبارك وتعالى لما خلق نظام الوجود ومظاهر الغيب والشهود على حسب الحب الذاتي بالمعروفية في حضرة الأسماء والصفات بمقتضى الحديث الشريف: كنت كنزا مخفيّا فأحببت أن اعرف فخلقت الخلق لكي أعرف.. فأودع وأبدع في فطرة جميع الموجودات الحب الذاتي والعشق الجبلي، فجميع الموجودات بتلك الجذبة الإلهية ونار العشق الرباني تتوجه الى الكمال المطلق وتطلب وتعشق الجميل على الإطلاق وجعل سبحانه لكل واحد منها نورا فطريا إلهيا يجد بذلك النور طريق الوصول الى المقصد والمقصود، وهذه النار وهذا النور أحدهما رفرف الوصول والآخر براق العروج، ولعل براق رسول الله ورفرفه كانت رقيقة هذه اللطيفة وصورة ممثلة ملكية لهذه الحقيقة ولهذا أنزلت من الجنة التي هي باطن هذا العالم، وحيث أن الموجودات نزلت في مراتب التعينات وحجبت عن جمال الجميل المحبوب جلت عظمته فيخرجها الحق تعالى بهذه النار والنور عن حجب التعينات الظلمانية والانّيّات النورانية بالاسم المبارك الهادي الذي هو حقيقة هذه الرقائق ويوصلها الى المقصد الحقيقي وجوار محبوبها في أقرب الطرق، فذاك النور نور هداية الحق تعالى وتلك النار نار التوفيق الإلهي ، والسلوك في الطريق الأقرب هو الصراط المستقيم والحق تعالى على ذاك

الصراط المستقيم ولعله تكون الإشارة الى هذه الهداية وهذا السير وهذا المقصد الآية الشريفة: {مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} (هود - 56) كما هو ظاهر لأهل المعرفة.

وليعلم أن لكل من الموجودات صراطا خاصّا به ونورا وهداية مخصوصا به والطرق الى الله بعدد أنفاس الخلائق، وحيث أن في كل تعيّن حجابا ظلمانيا وفي كل وجود وانيّة حجابا نورانيا، والإنسان مجمع التعيّنات وجامع الموجودات فهو احجب الموجودات عن الحق تعالى ولعله الى هذا المعنى تشير الآية الكريمة: {ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ} (التين - 5) ومن هذه الجهة فصراط الإنسان أطول الصرط وأظلمها، وأيضا حيث أن رب الإنسان حضرة اسم الله الأعظم ونسبة الظاهر والباطن والأول والآخر والرحمة والقهر. وبكلمة أخيرة نسبة جميع الأسماء المتقابلة له على السواء فلا بد أن يحصل لنفس الإنسان في منتهى سيره مقام البرزخية الكبرى، ولهذه الجهة يكون صراطه أدق من جميع الصراط.

تنبيه إيماني:

كما ذكر وعلم أن للهداية على حسب أنواع سير السائرين ومراتب سلوك السالكين الى الله مقامات ومراتب ونحن نشير بطريق الإجمال الى بعض مقاماتها ليعلم في ضمنه الصراط المستقيم وصراط المفرطين. وصراط المفرِّطين الذين هم المغضوب عليهم ولا الضالون على حسب كل مرتبة من المراتب.

الأول: نور الهداية الفطري وقد أشير إليه في التنبيهة السابقة. فالصراط المستقيم في هذه المرتبة من الهداية عبارة عن السلوك الى الله بلا احتجاب بالحجب الملكية أو الملكوتية أو أنه السلوك الى الله بلا احتجاب بحجب المعاصي القالبية أو المعاصي القلبية أو أنه السلوك الى الله بلا احتجاب بالحجب النورانية أو الظلمانية، أو السلوك الى الله بلا احتجاب بحجب الوحدة أو الكثرة ولعل آية: {يُضِلُّ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء} (فاطر - 8) تشير الى هذه المرتبة من الهداية والاحتجاب

التي قدرت في حضرة القدر وهي عندنا عبارة عن مرتبة الواحدية بالتجلي بحضرات الأعيان الثابتة، وتفصيله خارج عن مجال هذه الرسالة بل عن نطاق التحرير والبيان وهو سرّ من أسرار الله وستر من أستار الله.

الثاني: الهداية بنور القرآن وفي مقابله الغلوّ والتقصير عن معرفته أو الوقوف على الظاهر والوقوف على الباطن، كما أن بعض أهل الظاهر يرون أن علوم القرآن عبارة عن المعاني العرفية العامية والمفاهيم السوقية والوضعية ولهذه العقيدة لا يتفكرون في القرآن ولا يتدبرونه، واستفادتهم من هذه الصحيفة النورانية المتكفّلة لجميع السعادات الروحية والجسمية والقلبية والقالبية منحصرة بالمقررات الصورية الظاهرية، والآيات الكثيرة الدالة على أن التدبّر والتذكّر لازم أو راجح ويفتح أبوابا من المعرفة بالاستنارة بنور القرآن يجعلونها وراء ظهورهم فكأن القرآن نزل للدعوة الى الدنيا ومستلذاتها الحيوانية وتأكيد المقام الحيواني والشهوات البهيمية.

وبعض أهل الباطن إتباعا لظنونهم ينصرفون عن ظاهر القرآن ودعواته الصورية التي هي برنامج التأدّب بآداب المحضر الإلهي وكيفية السلوك الى الله وهم عنها غافلون وينحرفون عن ظاهر القرآن بتلبيسات إبليس اللعين والنفس الأمارة بالسوء ويتشبّثون بزعمهم بالعلوم الباطنية مع أن طريق الوصول الى الباطن بالتأدب بالظاهر فهاتان الطائفتان خارجتان عن جادة الاعتدال ومحرومتان من نور الهداية الى الصراط المستقيم القرآني ومنسوبتان الى الإفراط والتفريط ولكن العالم المحقق والعارف المدقق يقوم بالظاهر والباطن ويتأدب بالآداب الصورية والمعنوية، فكما أنه ينوّر الظاهر بنور القرآن ينوّر الباطن أيضا بأنوار معارفه وتوحيده وتجريده.

فليعلم أهل الظاهر أن قصر القرآن على الآداب الصورية الظاهرية ونبذة من الوظائف العملية والأخلاقية والعقائد العامية في باب التوحيد والأسماء والصفات إنكار لحق القرآن واعتقاد

النقص في الشريعة الختمية التي لا بد أن يتصوّر أكمل منها وإلا تكون خاتميته في سنّة العدل محالا، فحيث أن هذه الشريعة خاتمة الشرائع والقرآن خاتم الكتب النازلة والرابطة الأخيرة بين الخالق والمخلوق، فلا بد أن يكون في حقائق التوحيد والتجريد والمعارف الإلهية التي هي المقصد الأصلي والغاية الذاتية للأديان والشرائع والكتب النازلة الإلهية، في المرتبة النهائية ومنتهى أوج الكمال وإلا يلزم النقص في الشريعة وهو خلاف العدل الإلهي واللطف الربوبي وهذا بنفسه محال فضيح وعار قبيح لا تغسل وَسْمَةَ عاره عن وجه الأديان الحقّة بسبعة أبحر والعياذ بالله.

وليعلم أهل الباطن أن الوصول الى المقصد الأصلي والغاية الحقيقية لا يمكن إلاَّ بتطهير الظاهر والباطن، وبدون التشبّث بالصورة والظاهر لا يمكن الوصول الى اللبّ والباطن، وبدون التلبّس بلباس ظاهر الشريعة لا يوجد الطريق الى الباطن، ففي ترك الظاهر إبطال لظاهر الشريعة وباطنها وهذا من تلبيسات شياطين الجن والإنس، وقد ذكرنا نبذة من هذا المطلب في كتاب شرح أربعين حديثا.

الثالث: الهداية بنور الشريعة.

الرابع: الهداية بنور الإسلام.

الخامس: الهداية بنور الإيمان.

السادس: الهداية بنور اليقين.

السابع: الهداية بنور العرفان.

الثامن: الهداية بنور المحبة.

التاسع: الهداية بنور الولاية.

العاشر: الهداية بنور التجريد والتوحيد، ولكل منها طرفان: إفراط وتفريط وغلوّ وتقصير، وتفصيلها موجب للتطويل ولعله الى بعضها أو الى جميعها يشير الحديث الشريف للكافي: "نحن آل محمد النمط الأوسط الذي لا يدركنا الغالي ولا يسبقنا التالي ". وفي الحديث النبوي صلى الله عليه وآله " خير هذه الأمة النمط الأوسط يلحق بهم التالي ويرجع إليهم الغالي ".

تنبيه عرفاني:

اعلم أن لكل من موجودات عوالم الغيب والشهادة والدنيا والآخرة مبدأ ومعادا وان كان مبدأ الكل ومرجعه الهوية الإلهية ولكن حيث إنه ليس للذات المقدسة جلا وعلا من حيث هو بلا حجاب الأسماء تجلّ للموجودات العالية والسافلة وبحسب هذا المقام اللامقامي لا اسم له ولا رسم وغير متصف بالأسماء الذاتية والصفاتية والأفعالية وليس لأحد من الموجودات معه تناسب ولا ارتباط ولا اختلاط، أين التراب ورب الأرباب، كما ذكرت تفصيل هذه اللطيفة مستقصى في كتاب مصباح الهداية فمبدأ ذاته المقدسة ومصدريتها في الحجب الأسمائية والاسم عين الحال انه نفس المسمّى فهو حجابه أيضا ، فالتجلي في عوالم الغيب والشهادة على حسب الأسماء وفي حجابها، فمن هذه الجهة للذات المقدسة وفي جلوات الأسماء والصفات تجليات في الحضرة العلمية يسمي أهل المعرفة تعيناتها بالأعيان الثابتة فبناء على هذا يلزم لكل تجلّ اسمي في الحضرة العلمية عين ثابت ولكل اسم بتعيّنه العلمي مظهر في النشأة الخارجية ومبدأ هذا المظهر ومرجعه الى الاسم الذي يناسبه ورجوع كل الموجودات من عالم الكثرة الى غيب الاسم الذي هو مصدره ومبدؤه عبارة عن الصراط المستقيم له، فلكلٍ سير وصراط مخصوص ومبدأ ومرجع مقدر في الحضرة العِلمية طوعا أو كرها، واختلاف المظاهر والصرا ط باختلاف الظاهر وحضرات الأسماء.

وليعلم أن تقويم الإنسان في أعلى علّيّين للجمع الأسمائي، فلهذه الجهة رد الى أسفل السافلين ويشرع صراطه في أسفل السافلين ويختم بأعلى عليين وهذا صراط الذين أنعم الله عليهم بالنعمة المطلقة وهي نعمة كمال الجمع الأسمائي التي هي أعلى النعم الإلهية، والصراط الأخر سواء أكان صراط السعداء والمنعم عليهم أو صراط الأشقياء، فبمقدار نقصانة من فيض النعمة المطلقة داخل في أحد الطرفي الإفراط والتفريط فصراط الإنسان الكامل فقط صراط المنعم عليهم بقول مطلق، وهذا الصراط بالأصالة مختص بالذات المقدسة للنبي الخاتم وثابت

لسائر الأولياء والأنبياء بالتبعية، وفهم هذا الكلام مع أن النبي الأكرم هو الخاتم للنبيين يحتاج الى فهم حضرات الأسماء والأعيان وكفيله رسالة مصباح الهداية، والله الهادي الى سبيل الرشاد.

نقل كلام زيادة في الإفهام:

قال الشيخ الجليل البهائي (هو شيخ الإسلام والمسلمين محمد بن الحسين بن عبد الصمد الجبعي العاملي الحارثي قال صاحب السلافة في حقه ما ملخّصه هو علامة البشر ومجدّد دين الأئمة على رأس القرن الحادي عشر إليه انتهت رئاسة المذهب والملة الى أن قال مولده بعلبك عند غروب الشمس يوم الأربعاء لثلاث عشر بقين من ذي الحجة سنة 953 (ظنج) وانتقل به والده وهو صغير الى الديار العجمية فنشأ في حجرة الأقطار المحمية وأخذ عن والده وغيره من الجهابذ حتى أذعن له كل مناضل ومنابذ. فلما أشتد كاهله وصفت له من العلم مناهله ولي بها شيخ الإسلام وفوّضت إليه أمور الشريعة على صاحبها الصلاة والسلام ولم يزل آنفا من الانحياز الى السلطان راغبا في العزلة عازفا عن الأوطان يؤمل العود الى السياحة ويرجو الإقلاع من تلك الساحة فلم يقدر له حتى وافاه حِمامه وترنّم على أفنان الجنان حَمامه وأخبرني بعض ثقاة الأصحاب أن الشيخ (رحمه الله) قصد قبل وفاته زيارة المقابر في جمع من الأجلاء الأكابر فما استقرّ بهم الجلوس حتى قال لمن معه إني سمعت شيئا فهل فيكم من سمعه ؟ فأنكروا سؤاله واستغربوا مقاله وسألوه عما سمعه فأوهم وعمى في جوابه ثم رجع الى داره فأغلق بابه فلم يلبث أن أصاب داعي الردى فأجابه وكانت وفاته لاثنتي عشرة خلون من شوال المكرّم سنة 1031 (غلا) بأصبهان ونقل قبل دفنه الى طوس فدفن بها في داره قريبا من الحضرة الرضوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والتحية (انتهى).

حكي عن المجلس الأول قال في ترجمة أستاذه الشيخ بهاء الدين انه سمع قبل وفاته بستة أشهر صوتا من قبر بابا ركن الدين وكنت قريبا منه فنظر إلينا وقال سمعتم ذلك الصوت ؟ فقلنا: لا.

فاشتغل بالبكاء والتضرّع والتوجّه الى الآخرة وبعد المبالغة العظيمة قال إني أُخبرت باستعداد الموت وبعد ذلك بستة أشهر تقريبا توفي وتشرفت بالصلاة عليه مع جميع الطلبة والفضلاء وكثير من الناس يقربون من خمسين ألفا (انتهى).

له مصنفات فائقة مشهورة أكثرها مطبوعة. منها: حبل المتين وشرق الشمسين والأربعين والجامع العباسي والكشكول والمخلاة والعروة الوثقى ونان وحلوا والزبدة والصمدية وخلاصة الحساب وتشريح الأفلاك والرسالة الهلالية ومفتاح الفلاح. وهذه الكتب كلها مطبوعة في إيران.) قدس سره في رسالة العروة الوثقى (لم تكن الرسالة موجودة عندي. وما ذكرته ترجمة المؤلف دام ظله من رسالة العروة الوثقى) إن نعم الله سبحانه وان كانت أجلّ من أن تحصى كما قال الحق تعالى: {وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا} (إبراهيم - 34) لكنها جنسان النعم الدنيوية والأخروية وكل منهما إما وهبي أو كسبي، وكل منهما إما روحاني أو جسماني فالمجموع ثمانية أقسام:

الأول: الدنيوي الوهبي الروحاني كنفخ الروح وإفاضة العقل والفهم.

الثاني: الدنيوي الوهبي الجسماني مثل خلق الأعضاء وقواها.

الثالث: الدنيوي الكسبي الروحاني كتخلية النفس من الأمور الدنية وتحليتها بالخلق الذكية والملكات العالية.

الرابع: الدنيوي الكسبي الجسماني كالتزيّن بالهيئة الحميدة والحليّ الحسنة.

الخامس: الأخروي الوهبي الروحاني كأن يغفر الله ذنوبنا ويرضى عنّا من تاب سابقا (عبارة الشيخ في هذا المثال ما ذكر والظاهر أنه وقع سهو من الناسخ ولعل الصحيح أن الله يغفر لنا من دون سبق التوبة. فراجع...).

السادس: الأخروي الوهبي الجسماني كأنهار من لبن وعسل.

السابع: الأخروي الكسبي الروحاني كالمغفرة والرضوان مع سبق التوبة وكاللذات الروحانية التي استجلبت بفعل الطاعات.

الثامن: الأخروي الكسبي الجسماني، كاللذات الجسمانية التي استجلبت لفعل الطاعات، والمراد من النعمة هنا الأقسام الأربعة الأخيرة وما يكون وسيلة للبلوغ الى هذه الأقسام الأربعة من الأقسام الأربعة الأول.. انتهت ترجمة الشيخ قدس سره.

وهذه التقسيمات للشيخ وان كانت لطيفة ولكن الأهم من النعم الإلهية وأعظم مقصد الكتاب الشريف الإلهي قد سقط من قلم الشيخ الجليل واكتفى فقط بنعم الناقصين أو المتوسطين، وفي كلامه قدس سره، وان جرى ذكر من اللذة الروحانية ولكن اللذة الروحانية الأخروية التي استجلبت بفعل الطاعات حظ المتوسطين ان لم نقل بأنها حظ الناقصين، وبالجملة غير ما ذكره الشيخ الجليل الراجع الى اللذات الحيوانية والحظوظ النفسانية نعم أخرى وعمدتها ثلاث:

الأولى: نعمة معرفة الذات والتوحيد الذاتي التي أصلها السلوك الى الله ونتيجتها جنة اللقاء، وإذا كان السالك نظر الى النتيجة ففي السلوك نقصان لأن هذا المقام ترك النفس ولذاتها والتوجه الى حصول النتيجة توجه الى النفس وهذا هو عبادة للنفس لا لله وتكثير لا توحيد وتلبيس لا تجريد.

الثانية: نعمة معرفة الأسماء وهذه النعمة تتشعب على حسب الكثرة الأسمائية، فإن حسبت مفرداتها فألف وان حسبت بالتركيب من الاسمين أو الأسماء فخارجة عن حد الإحصاء{ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا } (إبراهيم - 34) والتوحيد الأسمائي في هذا المقام نعمة معرفة الاسم الأعظم الذي هو مقام أحدية جمع الأسماء، ونتيجة معرفة الأسماء جنة الأسماء لكل على مقدار معرفة اسم أو أسماء فردا أو جمعا.

الثالثة: نعمة معرفة الأفعال، ولهذه أيضا شعب كثيرة غير متناهية ومقام التوحيد في هذه المرتبة هو أحدية جمع التجليات الفعلية التي هي مقام الفيض الأقدس ومقام الولاية المطلقة ونتيجتها جنة الأفعال التي هي تجليات أفعالية للحق تعالى لقلب السالك، ولعل التجلي لموسى بن عمران في بدء الأمر إذ قال: {آنَسْتُ نَارًا} (طه - 10) كان بالتجلي الأفعالي والتجلي الذي إليه الإشارة

في قوله تعالى: {فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسَى صَعِقًا} (الأعراف - 143). كان تجليا أسمائيا أو ذاتيا فصراط المنعم عليهم في المقام الأول صراط السلوك الى ذات الله والنعمة في ذلك المقام التجلي الذاتي. وفي المقام الثاني صراط السلوك الى أسماء الله، والنعمة في ذلك المقام التجليات الأسمائية وفي المقام الثالث السلوك الى فعل الله و نعمته التجلي الأفعالي، سواء أكانت روحانية أو جسمانية كما أثبت هذا المقام في الروايات لبعض المؤمنين أيضا.

خاتمة:

اعلم أن السورة المباركة الحمد كما أنها مشتملة على جميع مراتب الوجود، كذلك هي مشتملة على جميع مراتب السلوك، ومشتملة بطريق الإشارة على جميع مقاصد القرآن. والغور في هذه المطالب وان كان يحتاج الى بسط تام ومنطق غير هذا المنطق، ولكن الإشارة الى كل واحد منها لا تخلو من فائدة بل فوائد لأصحاب المعرفة واليقين.

فنقول في المقام الأول: أنه يمكن إن يكون بسم الله الرحمن الرحيم إشارة الى دائرة الوجود بتمامها وقوس النزول والصعود، فاسم الله مقام أحدية القبض والبسط والرحمن مقام البسط والظهور وهو قوس النزول. والرحيم مقام القبض والبطون وهو قوس الصعود.

والحمد لله يمكن أن يكون إشارة الى عالم الجبروت والملكوت الأعلى التي حقائقها المحامد المطلقة.

ورب العالمين بمناسبة التربية وبمناسبة العالمين التي هي مقام السوائية والغيرية يمكن أن يكون إشارة الى عوالم الطبيعة التي بجوهر ذاتها متحركة ومتصرمة وتحت التربية. ومالك يوم الدين إشارة الى مقام الوحدة والقهارية ورجوع دائرة الوجود.

والى هنا يختتم دائرة الوجود بتمامها نزولا وصعودا.

ونقول في المقام الثاني: أن الاستعاذة وهي مستحبة لعلها إشارة الى ترك غير الحق والفرار من السلطنة الشيطانية. وحيث أن هذه مقدمة

المقامات لا جزءها لأن التخلي ة مقدمه للتحلي ة وليست بالذات من المقامات الكمالي ة، ولهذه ليست الاستعاذة جزءا للسورة بل مقدمه للدخول فيها.

والتسمية لعلها إشارة الى مقام التوحيد الفعلي والذاتي والجمع بينهما.

والحمد لله رب العالمين لعلّها إشارة الى التوحيد الفعلى.

ومالك يوم الدين إشارة الى الفناء التام والتوحيد الذاتي، ومن إياك نعبد تشرع حالة الصحو والرجوع.

وبعبارة أخرى الاستعاذة هي السفر من الخلق الى الحق والخروج من بيت النفس، والتسمية إشارة الى التحقق بالحقانية بعد الخلع عن الخلقي ة وعالم الكثرة.

والحمد الى رب العالمين إشارة الى السفر من الحق الى الحق في الحق.

وفي مالك يوم الدين يتم هذا السفر.

ونقول في المقام الثالث: أن هذه السورة الشريفة مشتملة على عمدة المقاصد الإلهية في القرآن الشريف لأن أصل مقاصد القرآن هو تكميل معرفة الله وتحصيل التوحيدات الثلاثة والرابطة فيما بين الحق والخلق، وكيفية السلوك الى الله، وكيفية رجوع الرقائق الى حقيقية الحقائق، وتعريف التجليات الإلهية جمعا وتفصيلا وفردا وتركيبا، وإرشاد الخلق سلوكا وتحققا، وتعليم العباد علما وعملا وعرفانا وشهودا. وجميع هذه الحقائق موجودة في هذه السورة الشريفة فاتحة الكتاب وأم الكتاب وصوره إجمالية عن مقاصد القرآن الكريم وحيث ان جميع مقاصد الكتاب الإلهي ترجع الى مقصد واحد وهو حقيقة التوحيد التي هي غاية النبوات ونهاية مقاصد الأنبياء العظام عليهم السلام.

فحقائق التوحيد وسرائره منطوية في الآية المباركة بسم الله الرحمن الرحيم، فهذه الآية الشريفة أعظم الآيات الإلهية ومشتملة على جميع مقاصد الكتاب الإلهي كما ورد فى الحديث الشريف وحيث أن الباء ظهور التوحيد ونقطة تحت الباء سرّه فجميع الكتاب ظهورا وسرا موجودة فيها،

والإنسان الكامل يعني الوجود العلوي المبارك عليه الصلاة والسلام هو نقطة سر التوحيد وليست في العالم آية أكبر من ذلك الوجود المبارك بعد الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله كما ورد في الحديث الشريف.

تتمه :

في ذكر بعض الروايات الشريفة التي وردت في فضل هذه السورة المباركة:

منها ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لجابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه (جابر بن عبد الله بن عمرو بن خزام الأنصاري . صحابي جليل القدر وانقطاعه الى أهل البيت عليهم السلام وجلالته أشهر من أن يذكر. مات سنة 78 (عج) حكي عن أسد الغابة أنه قال في جابر (رض) انه شهد مع النبي ثمان عشرة غزوة وشهد صفين مع علي بن أبي طالب وعميَ في آخر عمره وكان يحفي شاربه وكان يخضب بالصفرة وهو آخر من مات بالمدينة ممن شهد القعبة الى أن قال وكان من المكثرين للحديث الحافظين للسنن (انتهى). قال العلامة النوري في المستدرك في ترجمة جابر الأنصاري هو من السابقين الأولين الذين رجعوا الى أمير المؤمنين وحامل سلام رسول الله الى باقر علوم الأولين والآخرين وأول من زار أبي عبد الله الحسين في يوم الأربعين المنتهي إليه سند أخبار اللوح السّمائي الذي فيه نصوص من الله رب العالمين على خلافة الأئمة الراشدين الفائز بزيارته من بين جميع الصحابة عند سيدة نساء العالمين وله بعد ذلك مناقب أخرى وفضائل لا تحصى (انتهى)) . " يا جابر، إلاَّ أعلّمك أفضل سورة أنزلها الله في كتابه ؟ فقال جابر: بلى بأبي أنت وأمي يا رسول الله علّمنيها. قال: فعلّمه الحمد أم الكتاب ثم قال: يا جابر، إلاَّ أخبرك عنها ؟ قال: بلى بأبي أنت وأمي يا رسول الله أخبرني. قال: هي شفاء من كل داء إلاَّ السأم".

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: " لكل شيء أساس وأساس القرآن الفاتحة وأساس الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم " وعنه

صلى الله عليه وآله " فاتحة الكتاب شفاء من كل داء ". وعن الصادق عليه السلام: " من لم تبرئه الحمد لم يبرئه شيء ".

وعن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: " أن الله تعالى قال لي يا محمد ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم فأفرد الامتنان عليّ بفاتحة الكتاب وجعلها بإزاء القرآن وأن فاتحة الكتاب أشرف ما في كنوز العرش وأن الله خصّ محمدا وشرّفه بها ولم يشرك فيها أحدا من أنبيائه ما خلا سليمان فإنه أعطاه منها بسم الله الرحمن الرحيم. ألاّ تراه يحكي عن بلقيس حين قالت إنّي ألقيَ إليّ كتاب كريم إنّه من سليمان وإنّه بسم الله الرحمن الرحيم، ألاّ فمن قرأها معتقدا لموالاة محمد وآله منقادا لأمرها مؤمنا بظاهرها وباطنها أعطاه الله بكل حرف منها حسنة كل واحدة منها أفضل له من الدنيا بما فيها من أصناف أموالها وخيراتها ومن استمع الى قارئ يقرؤها كان له قدر ثلث م ا للقارئ فليستكثر أحدكم من هذا الخير المعرّض له فإنه غنيمة لا يذهبنّ أوانه فتبقى في قلوبكم حسرة".

وعن الصادق عليه السلام: " لو قرأت الحمد على ميّت سبعين مرة ثم ردّت فيه الروح ما كان عجيبا " وعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: " أيّما مسلم قرأ فاتحة الكتاب أعطي من الأجر كأنّما قرأ ثلثي القرآن وأعطي من الأجر كأنما تصدّق على كل مؤمن ومؤمنة ". وروى هذا الخبر بعينه من طريق آخر إلاّ أنه قال " كأنما قرأ القرآن ". وروي عن أبيّ ابن كعب (أبيّ بن كعب صحابي شهد العقبة مع السبعين وكان يكتب الوحي شهد بدرا والعقبة الثانية وبايع رسول الله وكان من الإثني عشر الذين أنكروا على أبي بكر خلافته وأرادوا تنزيله عن منبر رسول الله وكفى في فضله وجلالته أن الصادق عليه السلام ينقل الحديث عنه كما في مصباح الشريعة أن الصادق عليه السلام قال حسن الظن أصله من حسن إيمان المرء وسلامة صدره الى أن قال قال أبيّ بن كعب إذا رأيتم أحد إخوانكم في خصلة تستنكرونها منه فتأوّلوا لها سبعين تأويلا فإن اطمأنت قلوبكم على أحدها والا فلوموا

أنفسكم حيث لم تعذروه في خصلة سترها عليه سبعين تأويلا وأنتم أولى بالإنكار على أنفسكم.) قال: " قرأت على رسول الله فاتحة الكتاب فقال: والذي نفسي بيده ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها هي أمّ الكتاب وهي السبع المثاني وهي مقسومة بين الله وعبده ولعبده ما سأل ". وعن حذيفة بن يمان (حذيفة بن اليمان العنسي من أصحاب رسول الله أحد الأركان الأربعة سكن الكوفة ومات بالمدائن وعن أسد الغابة أنه كان صاحب سرّ رسول الله صلى الله عليه وآله بالمنافقين لم يعلمهم أحد إلاّ حذيفة أعلمه بهم رسول الله (انتهى). قتل أبوه في أحد قتله المسلمون خطأ يحسبونه من العدو وحذيفة يصيح بهم فلم يفقهوا قوله حتى قتل فلما رأى حذيف ة أن أباه قد قتل استغفر للمسلمين فقال: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين. فبلغ ذلك رسول الله فزاده عنده خيرا وحكي أن له درجة العلم بالسنّة وعن العلامة الطباطبائي أنه يستفاد من بعض الأخبار أن له درجة العلم بالكتاب أيضا وقال أيضا وعند الفريقين انه كان يعرف المنافقين بأعيانهم وأشخاصهم. عرفهم لليلة العقبة حين أرادوا أن ينفروا ناقة رسول الله في منصرفهم من تبوك وكان حذيفة تلك الليلة قد أخذ بزمام الناقة ويقودها وكان عمار من خلف الناقة يسوقها. وتوفي في المدائن بعد خلافة أمير المؤمنين(عليه السلام) بأربعين يوما سنة ست وثلاثين وأوصى أبنيه صفوانًا وسعيدًا بلزوم أمير المؤمنين وإتباعه فكانا معه بصفين وقتلا بين يديه وفي أمالي الشيخ الصدوق (رحمه الله) عن الثمالي قال: دعا حذيفة بن اليمان ابنه عند موته فأوصى إليه وقال: يا بني أظهر اليأس عما في أيدي الناس فإن فيه الغنى وإياك وطلب الحاجات الى الناس فإنه فقر حاضر وكن اليوم خيرا منك أمس وإذا أنت صليت فصلّ صلاة مودّع للدنيا كأنك لا ترجع وإياك وما يُعتذر منه.) رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: " إن الله تعالى يرسل العذاب الحتم ي المقضي الى قوم فيقرأ صبّي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فلما سمع الله يرفع العذاب

عنهم أربعين سنة " وعن ابن عباس1 (عبد الله بن العباس بن عبد المطلب أمه لبانة بنت الحرث بن الحزن أخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وآله قال العلامة كان محبا لعلي (عليه السلام)
وتلميذه، حاله في الجلالة والإخلاص لأمير المؤمنين أشهر من أن يخفي وقد ذكر الكشي أحاديث تتضمن قدحا فيه وهو أجلّ من ذلك وقد ذكرناه في كتابنا الكبير وأجبنا عنه (انتهى). ذكروا أنه ولد بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين ودعا له النبي صلى الله عليه وآله بالفقه والتأويل وكان حبر هذه الأمة وترجمان القرآن وكان عمر يقربه ويشاوره مع جملة الصحابة كف بصره في أواخر عمره وتوفي بالطائف سنة **68** (سح) وله تفسير مطبوع وابنه أبو محمد علي بن عبد الله بن العباس جدّ السفاح والمنصور كان شريفا وكان أصغر أولاد أبيه روي أنه لما ولد أخرجه أبوه الى أمير المؤمنين عليه السلام فحنكه ودعا له ثم ردّه إليه وقال خذ إليك أبا الأملاك قد سميته عليا وكنيته أبا الحسن.) قال: " بينما رسول الله صلى الله عليه وآله جالس وعنده جبرائيل إذ سمع نقيضا - يعني صوتا - فرفع رأسه فإذا باب من السماء قد فتح فنزل عليه ملك وقال: ان الله يبشّرك بنورين لم يعطهما نبيّا قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لا يقرأهما أحد إلاَّ أعطيته حاجته " (هذه الرواية ذكرها في المجمع وقد أشار إليها المؤلف دام ظله بأنها قريبة المضمون للرواية التي ذكر ترجمتها المؤلف في الأصل.

لفت نظر: ما ذكرته سابقاً من الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام ترجمة لما ذكره المؤلف دام ظله واليك نصّ الحديث روى المحدث المجلسي في البحار عن كشف الغمة للعالم علي بن عيسى الأربلي قال جعفر (عليه السلام) فَقَدَ أبي بغلة له فقال لئِن ردّها الله تعالى لأحمدنّه بمحامد يرضاها فما لبث أن أُتي بها بسرجها ولجامها فلما استوى عليها وضمّ إليه ثيابه رفع رأسه الى السماء فقال الحمد لله فلم يزد ثم قال ما تركت ولا بقيت شيئا جعلت كل أنواع المحامد لله عز وجل فما من حمد إلاَّ وهو داخل في ما قلت.

أقول: قد علق على الرواية في الطبعة الجديدة للبحار أنه أخرج ذلك ابن طلحة في مطالب السؤول ص80 وأبو نعيم في الحلية ج 3 ص186 بتفاوت. ولعل المؤلف أخذها عن غير الاربلي كما هو ظاهر).

الفصل السادس

في نبذة من تفسير السورة المباركة التوحيد:

اعلم أن هذه السورة الشريفة حيث أنها نسب الحق تعالى كما في الأحاديث الشريفة منها ما في الكافي عن أبي عبد الله (عليه السلام): أن اليهود سألوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالوا: " أنسب لنا ربّك فلبث ثلاثا لا يجيبهم ثم نزلت: قل هو الله أحد إلى آخرها " فلهذا تعجز عقول البشر عن فهم حقائقها ودقائقها وأسرارها ولكن مع هذا الوصف فما هو نصيب أهل المعرفة منها وما هو حظ قلوب أهل الله منها لا يسعه ميزان العقل المجرّد، ولعمر الحبيب إن هذه السورة الشريفة من الأمانات التي عجزت عن حملها سماوات الأرواح وأراضي الأشباح وجبال الإنّيّات وأشفقن منها ولا يليق بحملها إلاّ الإنسان الكامل الذي تجاوز عن حدود الإمكانية وصار مجذوبا وبلا حواس ولكن مع ذلك هنا بشارة تقرّ بها عيون أهل آخر الزمان وتعطي الاطمئنان لقلوب أهل المعرفة وهي الحديث الذي في الكافي الشريف قال: " سئل علي بن الحسين (عليه السلام) عن التوحيد فقال: إن الله عزّ وجلّ علم أنه يكون في آخر الزمان أقوام متعمّقون فأنزل الله تعالى قل هو الله أحد والآيات من سورة الحديد إلى قوله وهو عليم بذات الصدور فمن رام وراء ذلك فقد هلك ".

ويعلم من هذا الحديث الشريف أن فهم هذه الآيات وهذه السورة المباركة يحق للمتعمقين وأصحاب الأنظار الدقيقة. ودقائق التوحيد والمعرفة وسرائرها منطوية فيها، وأن الحق تعالى أنزل لطائف العلوم الإلهية لأهلها، والذين ليس لهم حظ من سرائر التوحيد والمعارف الإلهية فليس لهم حق النظر في هذه الآيات، وليس لهم حق أن يحملوا ويفسّروا هذه الآيات على ما يفهمونه من المعاني العامية السوقية.. وفي الآيات الأولى من السورة المباركة الحديد دقائق من التوحيد والمعارف الجليلة من الأسرار الإلهية والتجريد ما

لا يوجد له نظير في شيء من المسفورات الإلهية وصحف أهل المعرفة وأرباب القلوب، ولو لم تكن لصدق النبوّة وكمال شريعة النبي الخاتم سوى هذه الآيات لكفت أهل النظر والمعرفة. وإن أعظم شاهد على أن هذه المعارف خارجة عن تحمل البشر، وفوق أن يحيط بها الفكر الإنساني، أنه من قبل أن تنزل هذه الآيات الشريفة وأمثالها من المعارف المشتمل عليها القرآن الشريف لم يكن عند البشر سابقة هذا القسم من المعارف ولم يكن لهم طريق إلى هذه السرائر، وأن الكتب والصحف لأعاظم فلاسفة العالم موجودة الآن، مع أن علومهم أيضا من منبع الوحي الإلهي ولعل أعلاها وألطفها الكتاب الشريف " أثولوجيا " التصنيف القيّم للفيلسوف عظيم الشأن والحكيم الجليل أرسطاطاليس الذي سجد في جنابه أعجوبة الدهر ونادرة الزمان الشيخ الرئيس (هو أبو علي بن عبد الله بن سينا البخاري الشيخ الفيلسوف المعروف الملقب بالشيخ الرئيس كان أبوه من بلخ في شمال أفغانستان وسكن مملكة بخارا في زمن نوح بن منصور من الدولة السامانية فولد ولده بها وكان أعجوبة في الذكاء والحفظ أفتى على مذهب أبي حنيفة وهو ابن اثنتي عشر سنة وصنف القانون وهو ابن ستة عشر فمرض نوم بن منصور الساماني فجمعوا الأطباء لمعالجته فجمعوه معهم فرأوا معالجته خيرا من معالجات كلّهم فصلح على يديه فسأله أن يوصي خازن كتبه أن يعيره كلّ كتاب طلب ففعل فرأى في خزانته كتب الحكمة من تصانيف أبي نصر طرخان الفارابي فاشتغل بتحصيل الحكة ليلا ونهارا حتى حصّلها. قال فلما انتهى عمري الى أربع وعشرين كنت أفكّر في نفسي ما كان شيء من العلوم أنّي لا أعرفه. ويحكى أنه لم يكن في آن فارغا من المطالعة والكتابة وقليلا من الليل يهجع وإذا تردّد في مسألة يتوضأ ويعزم جامع البلد ويصلّي فيه ركعتين بالخشوع ويشتغل بالدعاء والاستعانة الى أن ترتفع شبهته ومرت به طواري مختلفة وقاسى ما يقاسيه طالب العلى وله تأليفات مشهورة منها: القانون والشفا والإشارات وقد شرح القسم الإلهيات من الإشارات الخواجة نصير الدين الطوسي والفخر

الرازي وكتب القطب الرازي المحاكمات وهو شرح له حكم بينهما في شرحيهما على الإشارات ، وله القصيدة الرائعة المشهورة العينية.

هبطت إليك من المحل الأرفع
ورقاء ذات تعزز وتمنّع
محجوبة عن كل مقلة عارف
وهي التي سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كره إليك وربما
كرهت فراقك وهي ذات تفجع
أنفت وما ألفت فلمّا واصلت
ألفت مجاورة الخراب البلقع
وأظنّها نسيت عهودا بالحمى
ومنازلا بفراقها لم تقنع
حتى إذا اتصلت بهاء هبوطها
من ميم مركزها بذات الأجرع
علقت بها ثاء الثقيل فأصبحت
بين المعالم والطلول الخضع
تبكي وقد نسيت عهودا بالحمى
بمدامع تهمي ولمّا تقلع
حتى اذا قرب المسير الى الحمى
ودنا الرحيل الى الفضاء الاوسع
وغدت تغرّد فوق ذروة شاهق
والعلم يرفع كل من لم يرفع
وتعود عالمة بكلّ خفيّة
في العالمين فخرقها لم يرقع

القصيدة وآخرها:

فكأنها برق تألّق بالحمى
ثم انطوى فكأنه لم يلمع)

خضوعا له وتحقيرا لنفسه، ومن رشحات فكر ة المنطق وتنظيم قواعده ولهذه الجهة سّمي المعلّم الأول. وقال الشيخ الرئيس: أنه منذ نظّم ذاك العظيم قواعد المنطق لم يستطع أحد أن يخدش في إحدى قواعده أو يؤسس قاعدة زائدة، ومع هذا الوصف كله ومع أن أسّس وقنّن ذلك الكتاب الشريف لمعرفة الربوبية فلاحظوه هل تجدون من أول ذلك الكتاب الشريف إلى آخره لتعريف مقام الربوبية مثل هذه الكريمة الشريفة أول سورة الحديد أو ما يقرب من مفادها أو ما يكون فيه رائحة من هذا

السر العظيم للتوحيد وهي قوله تعالى: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ} (الحديد - 3) أو أن في جميع أقوال الفلاسفة هل يوجد مثل {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ } (الحديد - 4). والأقوام المتعمقون وأصحاب النظر والمعرفة يعلمون اليوم ما في هذه الآيات من الأسرار وأن الله تعالى كيف شرّف أقواما في آخر الزمان ومنّ عليهم بهذا الكلام الشريف والسرّ العظيم. ومن راجع المعارف الرائجة في أديان العالم وعند الفلاسفة الكبار للأديان وقاس المعارف في المبدأ والمعاد مع المعارف في الدين الحنيف الإسلام وعند الحكماء العظام الإسلاميين و العرفاء الشامخين لهذه الملّة ليصدّق كاملا أن هذه المعارف من نور معارف القرآن الشريف وأحاديث النبي الخاتم وأهل بيته عليهم السلام المستفادة والمصطفاة من منبع نور القرآن، فيعرف حينئذ أن الحكمة الإسلامية والعرفان الإسلامي ليست من اليونان واليونانيين بل لا تشبه حكمتهم أصلا.

نعم قد مشى بعض حكماء الإسلام على منوال الحكمة اليونانية كالشيخ الرئيس ولكن حكمة الشيخ في سوق أهل المعرفة وفي باب معرفة الربوبية والمبدأ والمعاد غير رائجة، وفي جناب أهل المعرفة لا قيمة لها.

وبالجملة، أن نسبة فلسفة حكماء الإسلام اليوم والمعارف الجليلة لأهل المعرفة إلى حكمة اليونان ناشئة من عدم الإطلاع على كتب القوم مثل الفيلسوف العظيم الشأن الإسلامي صدر المتألّهين (قدّس سره) (محمد بن إبراهيم الشيرازي الحكيم المتأله المعروف كان عالم أهل زمانه في الحكمة متقنا لجمع الفنون له الأسفار الأربعة وشرح الكافي وتفسير بعض السور القرآنية وكسر الأصنام الجاهلية وشواهد الربوبية وغير ذلك. توفي بالبصرة وهو متوجه الى الحج سنة 1050 قال صاحب نخبة المقال في تاريخه: ثم ابن إبراهيم صدر الأجلّ في سفر الحج مريض (1050) ارتحل.

قدوة أهل العلم والصفا ثم انطوى فكأنه لم يلمع وتلميذه الجليل الفيض

الكاشاني (قدس سره) والتلميذ العظيم الشأن للفيض والعارف الجليل الإيماني القاضي سعيد القمي (قدس سره)، وأيضا من عدم الإطلاع على معارف الصحيفة الإلهية وأحاديث المعصومين (عليهم السلام) فنسبوا كل حكمة إلى اليونان وظنّوا حكماء الإسلام تابعي حكمة اليونان، ونحن قد بيّنا نبذة من لطائف السورة الكريمة التوحيد وبعض إشارات الآيات الشريفة في كتاب شرح الأربعين وأيضا فسّرنا هذه السورة تفسيرا بالاختصار في سرّ الصلاة، وهنا نكتب مختصرا منه وعلى الله التكلان، فنقول:

إن بسم الله هذه السورة إن كانت متعلقة بنفس هذه السورة كما احتملنا ذلك في سورة الحمد فلعلّها تكون إشارة إلى أن شرح نسب الحق تعالى وبيان أسرار التوحيد لا يمكن بأنانية النفس واللسان المنسوب إلى النفس بل السالك ما لم يخرج من حجاب النفس ولم يتحقق بمقام المشيئة المطلقة وحضرة الفيض المقدّس وفانياً في الهوية المطلقة لم يدرك سرائر التوحيد.

و " قل " أمر من الحضرة الأحدية الجمعية بمقام البرزخية الكبرى ومرآة الجمع والتفصيل يعني قل يا محمد يا مرآة ظهور أحدية الجمع في مقام التدلي الذاتي أو المقام المقدس أو أدنى الذي يمكن أن يكون إشارة إلى مقام الفيض الأقدس (باللسان الفاني من نفسك الباقي ببقاء الله) هو الله أحد.

اعلم أيها السالك سبيل المعرفة والتوحيد والعارج معارج التنزيه والتجريد أن الذات المقدسة للحق تعالى من حيث هي منزّهة عن التجليات الظاهرة والباطنة ومبرّأة عن الإشارة والاسم والصفة والرسم فأيدي آمال أهل المعرفة قاصرة عن ذيل كبريائه وأرجل أصحاب القلوب في السلوك راجلة عن الوصول إلى بلاط قدسه، إن غاية معرفة الأولياء الكمل: " ما عرفناك " ونهاية سير أصحاب الأسرار: " ما عبدناك " ورئيس سلسلة أهل المعرفة وأمير أصحاب التوحيد يقول في هذا المقام الرفيع: " كمال الإخلاص نفي الصفات عنه " وأمام أهل السلوك وسيد الساجدين والعارفين يترنم في هذا الجناب المنيع: " ضلّت فيك الصفات وتفسّخت دونك

النعوت " وأصحاب السلوك العلمي والاصطلاحات يسمون الذات المقدسة الغيب المصون و السر المكنون وعنقاء المغرب والمجهول المطلق، ويقولون:
إن الذات بلا حجاب الأسماء والصفات لن تتجلى في مرآة في المرائي ولن تظهر في نشأة من نشآت الوجود وفي عالم من عوالم الغيب والشهود ولكن على حسب كل يوم هو في شأن.. أن للذات المقدسة أسماء وصفات وشؤونها جمالية وجلالية ولها أسماء ذاتية في مقام الأحدية الذي هو مقام الغيب، ولابدّ أن يقال لتلك الأسماء الأسماء الذاتية، وبتعيّن الأسماء الذاتية يتجلى بالفيض الأقدس، وبهذا التجلي في كسوة الأسماء الذاتية يتعيّن ويظهر مقام الواحدية وحضرة الأسماء والصفات ومقام الألوهية، فعلم أنه بعد الذات المقدسة من حيث هي، ثلاث مقامات ومشاهد أخر:
مقام الغيب الأحدي ومقام التجلي بالفيض الأقدس، ولعل العماء الواردة في الحديث النبوي تكون إشارة إليه، ومقام الواحدية الذي هو الاسم الأعظم بأحدية الجمع، ومقام الأسماء والصفات بالكثرة التفصيلية، وتفصيل هذه المقامات يحتاج إلى بسط خارج عن مجال هذه الأوراق.
فبعدما علمت هذه المقدمة نقول:
يمكن أن يكون (هو) إشارة إلى مقام الفيض الأقدس وهو تجلي الذات يتعيّن الأسماء الذاتية (الله) إشارة إلى مقام أحدية الجمع الأسمائية وهو حضرة الاسم الأعظم و (أحد) إشارة إلى مقام الأحدية، وبناء على هذا فالآية الشريفة في صدد إثبات أن هذه المقامات الثلاثة مع أنها في مقام التكثير الأسمائي متكثرة لكنها في نفس الحال لفي غاية الوحدة على حسب الحقيقة، وأن التجلي بالفيض الأقدس على حسب مقام الظهور فهو الله وعلى حسب مقام البطون أحد.
ولعل (هو) يكون إشارة إلى مقام الذات، وحيث هو إشارة غيبية فهو في الحقيقة إشارة إلى المجهول والله وأحد إشارة إلى مقام الواحدية والأحدية فيعرف الذات التي هي المجهول المطلق بالأسماء الذاتية والأسماء الواحدية والصفاتية، فهو في الحقيقة إشارة إلى أن الذات هي الغيب وأيدي

الآمال عنها قاصرة وصرف العمر في التفكر في الذات موجب للضلالة، وما هو مورد لمعرفة أهل الله وعلم العالمين بالله هو مقام الواحدية والأحدية، فالواحدية لعامة أهل الله والأحدية للخلّص من أهل الله.

تنبيه حكمي:

اعلم أن للحق تعالى صفات ثبوتية وصفات سلبية في نظر الحكماء وقالوا أن الصفات السلبية ترجع إلى سلب السلب أي سلب النقص، وقال بعض: أن الصفات الثبوتية هي صفات الجمال والصفات السلبية هي صفات الجلال، وذو الجلال والإكرام جامع جميع الصفات السلبية والثبوتية، وهذا الكلام في كلتا المرحلتين خلاف التحقيق أما المرحلة الأولى فالصفات السلبية ليست بصفات على التحقيق بل لا سبيل إلى ذات الحق تعالى لا للسلب ولا لسلب السلب والحق تعالى ليس متصفا بالأوصاف السلبية لأن الأتصاف بالسلب في القضايا المعدولة وعقد القضية المعدولة (موضوع القضية الحملية قد يكون شيئا (محصّلا) بالفتح أي يدل على شيء موجود أو صفة موجودة وقد يكون موضوعها أو محمولها شيئا معدولا أي داخلا عليه حرف السلب على وجه يكون جزئا من الموضوع أو المحمول مثل لا إنسان، لا عالم. وعليه فالقضية باعتبار تحصيل الموضوع والمحمول وعدولهما تنقسم الى قسمين: محصّلة ومعدولة:

1- المحصلة: ما كان موضوعها ومحمولها محصلا سواء أكانت موجبة أو سالبة مثل: الهواء نقي، الهواء ليس نقيا.

2- المعدولة ما كان موضوعها أو محمولها أو كلاهما معدولا سواء أكانت موجبة أو سالبة وتسمى معدولة الموضوع أو معدولة المحمول أو معدولة الطرفين حسب دخول العدول على أحد طرفيها أو كليهما.

مثال معدولة الطرفين: كل لا عالم هو غير صائب الرأي مثال معدولة المحمول: الهواء غير فاسد، الهواء ليس هو غير فاسد.

مثال معدولة الموضوع: غير العالم مستهان غير العالم ليس بسعيد.

وتمتاز معدولة المحمول عن السالبة محصلة المحمول:
1- في المعنى: فإن المقصود بالسالبة سلب الحمل وبمعدولة المحمول حمل السلب أي يكون السلب في المعدولة جزءا من المحمول المسلوب بما هو مسلوب على الموضوع.
2- في اللفظ: فإن السالبة تجعل الرابطة فيها بعد حرف السلب لتدل على سلب الحمل والمعدولة تجعل الرابطة فيها قبل حرف السلب لتدل على حمل السلب وبالدقة فيما ذكرناه يتضح ما ذكره المؤلف دام ظله من أن الحق تعالى ليس متصفا بالأوصاف السلبية..) للحق تعالى غير جائز لأنه مصحح للجهات الإمكانية ومستلزم للتركيب في الذات المقدسة بل الأوصاف السلبية بطريق السلب المطلق البسيط وهو سلب الصفة لا إثبات صفة سلب السلب، وبعبارة أخرى النقائص مسلوبة عن الحق تعالى بالسلب البسيط لا أن سلب النقائص ثابت له بطريق الإيجاب العدولي فالصفات التنزيهية ليست بصفات على الحقيقة وإنما الحق تعالى متصف بالصفات الثبوتية فقط.
وأما المرحلة الثانية: فإن صفات الجمال عند أهل المعرفة صفات يحصل منها الأنس والعلاقة، وصفات الجلال صفات يحصل منها الوحشة والحيرة والهيمان، فما كان متعلقا باللطف والرحمة فهو من صفات الجمال كالرحمن والرحيم واللطيف والعطوف والرب وأمثالها، وما كان متعلقا بالقهر والكبرياء فهو من صفات الجلال كالمالك والملك والقهّار والمنتقم وأمثالها، وإن كان في سر كل جمال جلال لأن كل جمال يبطن حيرة وهيمانا ويظهر للقلب بسّر العظمة والقدرة، وكل جلال في باطنه الرحمة. والقلب يأنس به باطنا، ولهذا كما أن القلب بفطرته مجذوب للجمال والجميل، فهو كذلك مجذوب للقدرة والعظمة والقادر والعظيم، فهذان النوعان من الصفات صفة ثبوتية لا سلبية، فإذا علم هذا المطلب فأعلم أن (الله) وإن كان هو الاسم الأعظم وأن صفات الجمال والجلال تحت حيطته لكن ربما يطلق على صفات الجمال كالإلهية والألوهية مقابلاً صفات الجلال، فإن الإلهية والألوهية راجعتان إلى

صفات الجمال نوعا وخصوصا إذا وقعت في مقابل صفة الجلال.
وفي الآية الشريفة (قل هو الله أحد) يمكن أن يكون (أحد) إشارة لإحدى أمّهات صفات الجلال وهي مقام كمال بساطة الذات المقدسة والله إشارة إلى اسم الجمال، ففي الآية قد عرّفت نسبة الحق تعالى على حسب مقام الأحدية والواحدية والتجلي بالفيض الأقدس، وهذه الثلاثة جميع الشؤون الإلهية.
وبناء على الاحتمال الأول الذي ذكر قبل هذا التنبيه عرفت نسبة الحق تعالى على حسب مقام الأسماء الجمالية والجلالية المحيطة بجميع الأسماء.

تنبيه عرفاني:

اعلم أن كلام كل متكلم جلوة ذاته على حسب مقام الظهور وبروز ملكاته الباطنية في مرآة الألفاظ بمقدار استعداد النسج الألفاظي، كما أنه إذا كان قلب نورانيا وصافيا من ألواث عالم الطبيعة وكدوراته يكون كلامه أيضا نورانيا بل نورا وتتجلى تلك النورانية للقلب في كسوة الألفاظ، وقد ورد في شأن أئمة الهدى " كلامكم نور " وورد " لقد تجلى في كلامه لعباده ". وفي نهج البلاغة " إنما كلامه فعله ". والفعل جلوة ذات الفاعل بلا كلام منه، وإذا كان قلبا ظلمانيا ومكدرا يكون فعله وقواه أيضا ظلمانية ومكدرة مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة، ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة.. وحيث أن الذات المقدسة للحق جل وعلا على حسب كل يوم هو في شأن.. يتجلى لقلوب الأنبياء والأولياء في كسوة الأسماء والصفات وتختلف التجليات على حسب اختلاف قلوبهم، والكتب السماوية التي نزلت على قلوبهم بنعت الإيحاء بتوسط ملك الوحي جبرائيل تختلف على حسب اختلاف هذه التجليات وعلى حسب اختلاف الأسماء التي لها المبدئية للتجليات كما أن اختلاف الأنبياء وشرائعهم أيضا باختلاف الدول الأسمائية فكل اسم تكون إحاطته أكثر وكان أجمع، تكون الشريعة التابعة له أكثر إحاطة وأدوم، وحيث أن النبّوة الختمية والقرآن الشريف وشريعة سيد البشر من مظاهر المقام الجامع الأحدي وحضرة اسم الله الأعظم

ومجاليها أو من تجلياتها وظهورها فلهذا صارت أكثر النبوات والكتب والشرائع إحاطة وأجمعها، ولا يتصور أكمل وأشرف من نبوّته وكتابه وشريعته ولا يتنزل من عالم الغيب على بسيط الطبيعة علم أعلى منه أو شبيه له بمعنى أن هذا هو آخر ظهور للكمال العلمي المربوط بالشرائع وليس للأعلى منه إمكان النزول في عالم الملك، فنفس الرسول الخاتم (صلى الله عليه وآله) أشرف الموجودات ومظهر تام للاسم الأعظم، ونبوته أيضا أتمّ النبوّات الممكنة وصورة لدولة الاسم الأعظم الأزلية الأبدية والكتاب النازل إليه أيضا نزل على مرتبة الغيب بتجلي الاسم الأعظم ولهذه الجهة لهذا الكتاب أحدية الجمع والتفصيل وهو من جوامع الكلم، كما أن كلامه (صلى الله عليه وآله) أيضا من جوامع الكلم، والمراد من كون القرآن وكلامه (صلى الله عليه وآله) من جوامع الكلم ليس أن القرآن أو أنه (صلى الله عليه وآله) بينّا الكليات والضوابط الجامعة، وإن كانت أحاديثه (صلى الله عليه وآله) أيضا من الجوامع والضوابط كما أن ذلك معلوم في علم الفقه بل جامعيته عبارة عن أن القرآن نزل لجميع طبقات الإنسان في جميع أدوار العمر البشري وهو رافع لجميع حوائج هذا النوع. وحقيقة هذا النوع حيث إنها حقيقة جامعة وواجدة لتمام المنازل من المنزل الأسفل الملكي إلى أعلى مراتب الروحانية والملكوت والجبروت ولهذه الجهة تختلف أفراد هذا النوع في هذا العالم من أسفل الملكي اختلافا تاما، و الاختلاف والتفاوت الموجودان في أفراد هذا النوع لا يوجدان في أفراد سائر الموجودات، في هذا النوع الشقّي في كمال الشقاوة موجود، والسعيد في كمال السعادة موجود وفي هذا النوع أن بعض أفراده أسفل من جميع الحيوانات وبعض أفراده أشرف من جميع الملائكة المقربين.

وبالجملة، حيث إن أفراد هذا النوع مختلفة ومتفاوتة في المدارك والمعارف، فالقرآن نزل على نحو يستفيد كل منه على حسب كمال إدراكه ومعارفه وضعفها وعلى حسب ما له من الدرجة العلمية.

فمثلا الآية الشريفة {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} (الأنبياء - 22) فأهل المعرفة وأهل الأدب واللغة يفهمون منها شيئا، وفي نفس الحال يستفيد منها علماء الكلام طوراً آخر والفلاسفة والحكماء معنى آخر و العرفاء والأولياء يستفيدون منها معنى آخر. فأهل العرف يفهمون منها بيانا خطابيا على حسب ذوقهم مثلا يقولون مملكة واحدة لا تسع لسلطانين، وإذا كان رئيسان في طائفة واحدة فذلك يوجب الفساد، ومختاران في قرية فذلك يوجب الاختلاف والتخاصم والتنازع، وهكذا إذا كان في العالم أيضا إلهان لكان فيه الفساد والتنازع والاختلاف والتشاجر، وحيث إن هذا الاختلاف غير موجود ونظام السموات والأرض محفوظ فهذا دليل على أن مدير العالم واحد.

والمتكلمون يستفيدون منها برهان التمانع (أقول برهان التمانع المستفاد من الآية الكريمة ربما يطرح بصورة بسيطة، وحاصلها أنه لو كان المبدأ وواجب الوجود متعددا لوقع التزاحم والتمانع بين إرادتهم، فإذا تزاحمت الإرادات فإما أن تغلب إحدى الإرادات على الأخرى وإما إلاَّ تغلب إرادة من الإرادات على غيرها.

أما الأول فمحال، وتكون إرادة من واجب مغلوبة لإرادة أخرى لأن المغلوبية منافية للكمال ووجوب الوجود.

وأما الثاني: فيلزم منه الفساد في عالم الكون لأن المفروض أنّ شيئا من الإرادات لم تكن مؤثرا، فإذا لم تكن ثمة إرادة فينقطع الرابط بين الكون والواجب ولا شكّ أن الممكن لا بدّ من الربط بالواجب ولا تقع حادثة بل لا يوجد ولا يبقى موجود وهذا معنى الفساد، ولكن هذا التقرير غير تام لأنه لا موجب لنا أن نفرض الإرادات الواجبة متزاحمة بل لا بدّ لها أن تكون متعاطفة غير متزاحمة لأن المفروض أن كلها للوجود الواجب العليم الحكيم لا يعمل واجب على خلاف المصلحة والحكمة، وحيث المصلحة والحكمة ليست بأزيد من واحدة فإرادات الواجبة وان كانت أزيد من ورق الأشجار وقطر الأمطار تكون متحدة لا محالة وبعبارة أخرى، تزاحم الإرادات إنما ينشأ إما من جلب النفع

الشخصي وحب النفس أو من الجهل وكلاهما غير متصورة في حق الواجب تعالى، فبرهان التمانع ليس مبنيا على تضادّ الإرادات وتخالفها بل هو مبني على امتناع وجود كل حادثة ممكنة من ناحية تعدد الإرادات، بمعنى أنه لو كان واجب الوجود متعددا لكان التمانع في الوجود موجودا حتى مع فرض توافق الإرادات وعدم تخالفها وتزاحمها، وهذا البرهان مبتني على ثلاثة أصول:

الأصل الأول: أن واجب الوجود بالذات واجب من جميع الجهات والحيثيات وتوضيحه إجمالا أنه لا يمكن أن يكون في ذات الواجب حيثية الإمكان والقوة بوجه من الوجوه فذات الواجب وجوب صرف فهو عالم بالوجوب لا بالإمكان وقادر بالوجوب لا بالإمكان ، وهكذا جميع صفاته فذات الواجب فيّاضة وخلاّقة بالوجوب لا بالإمكان بمعنى أنه من المحال أن يكون إمكان الوجود في موجود ولا يفاض الوجود له من الواجب.

الأصل الثاني: أن حيثية وجود المعلول متحدة مع حيثية انتسابه الى العلّة وليست في المعلول حيثيان فيكون منتسبا الى الفاعل والعلة بإحدى الحيثيتين وموجودا بالأخرى، وقد بيّن هذا المعنى صدر المتألهين وعبّر هذا بأنّ وجود المعلول هو عين الربط والانتساب الى العلّة.

وقد كرر هذه الدقيقة في كلام الأستاذ (دام ظله) ولهذه الجهة الإيجاد متحد مع الوجود لا أن الوجود شيء والإيجاد شيء آخر.

الأصل الثالث: انه من المحال الترجيح بلا مرجّح، وهذا الأصل لا يحتاج إلى توضيح زائد فإنه من الواضح أنه إذا كانت نسبة شيء الى شيئين متساوية فمن المحال أن يتغير هذا التوازن والتساني من دون دخالة أمر خارجي، وكما الترجيح بلا مرجّح محال كذلك الترجّح بلا مرجح أيضا محال ولكن الأول يستعمل غالبا في مورد الفواعل والثاني في مورد الآثار.

وقد تصدى بعض المتكلمين على إمكان الترجيح بلا مرجّح من باب أن الدليل على إمكان شيء وقوعه ولهذا عنون مسألتي (رغيفي الجائع وطريقي الهارب) غفلة من أن هذه الأمثلة تكون مثالا للموضوع إذا

أحطنا على جميع العوامل والشرائط الدخيلة على الموضوع. والحال أن العوامل الدخيلة في شعورنا الظاهر والباطن في أمثال هذه الموارد بمقدار لا يمكننا الإحاطة بها فالبرهان العقلي لا يُردّ ولا يُمنع بهذه السوقيّة العامية فنقول نظرا الى المقدمات الثلاثة المذكورة: أن كان في الوجود واجبان أو أكثر فبحكم المقدمة الأولى وهي أن كلّ شيء يمكن تحقّق وجوده بتوفر شرايط وجوده فلا محالة يفاض الوجود عليه ومن المعلوم أن نسبة الواجبين أو أكثر الى هذا الشيء واحدة وتعلّق إرادة كل منهم إليه سواء فلا بد أن يفاض الوجود إليه من طرف الواجبين أو أكثر وبحكم المقدمة الثانية وجود كل مساو لانتسابه الى علته فالإيجاد تستلزم وجودين وحيث أن المعلول المفروض وجوده لا يمكن له أزيد من وجود واحد فلا يمكن انتسابه إلاّ الى واحد فحينئذ انتساب المعلول الى احد الواجبين أو أكثر منهما مع أن المفروض عدم وجود رجحان في أحدهما على الآخرين ترجّح بلا مرجح وانتسابه الى الجميع يساوي تعدد وجود المعلول بعدد الواجب وهذا أيضا محال لأن المفروض أن الشيء الذي توفرت فيه شرايط ينتهي الى واحد متعددا فتكون النتيجة أن إلاّ يوجد شيء أصلا. فعلى فرض تعدّد وجود الواجب يلزم إلاّ يوجد شيء لان وجوده محال فيصحّ أن يقال لو كان فيهما آلهة إلاّ الله صدق الله العليّ العظيم) والفلاسفة والحكماء يقيمون منها البرهان المتين الحكمي من طريق (إلاّ الواحد والواحد لا يصدر إلاّ من الواحد). وأهل المعرفة أيضا من طريق أن العالم مرآة الظهور ومجلي للتجليات الحق يستفيدون الوحدانية منها بطور آخر إلى غير ذلك من المعاني التي يطول ذكر كل واحد منها.

فإذا علمت هذا المقدمة فأعلم أن السورة الشريفة قل هو الله أحد من جوامع الكلم كسائر القرآن يستفيد كل منه على طور، كما أن علماء الأدب والظاهر يرون أن هو ضمير الشأن والله علم الذات، وأحد بمعنى الواحد أو مبالغة في الوحدة يعني أن الله واحد أو أنه لا شريك له في الإلهية أو ليس كمثله شيء أو أنه لا شريك له في الإلهية والقدم أو أن أفعاله واحدة بمعنى أن جميع أفعاله

طبق الصلاح والإحسان ولا يجر نفعا لنفسه، والله الصمد يعني أنه سيد كريم إليه مرجع الناس في الحوائج أو أنه صمد بمعنى أنه لا جوف له فلا يتولد منه شيء ولا يتولد هو من شيء وليس له أحد شبيها ونظيرا. وهذا بيان عرفي عامّي مقابل الكفار الذين كانت لهم آلهة متصفة بالصفات الإمكانية فأمر النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) أن يقول لهم ليس إلهنا كإلهكم بل أوصافه هذه الأوصاف المذكورة. هذا تفسير هذه السورة بطريق العرف والعادة وهذا التفسير يختص بطائفة ولا ينافي أن يكون لها معنى أو معان أدقّ كما ذكرنا بعضها.

تفسير حكمي:

يمكن أن يكون للسورة المباركة التي نزلت للمتعمقين في آخر الزمان تفسير حكمي موافق للموازين الحكمية والبراهين الفلسفية وهذا ما استفدته عن الشيخ الجليل العرف شاه آبادي (مدّ ظلّه) فـ (هو) إشارة إلى صرف الوجود والهوية المطلقة وهو برهان على ستة براهين شامخة حكمية أثبتت في السورة المباركة للحق تعالى.

الأول: مقام الألوهية وهو مقام استجماع جميع الكمالات وأحدية جمع الجمال والجلال، فإنه قد ثبت في المقامات المناسبة من المسفورات الحكمية أن صرف الوجود والهوية المطلقة هو صرف الكمال وإلا يلزم إلاّ يكون صرف الوجود أيضا، وحيث إن بيان هذا المطلب يطول ويحتاج إلى مقامات فأكتفي منه بالإشارة.

الثاني: وهو إشارة إلى البساطة التامة العقلية والخارجية والماهوية والوجودية والتنزّه عن مطلق التركيبات العقلية وسواء أكانت جنسا أو فصلا. سواء أكانت مادة وصورة عقلية أو خارجية أو مادة وصورة خارجية أو أجزاء مقدارية، و برهان هذا المطلب أيضا هو برهان صرف الوجود والهوية المطلقة لأن الصرف إذا لم يكن أحديّ الذات يلزم أن يخرج عن الصرفية وينسلخ عن ذاتيته.

الثالث: مقام الصمدية: وهو الإشارة إلى نفي الماهية وعدم الجوف له وكونه غير مجوف أيضا إشارة إلى أنه ليس له الماهية ولا النقص الإمكاني لأن جميع الممكنات مرتبة ذاتها التي هي بمنزلة باطنها وجوفها مجوفة وخالية، وحيث أن الذات المقدسة صرف الوجود والهوية المطلقة ليس له النقص الإمكاني الذي أصله الماهية، لأن الماهية منتزعة من الحدود الوجودية واعتبارها من تعيّن الوجود. وصرف الوجود منزه ومبرّأ عن الحد والتعيّن لأن كل محدود هوية مقيدة ووجود مخلوط لا الوجود المطلق ولا الصرف.

الرابع: عدم انفصال شيء منه لأن انفصال شيء عن شيء مستلزم للهيولوية بل للأجزاء المقدارية وهو ينافي الهوية المطلقة وصرافة الوجود ووجود المعلولات من العلة ليس بطريق الانفصال بل بطريق التجلي والظهور والتشأن والصدور وهو بحيث أنه لا ينقص من صدورها شيء من العلة ولا يضاف برجوعها شيء إلى العلّة.

الخامس: عدم انفصاله عن شيء وهو (أي الانفصال عن شيء) مضافا إلى المفسدة السابقة ينافي صرافة الوجود وإطلاق الهوية من طريق آخر لأنه يلزم أن يتقدم صرف الوجود شيء آخر، وقد ثبت في الفلسفة العالية أن الصرف أقدم الأشياء والمتعين متأخر عن المطلق.

السادس: عدم الكفؤ والمثل ونفي المثل والشبيه وهو أيضا ببرهان صرف الوجود ثابت لا ينكر، فلا تتصور هويتان مطلقتان وليس المقيد للمطلق صنوا ونظيرا، ولكل من هذه المطالب مقدمات وأصول تفصيلها خارج عن مجال هذا المختصر.

حكمة مشرقية:

اعلم أن هذه السورة المباركة مع كمال اختصارها مشتملة على جميع الشؤون الإلهية ومراتب التسبيح والتنزيه. وفي الحقيقة هي نسبة الحق تعالى بما يمكن أن يقع في قالب الألفاظ ونسيج العبارات كما أن هو الله أحد تمام حقائق صفات الكمال ومشتمل على جميع الصفات الثبوتية، ومن

الصمد إلى آخر السورة الصفات التنزيهية وإشارة إلى سلب النقائص.
وأيضا في السورة الشريفة إثبات الخروج من الحدين حد التعطيل والتشبيه اللذين هما كلاهما خروج عن حد الاعتدال وحقيقة التوحيد، فالآية الشريفة الأولى إشارة إلى نفي التعطيل وتتمة السورة إشارة إلى نفي التشبيه.
وهي أيضا مشتملة على الذات من حيث هي ومقام الأحدية وهو التجلي بالأسماء الذاتية ومقام الواحدية وهو التجلي بالأسماء الذاتية ومقام الواحدية وهو التجلي بالأسماء والصفات كما ذكر تفصيله بما يناسب.

تتميم:

روى الشيخ الصدوق (رضوان الله عليه) عن أبي البختري وهب بن وهب القرشي عن أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي الباقر عليه السلام في قول الله عز وجل: " قل هو الله أحد " قال: (قل) أي أظهر ما أوحينا إليك ونبّأناك به بتأليف الحروف التي قرأنا لك ليهتدي بها من ألقى السمع وهو شهيد و " هو " اسم مكنى يشار به إلى الغائب، فالهاء تنبيه عن معنى ثابت والواو إشارة إلى الغائب عن الحواس، كما أن قولك " هذا " إشارة إلى الشاهد عند الحواس، وهذه الإشارة إلى الغائب لأن الكفار نبّهوا عن آلهتهم بحرف إشارة الشاهد المدرك فقالوا هذه آلهتنا المحسوسة المدركة بالأبصار، فأشر أنت يا محمد إلى إلهك الذي تدعو عليه حتى نراه وندركه ولا نتألّهه فيه، فأنزل الله سبحانه وتعالى قل هو الله أحد فالهاء تثبيت الثابت والواو تشير إلى الغائب عن درك الأبصار ولمس الحواس والله تعالى عن ذلك بل هو مدرك الأبصار والحواس ".
وقال الباقر عليه السلام: " معناه المعبود الذي أله الخلق عن درك ماهيته والإحاطة بكيفيته، ويقول العرب أله الرجل إذا تحيّر في الشيء فلم يحط به علما، ووله إذا فزع إلى شيء مما يحذره أو يخافه، فالإله هو المستور عن حواس الخلق ".

وقال الباقر عليه السلام: " الأحد الفرد المتفرد والأحد والواحد بمعنى واحد وهو المتفرد الذي لا نظير له، والتوحيد الإقرار بالوحدة وهو الانفراد والواحد المتباين الذي لا ينبعث من شيء ولا يتحد بشيء، ومن ثم قالوا: إن بناء العدد من الواحد وليس الواحد من العدد لأن العدد لا يقع على الواحد بل يقع على الإثنين، فمعنى قوله الله أحد أي المعبود الذي يأله الخلق عم إدراكه والإحاطة بكيفيته فرد بإلهيته متعال عن صفة خلقه ". وقال الباقر عليه السلام: وحدّثني أبي زين العابدين عليه السلام عن أبيه الحسين عليه السلام أنه قال: " الصمد الذي لا جوف له والصمد الذي قد انتهى سؤدده والصمد الذي لا يأكل ولا يشرب والصمد الذي لا ينام والصمد الدائم الذي لم يزل ولا يزال ". قال الباقر عليه السلام " كان محمد بن الحنفية رضي الله عنه يقول الصمد القائم بنفسه الغني عن غيره ". وقال غيره: " الصمد المتعالي عن الكون والفساد والصمد الذي لا يوصف بالتغاير ". قال الباقر عليه السلام " الصمد السيد المطاع الذي ليس فوقه آمر وناه ".

قال: وسئل علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام عن الصمد فقال: " الذي لا شريك له ولا يؤوده حفظ شيء ولا يعزب عنه شيء ".

قال وهب بن وهب القرشي: قال زين العابدين عليّ عليه السلام " الصمد الذي إذا أراد شيئا يقول له كن فيكون والصمد الذي أبدع الأشياء فخلقها أضدادا وأشكالا وأزواجا وتفرّد بالوحدة بلا ضدّ ولا شكل ولا مثل ولا ندّ ".

وقد نقل وهب بن وهب أيضا من كلام الإمام علي بن الحسين سلام الله عليهما في تفسير الصمد، ونقل أيضا كلاما في أسرار حروف الصمد عن الباقر عليه السلام ثم يقول:

ثم قال عليه السلام " لو وجدت لعلمي الذي آتاني الله عز وجل حملة لنشرت التوحيد والإسلام والإيمان والدين والشرائع من الصمد وكيف لي بذلك ولم يجد جدي أمير المؤمنين حملة لعلمه حتى كان يتنفس الصعداء ويقول على المنبر: سلوني قبل أن

تفقدوني فإن بين الجوانح مني علما جمّا هاه هاه إلاّ لا أجد من يحمله " الحديث.

خاتمة:

ونختم هذا المقام بذكر بعض الأحاديث الشريفة في فضل هذه السورة المباركة وإن كانت الأحاديث في فضلها خارجة عن مجال هذا المختصر.

ففي الكافي الشريف بإسناده إلى باقر العلوم عليه السلام: " من قرأ قل هو الله أحد مرّة بورك عليه، ومن قرأها مرّتين بورك عليه وعلى أهله، ومن قرأها ثلاث مرات بورك عليه وعلى أهله وعلى جيرانه، ومن قرأها اثنتي عشرة مرة بنى الله له اثني عشر قصرا في الجنة فيقول الحفظة اذهبوا بنا إلى قصور أخينا فلان فننظر إليها، ومن قرأها مائة مرة غفرت له ذنوب خمس وعشرين سنة ما خلا الدماء والأموال ومن قرأها أربعمائة مرة كان له أجر أربعمائة شهيد كلهم قد عقر جواده وأريق دمه، ومن قرأها ألف مرة في يوم وليلة لم يمت حتى يرى مقعده في الجنة أو يرى له ". وأيضا في الكافي بإسناده إلى الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله " من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة حين يأخذ مضجعه غفر الله له ذنوبه خمسين سنة ".

وروي عن الصادق عليه السلام قال: " كان أبي صلوات الله عليه يقول قل هو الله أحد ثلث القرآن وقل يا أيها الكافرون ربع القرآن " وعن أبي عبد الله (عليه السلام) أن النبي (صلى الله عليه

وآله) صلى على سعد بن معاذ فقال: " لقد وافى من الملائكة سبعون ألفا وفيهم جبرائيل يصلّون عليه، فقلت: يا جبرائيل لم يستحق صلواتكم عليه ؟ فقال: لقراءته قل هو الله أحد قائما وقاعدا وراكبا وماشيا وذاهبا وقادما ".

وروي في الوسائل عن المجالس ومعاني الأخبار عن الصادق عن آبائه (عليهم السلام) في حديث عن سلمان أنه قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: " من قرأ قل هو الله أحد مرة فقد قرأ ثلث القرآن ومن قرأها مرتين فقد قرأ ثلثي القرآن ومن قرأها ثلاثا فقد ختم القرآن ". وفي ثواب الأعمال: " من مضت له جمعة ولم يقرأ فيها بقل هو الله أحد ثم مات، مات على دين أبي لهب ".

وروي في المستدرك أحاديث طويلة وكثيرة في فضل هذه السورة الشريفة فمن أراد فليرجع إليه وإلى الوسائل والحمد لله.

الفصل السابع

في نبذة في تفسير السورة المباركة القدر

بقدر ما يناسب هذه الأوراق

قوله تعالى: إنّا أنزلناه في ليلة القدر: وفي هذه الآية الشريفة مطالب عالية لا تخلو الإشارة إلى بعضها من الفائدة:

المطلب الأول: في أن الآية الشريفة وكثيرا من الآيات الشريفة تنسب تنزيل القرآن إلى ذاته المقدسة كقوله تعالى: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ} (الدخان - 3). {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (الحجر - 9) ، إلى غير ذلك من

الآيات الشريفة، وفي بعضها تنسب إلى جبرائيل وهو الروح الأمين كقوله تعالى: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ} (الشعراء -193).
فعلماء الظاهر يقولون في هذه المقامات: هذا مجاز من قبيل {يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا} (فاطر - 36) فنسبه التنزيل إلى الحق تعالى مثلا من باب أن الذات المقدسة سبب للتنزيل وآمر به أو أن التنزيل بالنسبة إلى الحق تعالى حقيقة وينسب إلى الروح الأمين مجازا لأنه واسطته، وهذا من جهة أنهم يحسبون أن نسبة فعل الحق إلى الخلق كنسبة فعل الخلق إلى الخلق فيرون مأمورية جبرائيل وعزرائيل عن الحق تعالى كمأمورية هامان عن فرعون والبنّائين والمعماريين عن هامان، وهذا قياس باطل كثيرا وقياس مع الفارق وأن فهم نسبة الخلق إلى الحق وفعل الخلق والخالق من مهمات المعارف الإلهية وأمهات المسائل الفلسفية تنحل به كثير من المهمات ومن جملتها مسألة الجبر والتفويض، ومطلبنا هذا من شعبها.
وليعلم أنه من المقرر والثابت في العلوم العالية أن جميع دار التحقق ومراتب الوجود صورة الفيض المقدس الذي هو التجلي الإشراقي للحق تعالى، وكما أن الإضافة الإشراقية هي محض الربط وصرف الفقر كذلك تعيناتها وصورها أيضا محض الربط وليست لها من أنفسها حيثية واستقلال. وبعبارة أخرى جميع دار التحقق فانية في الحق ذاتا وصفة وفعلا لأنه لو استقل موجود من الموجودات في شأن من الشؤون الذاتية سواء أكان في الهوية الوجودية أم في شؤونها لخرج عن حدود بقعة الإمكان فيتبدل إلى الوجوب الذاتي وهذا واضح البطلان فإذا رسخت هذه اللطيفة الإلهية في القلب وذاقها الفؤاد كما ينبغي فيكشف له سرّ من أسرار القدر وتنكشف لطيفة من حقيقة الأمر بين الأمرين فيمكن إذاً نسبة الآثار والأفعال الكمالية إلى الخلق بنفس النسبة التي لها إلى الحق من دون أن تكون مجازا في جانب، وهذا يتحقق في نظر الوحدة في الكثرة والجمع بين الأمرين، نعم ما كان واقعا في الكثرة محضا ومحجوبا عن الوحدة ينسب الفعل إلى الخلق ويغفل عن الحق كنحن

المحجوبين، ومن تجلت في قلبه الوحدة فيحجب عن الخلق وينسب جميع الأفعال إلى الحق، والعارف المحقق يجمع بين الوحدة والكثرة وفي حال أنه ينسب الفعل إلى الحق من دون شائبة مجاز ينسبه في نفس الحال إلى الخلق بلا شائبة مجاز والآية الشريفة {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى} (الأنفال - 17) التي نفت الرمي في عين إثباته وأثبتته في عين نفيه تشير إلى هذا المشرب العرفاني الأحلى والمسلك الإيماني الدقيق، وإنما قلنا من نسبة الأفعال والآثار إلى الله سبحانه وقيّدناها بالكمالية لنخرج النقائص من هذه النسبة لأن النقائص ترجع إلى الإعدام وهي من تعينات الوجود وليست منسوبة إلى الحق إلاّ بالعرض ولا يمكن شرح هذا المبحث في هذه الأوراق. فإذا علمت هذه المقدمة تعلم نسبة التنزيل إلى جبرائيل وإلى الحق والأحياء إلى إسرافيل وإلى الحق، والإماته إلى عزرائيل والملائكة الموكلة على النفوس وإلى الحق، والإشارة إلى هذا المطلب في القرآن كثيرة وهذا من إحدى معارف القرآن التي لم يكن قبل هذا الكتاب الشريف في آثار الحكماء والفلاسفة منها عين ولا أثر، والعائلة البشرية في هذه اللطيفة مرهونة لعطيّة هذه الصحيفة الإلهية كسائر المعارف الإلهية القرآنية.

المطلب الثاني: في الإشارة إلى نكتة أنه تعالى قال " إنّا " بصيغة الجمع وأنزلناه بصيغة الجمع.

اعلم أن نكتة ذلك هي تفخيم مقام الحق تعالى بمبدئيّته لتنزيل هذا الكتاب الشريف ولعل هذه الجمعية باعتبار الجمعية الأسمائية والإشارة أن الحق تعالى مبدأ لهذا الكتاب الشريف بجميع الشؤون الأسمائية والصفاتية ولهذه الجهة كان هذا الكتاب الشريف صورة أحدية جمع جميع الأسماء والصفات ومعرفا لمقام الحق المقدس بتمام الشؤون والتجليات.

وبعبارة أخرى هذه الصحيفة النورانية صورة الاسم الأعظم كما أن الإنسان الكامل أيضا صورة الاسم الأعظم بل حقيقة هذين في الحضرة الغيبية واحدة وهما في عالم التفرقة متفرقان على حسب الصورة ولكن على حسب المعنى أيضا لا يتفرقان وهذا أحد معاني لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض.

وكما أن الحق تعالى خمّر طينة آدم الأول والإنسان الكامل بيدي والجلال والجمال كذلك أنزل الكتاب الكامل والقرآن الجامع بيدي الجمال والجلال، ولعله لهذه الجهة أيضا يقال له القرآن لأن مقام الأحدية جمع الوحدة والكثرة ولهذه الجهة ليس هذا الكتاب قابلا للنسخ والانقطاع لأن الاسم الأعظم ومظاهره أزلي وأبدي، وجميع الشرائع دعوة إلى هذه الشريعة والولاية المحمدية، ولعل الذكر في الآية الشريفة {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ} (الأحزاب - 72) بصيغة الجمع لما ذكرنا من النكتة في " إنّا أنزلنا " لأن الأمانة على حسب الباطن هي حقيقة الولاية وعلى حسب الظاهر هي الشريعة أو دين الإسلام أو القرآن والصلاة.

المطلب الثالث: في إجمال كيفية نزول القرآن:

وهذا من لطائف المعارف الإلهية ومن أسرار الحقائق الدينية التي قلما يوجد من يطلّع على نبذة منها بالطريق العلمية ولا يتيسر لأحد الإطلاع على هذه اللطيفة الإلهية بطريق الكشف والشهود إلاَّ للكمّل من الأولياء أوّلهم نفس الرسول والخاتم وبعده سائر الأولياء وأهل المعارف وبمساعدته صلى الله عليه وآله لأن مشاهدة هذه الحقيقة لا تكون إلاَّ بالوصول إلى عالم الوحي والخروج عن حدود العوالم الإمكانية ونحن نبيّن هنا من هذه الحقيقة بيانا بالرمز والإشارة فليعلم أن القلوب التي تسير إلى الله بطريق السلوك المعنوي والسفر الباطني وتهاجر من منزل النفس المظلم وبيت الإنّيّة والأنانية طائفتان بالطريق الكلّي.

الأولى هم الذين يدركهم الموت بعد إتمام السفر إلى الله ويبقون في هذه الحال من الجذبة والفناء والموت فقد وقع أجرهم على الله وهو الله وهؤلاء محبوبون فانون تحت قباب الله لا يعرفهم أحد ولا يرتبطون بأحد ولا يعرفون أحدا إلاَّ الحق تعالى " أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري ".

الطائفة الثانية هم الذين فيهم قابلية أن يرجعوا إلى أنفسهم بعد تمامية السير إلى الله وفي الله وتحصل لهم حالة الصحو والتنبيه هؤلاء الذين قدّر استعدادهم على حسب تجلّي الفيض الأقدس الذي هو سر القدر وانتجبهم لتكميل العباد وتعمير البلاد

وهؤلاء بعد الاتصال بالحضرة العلمية والرجوع إلى حقائق الأعيان يحصل لهم السير في الأعيان بالكشف فيتصلون بحضرة القدس ويكون سفرهم إلى الله وإلى السعادة ويخلّعون بخلعة النبوة، وهذا الكشف وحي إلهي قبل التنزّل إلى عالم الوحي الجبرائيلي وبعدما توجهوا من هذا العالم إلى العوالم النازلة يكتشفون ما في الأقلام العالية والألواح القدسية بقدر إحاطتهم العلمية ونشأتهم الكمالية المختصة بهم التابعة للحضرات الأسمائية. واختلاف الشرائع والنبوات بل جميع الاختلافات من هنا.

وفي هذا المقام تلك الحقيقة الغيبية والسريرة القدسية التي شوهدت في الحضرة العلمية والأقلام والألواح العالية تنزل إلى قلوبهم المباركة تارة عن طريق غيب النفس وسرّ روحهم الشريف بتوسط ملك الوحي وهو جبرائيل وأخرى يتمثل لهم جبرائيل تمثلا مثاليا في حضرة المثال وثالثة يتمثل تمثلا ملكيا، وبتوسّط تلك الحقيقة يظهر عن مكمن الغيب إلى مشهد عالم الشهادة ويتنزل بتلك اللطيفة الإلهية وصاحب الوحي يدركها ويشاهدها في كل نشأة على طور، ففي الحضرة العلمية على طور وفي حضرة الأعيان على طور وفي حضرات الأقلام على طور وفي حضرات الألواح على طور وفي حضرة المثال على طور وفي الحس المشترك على طور وفي الشهادة المطلقة على طور وهذه سبع مراتب من التنّزل ولعل نزول القرآن على سبعة أحرف يكون إشارة إلى هذا المعنى وهذا لا ينافي ما قال عليه السلام القرآن واحد من واحد كما هو معلوم ولهذا المقام تفصيل لا يناسب ذكره.

المطلب الرابع: في سر (هاء) في إنّا أنزلناه:

قد علم أن للقرآن قبل التنزيل إلى هذه النشأة مقامات وكينونات فمقامه الأول: كينونته العلمية في الحضرة الغيبية بالتكلم الذاتي والمقارعة الذاتية بطريق أحدية الجمع، ولعل ضمير الغائب يكون إشارة إلى ذاك المقام وقد ذكره الله تعالى بضمير الغيبة لإفادة هذا المعنى فكأنه يقول: هذا القرآن النازل في ليلة القدر هو ذاك القرآن العلمي في السرّ المكنون، والغيبي في النشأة العلمية قد أنزلناه على تلك المراتب

وكان متحدا في مقام مع الذات وكان من التجليات الأسمائية وهذه الحقيقة الظاهرة ذلك السرّ الإلهي وهذا الكتاب الذي ظهر في كسوة العبارات والألفاظ هو صورة التجليات الذاتية في مرتبة الذات وعين التجلي الفعلي في مرتبة الفعل، كما قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه " إنما كلامه فعله ".

المطلب الخامس: في بيان ليلة القدر:

وفيه مباحث كثيرة ومعارف لا تعدّ قد بحث عنها العلماء الأعلام رضوان الله عليهم على حسب مشاربهم ومسالكهم، ونحن نبيّن في هذه الأوراق بعضا منها بطريق الإشارة ونشير إلى مطالب أخرى لم يذكروها وذلك في ضمن أمور:

الأول: في وجه تسمية ليلة القدر:

إن العلماء قد اختلفوا فيه فبعضهم على أن ليلة القدر حيث أنها صاحبة شرف ومنزلة وقد نزل فيها القرآن صاحب القدر بتوسط ملك صاحب القدر على رسول صاحب القدر لأمة صاحبة القدر فلهذا سميت بليلة القدر.

وقال بعض: إن تسميتها ليلة القدر لأجل تقدير الأمور والآجال وأرزاق الناس في تلك الليلة.

وقال بعض: لأن الأرض تضيق بواسطة كثرة الملائكة فسميت ليلة القدر وهذا من قبيل " ومن قدر عليه رزقه " وهذه كلمات قيلت في المقام وفي كل من تلك الوجوه تحقيقات لا تخلو الإشارة إليها إجمالا من الفائدة.

أما المطلب الأول وهو كونها بمعنى صاحبة المنزلة والقدر.

فأعلم أن في هذا المقام كلاما وهو أن مطلق الزمان والمكان الذي بعض منه شريف وبعض غير شريف وبعض سعيد وبعض نحس فهل هذا من نفس ذات الزمان ومن تشخصاته الذاتية، وهكذا في المكان أو أنه بواسطة وقوع الوقائع وحصول الأمور الشريفة والخسيسة يكون صاحب تلك المزية بالعرض، وهذا وإن لم يكن مبحثا مهما وشريفا والبحث في أطرافه ليس له كثير فائدة ولكن نأتي بذكر منه بطريق الاختصار.

إن وجه ترجيح الاحتمال الأول هو أن ظاهر الأخبار والآيات التي أثبتت للزمان والمكان شرافة أو نحوسه إنها صفة نفس الزمان والمكان لا إنها صفة للحال المتعلق وحيث أنه لا مانع عقليا فيتعيّن حملها على ظاهرها.

ووجه ترجيح الاحتمال الثاني إن حقيقة كل من الزمان والمكان حقيقة واحدة بل شخصية كل منهما أيضا شخصية واحدة فلهذه الجهة لا يمكن أن يكون شخص واحد متجزيا ومختلفا في الحكم. فبناء على هذا فلا بد أن يحمل ما ورد في شرفهما أو نحوستهما على الوقائع والقضايا الحاصلة فيهما، وهذا الوجه ليس برهانيا لأن الزمان وإن كان شخصا واحدا ولكن حيث أنه متدرج وممتد وحقيقة مقدارية لا مانع من أن يكون بعض أجزائه مع بعض آخر مختلفا في الحكم والأثر ولم يقم برهان بأن الشخص كيفما كان لا يكون له حكمان وأثران بل خلافه ظاهر، فمثلا أفراد الإنسان مع أن كل واحد منهما شخص واحد فلهم مع ذلك في الصورة الجسمية اختلافات كثيرة مثل الجليدية والدماغ والقلب أشرف وألطف من الأعضاء الأخر وكذلك القوى الباطنية والظاهرة منه بعضها أشرف من بعض وهذا لأن الإنسان لم يظهر في هذا العالم بنعت الوحدة التامة وإن كان شخصا واحدا ولكن حيث إنه ظهر بنعت الكثرة فأحكامه أيضا تختلف.

وأما وجه ترجيح الاحتمال الأول فليس أيضا وجها صحيحا مرضيا لأن مرجع هذا الوجه إلى أصالة الظهور وأصالة الحقيقة مثلا وقد علم في الأصول أن أصالة الحقيقة وأصالة الظهور لتعيين المراد في مورد الشك في المراد لا أنها بعد معلومية المراد لتعيين الحقيقة فتأمل (وجه التأمل انه يمكن أن يقرر هذه الدعوة بوجه آخر وهو أن الظاهر في نسبة موضوع إلى محمول هو أن الموضوع واجد للحكم وتمام الموضوع له كما أن شيخنا وأستاذنا في العلوم النقلية كان يثبت بهذا البيان الإطلاق في باب الإطلاق من دون حاجة الى مقدمات الإطلاق منه ـ عفي عنه ـ: أي من المؤلف دام ظله).

فبناء على هذا فكلا الوجهين محتمل، ولكن الثاني أرجح في النظر. فبناء عليه أن ليلة

القدر صارت صاحبة قدر لأنها ليلة وصال النبي الخاتم وليلة وصول العاشق الحقيقي إلى محبوبه، وقد علم في المباحث السابقة أن تنزل الملائكة ونزول الوحي يكون بعد حصول الفناء والقرب الحقيقي.
ويستفاد من الأخبار الكثيرة والآيات الشريفة أيضا أن شرف الأزمنة والأمكنة ونحوستها بسبب الوقائع فيها وهذا يعلم بمراجعتها وإن كان يستفاد من بعضها الشرف الذاتي أيضا.
أما الاحتمال الآخر وهو أنها تسمى بليلة القدر لتقدير أمور أيام السنة فيها فأعلم أن حقيقة القضاء والقدر وكيفيتها ومراتب ظهورها من أجلّ العلوم الإلهية وأشرفها، وقد نهي عامة الناس عن الغور في أطرافها ولأنه يوجب الحيرة والضلالة لكمال دقتها ولطافتها ولهذا لا بد أن تعد هذه الحقيقة من أسرار الشريعة وودائع النبوة ويصرف النظر عن البحث الدقيق في أطرافها، ونحن نشير إلى مبحث منه يناسب هذا المقام.
وهو أن تقدير الأمور مع أنها كانت في علم الحق تعالى في أزل الآزال وليس من الأمور التدريجية بالنسبة إلى مقام العلم الربوبي المنزه فما معنى التقدير في كل سنة في ليلة معينة ؟
اعلم أن للقضاء والقدر مراتب تتفاوت أحكامه على حسب تلك المراتب:
المرتبة الأولى من تلك المراتب عبارة عن الحقائق التي تتقدر وتتحدد في حضرة العلم بالتجلي بالفيض الأقدس تبعا لظهور الأسماء والصفات وبعده تقدر وتحكم في الأقلام العالية والألواح العالية على حسب الظهور بالتجلي الفعلي ولا تقع التغيرات والتبديلات في هذه المراتب، والقضاء الحتم الذي لا يبدل هو الحقائق المجردة الواقعة في حضرات والنشأة العلمية والنازلة في الأقلام والألواح المجردة ثم تظهر الحقائق بالصور البرزخية والمثالية في الألواح الأخر والعالم الأنزل وهو عالم الخيال المنفصل وخيال الكل الذي يقال له عالم المثل المعلقة على طريقة حكماء الإشراق، وفي هذا العالم يمكن وقوع التغيرات والاختلافات بل هي واقعة.

ثم يكون التقديرات والتحديدات بتوسط الملائكة الموكلين بعالم الطبيعة، وفي لوح القدر هذا تغييرات دائمية وتبديلات أبدية، بل هو نفسه الصورة السيالة والحقيقة المتصرمة والمتدرجة والحقائق في هذا اللوح قابلة للشدة والضعف والحركات قابلة للسرعة والبطءِ والزيادة والنقيصة ومع ذلك فالوجهة التي تلي الله والوجهة الغيبية لهذه الأشياء التي هي جهة التدلي بالحق وصورة ظهور الفيض المنبسط والظل الممدود وحقيقة العلم الفعلي للحق لا مجال فيها للتغيير والتبديل بوجه.

وبالجملة، فجميع التغيرات والتبدلات وزيادة الآجال وتقدير الأرزاق تقع عند الحكماء في لوح القدر العلمي وهو عالم المثال، وعند الكاتب تقع في لوح القدر العيني الذي هو محل نفس التقديرات على أيدي الملائكة الموكلين بها فبناء على هذا فلا مانع من أن تقع التغيرات والتبديلات في عالم الطبع في ليلة القدر بما أنه ليلة التوجه التام للولي الكامل وليلة ظهور سلطنته الملكوتية بتوسط النفس الشريفة للولي الكامل وأمام كل عصر وقطب كل زمان وهو اليوم حضرة بقية الله في الأرضين سيدنا ومولانا وإمامنا وهادينا الحجة بن الحسن (أرواحنا لمقدمه الفداء) فما أراد عليه السلام من جزئيات الطبيعة يبطئ حركته، وما أراد سرعته يسرعه وما أراد من رزق يوسعه وما أراد يضيقه، وهذه الإرادة إرادة الحق وظل الإرادة الأزلية وشعاعها وتابعة للفرامين الإلهية كما أن ملائكة الله أيضا لا يتصرفون من عند أنفسهم. وتصرفات جميعهم بل تصرفات جميع ذرات الوجود تصرف إلهي وهي من تلك اللطيفة الغيبية الإلهية {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ} (هود - 112) .

وأما ما ذكر من الاحتمال في وجه تسمية ليلة القدر من أن الأرض تضيق بواسطة الملائكة ولهذا سميت ليلة القدر، فهذا الوجه وإن كان بعيدا وإن كان القائل به أعجوبة الزمان الخليل بن أحمد رضوان الله عليه ولكن ما يمكن أن يقع موردا للبحث هو أن ملائكة الله ليست من سنخ عالم الطبيعة والمادة فما معنى ضيق الأرض بهم ؟

فاعلم أنه قد ورد نظير هذا المطلب في الروايات الشريفة مثل قضية تشييع سعد بن معاذ رضي الله عنه (في الكافي: صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - على سعد بن معاذ مع تسعين ألف ملك فيهم جبرائيل (الحديث)) ومثل بسط الملائكة أجنحتهم لطالب العلم، فهذا إما من باب تمثل الملائكة بالصور المثالية وتنزلها من عالم الغيب إلى عالم المثال وتضييق ملكوت الأرض أو من باب تمثلهم الملكي في ملك الأرض وإن كانت الأبصار الطبيعية الحيوانية لا تراها. وبالجملة التضييق باعتبار التمثلات المثالية أو الملكية.

الأمر الثاني في حقيقة ليلة القدر:

اعلم أن لكل رقيقة ولكل صورة ملكية باطناً ملكوتياً وغيبيّاً وأهل المعرفة يقولون أن مراتب نزول حقيقة الوجود باعتبار احتجاب شمس الحقيقة في أفق تعينات الليالي ومراتب الصعود باعتبار خروج شمس الحقيقة من آفاق تعينات الأيام وإن شرافة الأيام والليالي ونحوستها تتضح على حسب هذا البيان.

وباعتبار قوس النزول، فليلة القدر المحمدية وباعتبار قوس الصعود فيوم القيامة الأحمدية لأن هذين القوسين مدّ النور المنبسط الذي هو الحقيقة المحمدية وجميع التعيينات هي من التعين الأولى للاسم الأعظم.

ففي نظر الوحدة، العالم ليلة القدر ويوم القيامة وليس أكثر من ليلة واحدة ويوم واحد وهذا تمام دار التحقق أي وليلة القدر المحمدية ويوم القيامة الأحمدية، ومن تحقق بهذه الحقيقة فهو دائما في ليلة القدر ويوم القيامة وهذان يجتمعان.

وباعتبار نظر الكثرة تظهر الليالي والأيام، فبعض الليالي صاحبة القدر وبعضها ليست بصاحبة القدر وبين جميع الليالي البنية الأحمدية والتعين المحمدي صلى الله عليه وآله التي غرب في أفقها نور حقيقة الوجود بجميع شؤونه وكذلك الأسماء والصفات بكمال نوريتها وتمام حقيقتها قد غربت فيها هي ليلة القدر المطلقة كما أن اليوم المحمدي يوم القيامة وأما سائر الليالي والأيام فهي ليال

وأيام مقيّدة ونزول القرآن في هذه البنية الشريفة والقلب المطهّر نزول في ليلة القدر، فالقرآن كما أنه نزل جملة في ليلة القدر بطريق الكشف المطلق الكلي كذلك نزل نجوما في خلال ثلاث وعشرين سنة نجوما في ليلة القدر، والشيخ شاه آبادي دام ظله كان يقو ل: ليلة القدر هي الدورة المحمدية، وهذا أمّا باعتبار أنّ جميع الأدوار الوجودية هي الدورة المحمدية وأما إن في هذه الدورة الأقطاب الكمّل المحمدية والأئمة الهداة المعصومين ليالي القدر.

ويدل على هذا ما ذكرنا من حقيقة ليلة القدر الحديث الشريف المطوّل في تفسير البرهان نقله عن الكافي الشريف، وفي ذلك الحديث: " إن نصرانيا قال لموسى بن جعفر عليه السلام ما تفسير باطن حم والكتاب المبين إنّا أنزلناه في ليلة مباركة إنّا كنّا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم ؟ فقال علية السلام: أما حم محمد وأما الكتاب المبين أمير المؤمنين علي وأما الليلة فاطمة عليها السلام ".

وفي رواية فسرت ليال عشر بالأئمة الطاهرين من الحسن إلى الحسن وهذه إحدى مراتب ليلة القدر قد ذكرها موسى بن جعفر عليه السلام ومما يشهد بأن ليلة القدر تمام الدورة المحمدية.. الرواية التي في تفسير البرهان عن الباقر عليه السلام وهذه الرواية حيث أنها رواية شريفة وتشير إلى معارف عديدة وتكشف أسرارا مهمّة ننقلها نصّا تيمّنا.

قال رحمه الله وعن الشيخ أبي جعفر الطوسي عن رجاله عن عبد الله بن عجلان السكوني قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: " بيت علي وفاطمة حجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسقف بيتهم عرش رب العالمين وفي قعر بيوتهم فرجة مكشوطة إلى العرش معراج الوحي. والملائكة تنزل عليهم بالوحي صباحا ومساء وكل ساعة وطرفة عين والملائكة لا تنقطع أفواجهم، فوج ينزل وفوج يصعد وإن الله تبارك وتعالى كشف لإبراهيم عليه السلام عن السماوات حتى أبصر العرش وزاد الله في قوّة ناظره وإن الله زاد في قوة ناظر محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وكانوا يبصرون العرش ولا يجدون لبيوتهم سقفا غير العرش، فبيوتهم مسقفة

بعرش الرحمن ومعارج الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام.. قال: قلت: من كل أمر سلام ؟ قال: بكل أمر، فقلت: هذا التنزيل ؟ قال: نعم.

والتدبر في هذا الحديث الشريف يفتح أبوابا من المعرفة لأهلها فتنكشف له نبذة من حقيقة الولاية وباطن ليلة القدر.

الأمر الثالث:

اعلم كما أن لليلة القدر حقيقة وباطنا قد أشرنا إليهما، كذلك لها صورة ومظهر، بل مظاهر في عالم الطبع وحيث أنه من الممكن أن تكون في المظاهر من جهة النقص والكمال فروق كثيرة فمن هذه الجهة يمكن أن يجمع بين الأقوال والأخبار التي وردت في تعيين ليلة القدر بأن الليالي الشريفة التي وردت في الروايات كلها من مظاهر ليلة القدر إلاَّ أنه يفرق بعضها في الشرافة وكمال المظهرية والليلة الشريفة التي لها تمام ظهور ليلة القدر وليلة الوصول التام الختمي والوصول الكامل الخاتمي مختفية في ليالي جميع السنة أو شهر رمضان المبارك أو في العشر الأخير أو في الليالي الثلاثة منه، وفي الروايات للعامة والخاصة أيضا اختلافات، وفي روايات الخاصة ذكر بالترديد في ليلة التاسع عشر والحادي والعشرين والثالث والعشرين وفي بعضها الترديد بين الحادي والعشرين والثالث والعشرين.

قال شهاب بن عبد ربّه: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أخبرني بليلة القدر. قال (عليه السلام) " هي ليلة إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين ". وعن عبد الواحد بن المختار الأنصاري قال: سألت أبا جعفر عن ليلة القدر، قال: " في ليلتين ليلة إحدى وعشرين وثلاث وعشرين. فقلت افرد لي أحدهما. قال: وما عليك أن تعمل في ليلتين هي إحداهما ".

وعن حسان بن أبي علي قال: سألت أبا عبد الله عن ليلة القدر فقال: " اطلبها في تسع عشرة وإحدى وعشرين وثلاث وعشرين ".

وقال السيد العابد الزاهد رضي الله عنه في الإقبال: اعلم أن هذه الليلة الثالثة والعشرين من شهر رمضان وردت أخبار صريحة بأنها ليلة القدر على الكشف والبيان فمن ذلك ما رويناه بإسناده إلى سفيان السمط قال: قلت لأبي عبد الله: " افرد لي ليلة القدر، قال: ليلة ثلاث وعشرين ". ومن ذلك ما رويناه بإسناده إلى زرارة عن عبد الواحد بن المختار الأنصاري قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن ليلة القدر فقال " أخبرك والله ثم لا أعمي عليك هي أول ليلة من السبع الآخر ". ثم يروي عن زرارة أنه قال كان ذلك الشهر تسعة وعشرين ثم يروي روايات أخر أن ليلة القدر هي ليلة ثلاث وعشرين منها قضية الجهني المعروفة (أقول: قال السيد بن طاووس قدس سره: ومن ذلك ما رويناه.. بإسنادنا أيضا الى حماد بن عيسى عن محمد بن يوسف عن أبيه قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول أن الجهني أتى الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا رسول الله إن لي إبلا وغنما وغلمة فأحب أن تأمرني ليلة أدخل فيها فأشهد الصلاة وذلك في شهر رمضان فدعاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسارّه في أذنه قال: فكان الجهني إذا كانت ليلة ثلاث وعشرين دخله بإبله وغنمه

وأهله وولده وغلمته فكان تلك الليلة ليلة ثلاث وعشرين بالمدينة فإذا أصبح خرج بأهله وغنمه وإبله الى مكانه واسم الجهني عبد الرحمن بن أنيس الأنصاري).

تنبيه عرفاني

كما ذكرنا في السورتين المباركتين المذكورتين الأظهر أن بسم الله في كل سورة متعلق بتلك السورة فلهذا يكون المعنى في السورة المباركة القدر إنّا أنزلنا الحقيقة الشريفة القرآنية واللطيفة المقدسة الإلهية في ليلة القدر المحمدية باسم الله الذي هو الحقيقة الجمعية الأسمائية والاسم الأعظم الربوبي والمتعين بالرحمة المطلقة الرحمانية والرحيمية بمعنى أن ظهور القرآن بتبعية الظهور الجمعي الإلهي والقبض والبسط الرحيمية والرحمانية بل حقيقة القرآن هي مقام ظهور اسم الله الأعظم بظهور الرحمانية والرحيمية وجامع للجمع والتفصيل. فهذا الكتاب لهذه الجهة قرآن وفرقان. كما أن روحانية الرسول الخاتم ومقام ولايته المقدس أيضا قرآن وفرقان ومقام أحدية الجمع والتفصيل.

فعلى هذا الاحتمال كأن الذات المقدسة تقول:

إنّا بالتجلي بمقام الاسم الأعظم وهو مقام أحدية الجمع والتفصيل بظهور رحمة الرحمانية والرحيمية نزّلنا القرآن في ليلة القدر المحمدية، وحيث أن في عالم الفرق بل فرق الفرق حصلت الفرقانية بين القرآنين يعني القرآن المكتوب المنزل والقرآن المنزل عليه يعني الكتاب الإلهي والحقيقة المحمدية فواصلنا بين القرآنين وجمعنا بين الفرقانين في ليلة الوصال، وبهذا الاعتبار أيضا هذه الليلة ليلة القدر ولكن لا يعرف أحد قدرها كما ينبغي غير نفس خاتم النبيين صاحب ليلة القدر بالأصالة وأوصيائه المعصومين أصحابها بالتبعية.

تتمة: في ذكر بعض روايات التي وردت في فضل ليلة القدر:

منها: ما رواه العارف بالله السيد ابن طاووس في كتاب الإقبال الشريف، قال: وجدت في كتاب كنز اليواقيت تأليف أبي الفضل أبي محمد الهروي أخبارا في ليلة القدر إلى أن قال عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: " قال موسى: إلهي أريد قربك قال: قربي لمن استيقظ ليلة القدر. قال: إلهي أريد رحمتك، قال: رحمتي لمن رحم المساكين ليلة القدر. قال: إلهي أريد الجواز على الصراط، قال: ذلك لمن تصدّق في ليلة القدر. قال: إلهي أريد من أشجار الجنة وثمارها قال: ذلك لمن سبّح تسبيحة في ليلة القدر. قال: إلهي أريد النجاة، قال: النجاة من النار ؟ قال: نعم، قال: ذلك لمن استغفر في ليلة القدر. قال: إلهي أريد رضاك، قال: رضائي لمن صلى ركعتين في ليلة القدر ".

ومن الكتاب المذكور عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: " تفتح أبواب السماء في ليلة القدر فما من عبد يصلي فيها إلاّ كتب الله تعالى له بكل سجدة شجرة في الجنة لو يسير الراكب في ظلّها مائة عام لا يقطعها وبكل ركعة بيتا في الجنة من در وياقوت وزبرجد ولؤلؤ، وبكل آية تاجا من تيجان الجنة وبكل تسبيحة طائرا من العجب وبكل جلسة درجة من درجات الجنة وبكل تشهّد غرفة من غرفات الجنة وبكل تسليمة حلّة من حلل الجنة، فإذا انفجر عمود الصبح أعطاه الله من الكواعب المؤلفات والجواري المهذبات والغلمان المخلّدين والنجائب المطيرات والرياحين المعطرات والأنهار الجاريات والنعيم الراضيات والتحف والهديات والخلع والكرامات ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون ".

ومن هذا الكتاب عن الباقر عليه السلام " من أحيا ليلة القدر غفرت له ذنوبه ولو كانت ذنوبه عدد نجوم السماء ومثاقيل الجبال ومكاييل البحار ". والأخبار في فضائلها أكثر من أن تكتب في هذه الأوراق.

قوله تعالى: وما أدراك ما ليلة القدر:

هذا التركيب للتفخيم والتعظيم وعظمة المطلب وعظمة الحقيقة خصوصا بملاحظة المتكلم والمخاطب، فمع أن الحق تعالى جلّت قدرته هو المتكلم والرسول

الأكرم هو المخاطب، مع هذا الوصف ربما يكون المطلب ذا عظمة بمقدار لا يمكن إظهاره في نسج الألفاظ وتركيب الحروف والكلمات فكأنه تعالى يقول: لا تدري ما ليلة القدر في حقيقتها العظيمة ولا يمكن بيان حقيقتها ونسج الحروف والكلمات ونظمها لا يليق بتلك الحقيقة.

ولهذا مع أن كلمة ما لبيان الحقيقة فقد صرف النظر عن بيانها وقال ليلة القدر خير من ألف شهر فعرّفها بخواصها وآثارها لأن بيان حقيقتها غير ممكن، ومن هنا أيضا يحتمل بحدس قوي أن تكون حقيقة ليلة القدر وباطنها غير هذه الصورة والظاهر، وإن كان هذا الظاهر أيضا ذا أهمية وعظمة ولكن ليس بمثابة يعبّر هذا النحو من التعبير بالنسبة إلى رسول الله الولي المطلق والمحيط على كل العوالم.

إن قلت: بناء على ما ذكر من أن باطن ليلة القدر حقيقة الرسول المكرم وبنيته التي احتجبت فيها شمس الحقيقة بتمام شؤونها فالإشكال يكون أعظم لأنه لا يمكن أن يقال له - صلى الله عليه وآله - نفسه ما أدرك ما ليلة القدر التي هي صورة الملكية لك.

قلت أن لهذا المطلب وهذه اللطيفة باطنا وذلك لمن ألقى السمع وهو شهيد.

فأعلم أيها العزيز.. حيث إن في باطن ليلة القدر الحقيقيّة يعني في البنية المحمدية والصورة الملكية أو في العين الثابتة المحمدية جلوة الاسم الأعظم والتجلي الأحدي الجمعي الإلهي فلهذه الجهة ما دام العبد السالك إلى الله يعني الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله في حجاب نفسه فإنه لا يتمكن من مشاهدة ذلك الباطن وتلك الحقيقة كما ورد في القرآن الشريف في حق موسى بن عمران لن تراني يا موسى.. مع أن التجلي الذاتي أو الصفاتي قد حصل له عليه السلام بدليل: {فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسَى صَعِقًا} (الأعراف - 143). وبدليل فقرات الدعاء الشريف العظيم الشأن السمات كما هو واضح جدا، والنكتة في هذا أيضا أنه يا موسى ما دمت في الحجاب الموسوي والاحتجاب النفسي لا يمكنك المشاهدة لأن مشاهدة

جمال الجميل لمن خرج عن نفسه، فإذا خرج عن نفسه فيرى بعين الحق وعين الحق ترى الحق لا محالة فجلوة الاسم الأعظم التي هي الصورة الكمالية لليلة القدر لا ترى مع الاحتجاب بالنفس، فهذا التعبير بناء على هذا التحقيق يكون صحيحا وفي مورده.

فإن قلت: إن ليلة القدر هي نفس البنية الأحمدية باعتبار احتجاب شمس الحقيقة فيها لا نفس الشمس حتى يصحّ هذا التوجيه. قلت: في لسان أهل النظر شيئية الشيء بصورته الكمالية والأشياء ذوات الأسباب وخصوصا السبب الإلهي لا تعرف بحقيقتها إلاَّ بمعرفة أسبابها.

وفي لسان أهل المعرفة نسبة الظاهر والباطن والجلوة والمتجلي ليسا أمرين مفترقين بل الحقيقة الواحدة تتجلى بالتجلي الظهوري حينا وبالتجلي البطوني حينا آخر، كما يقول العارف المعروف:

ما عدمهائيم هستيها نما   تو وجود مطلق وهستي ما

(البيت للعارف الرومي يقول : نحن عدم نتظاهر بالوجود   وأنت الوجود المطلق وأنت وجودنا).

وفي هذا الكلام كما يقول العارف الرومي لا انتهاء له (قد تكررت في أشعار العارف الرومي جملة (إين سخن بايان ندارد) أي هذا الكلام لا انتهاء له فمقصود الإمام دام ظلّه من نقل القول هذه الجملة فقط لا أصل المطلب فتنبّه " المترجم ") وصرف النظر عنه أولى.

قوله تعالى: ليلة القدر خير من ألف شهر:

إذا لاحظنا الصورة الظاهرة الملكية لليلة القدر فكونها خيرا من ألف شهر بمعنى أنها خير من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، أو أنها والعبادة والطاعة فيها خير من ألف شهر حمل اليهود فيها سلاح ليقاتلوا في سبيل الله.

أو أن ليلة القدر خير من ألف شهر سلطنة بني فلان كما في الروايات الشريفة.

وإذا لوحظت حقيقة ليلة القدر فيمكن أن يكون ألف شهر كناية عن جميع الموجودات باعتبار أن ألف العدد الكامل، والمراد من الشهر أنواعها، يعني أن البنية الشريفة المحمدية وهي الإنسان

الكامل خير من ألف نوع وهي جميع الموجودات كما قال بعض أهل المعرفة.
وقد لاح في نظر الكاتب احتمال آخر وهو أن تكون ليلة القدر إشارة إلى مظهر الاسم الأعظم يعني المرآة التامة المحمدية صلى الله عليه وآله وألف شهر عبارة عن مظاهر الأسماء الأخر، وحيث أن للحق تعالى واحدا وألف اسم. واحد من الأسماء مستأثر في علم الغيب فلهذه الجهة ليلة القدر أيضا مستأثرة وليلة قدر البنية المحمّدية أيضا مستأثرة ولا يطلّع عليها غير الذات المقدسة للرسول الخاتم صلى الله عليه وآله.

تنبيه عرفاني:

وليعلم كما أن الولي الكامل والنبي الخاتم صلى الله عليه وآله ليلة القدر باعتبار بطون الاسم الأعظم فيه واحتجاب الحق فيه بجميع شؤونه كذلك هو يوم القدر أيضا باعتبار ظهور شمس الحقيقة وبروز الاسم الجامع من أفق تعيّنه كما هو نفسه صلى الله عليه وآله يوم القيامة أيضا.
وبالجملة، ذاته المقدسة ليلة القدر ويومه، ويوم القيامة أيضا يوم القدر، فبناء على هذا لعل النكتة في التعبير عن سائر المظاهر بالشهر وعن هذا المظهر المقدس التام بالليلة هي أن مبدأ الشهور والسنين هو اليوم والليلة كما أن الواحد مبدأ للعدد وهو صلى الله عليه وآله بباطن الحقيقة - وهو الاسم الأعظم - مبدأ لسائر الأسماء وبتعينه وعينه الثابتة أصل الشجرة الطيبة ومبدأ التعينات، وتدبر، تعرف، واغتنم.
قوله تعالى: " تنزّل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر "
وفي هذه الآية الشريفة مطالب نذكر بعضها بطريق الإجمال:
الأمر الأول
في ذكر صنوف ملائكة الله والإشارة إلى حقيقتها على الإجمال:
اعلم أن بين المحدثين والمحقّقين اختلافا في تجرّد ملائكة الله وتجسّمها، وكافة الحكماء والمحققين وكثير من الفقهاء يقولون بتجردها وبتجرد النفس

الناطقة، وأقاموا لذلك براهين متينة، ويستفاد التجرد من كثير من الروايات والآيات الشريفة كما قال المحدث المحقق مولانا محمد تقي المجلسي (هو والد المولى محمد باقر المجلسي كان وحيد عصره وفريد دهره أورع أهل زمانه وأزهدهم وأعبدهم استفاد العلم من شيخ الإسلام والمسلمين الشيخ بهاء الدين العاملي والعلامة الزاهد المقدس الورع المولى عبد الله الشوشتري وبعد فراغه من التحصيل أتى النجف الأشرف واشتغل بالرياضات وتهذيب الأخلاق وتصفية الباطن وله مكاشفات ومنامات حسنة ليس هاهنا مقام ذكرها ومصنفاته كثيرة منها شرحاه العربي والفارسي على كتاب من لا يحضره الفقيه كل منها يزيد على مئة ألف بيت وأرتحل إلى جوار رحمة الله تعالى في سنة **1070** (غع)). الوالد الماجد للمرحوم المجلسي في شرح الفقيه في ذيل بعض الروايات: أن هذا يدّل على تجرّد النفس الناطقة.

وقال بعض الأكابر من المحدثين بعدم التجرد، وغاية ما استدلّوا به أن القول بالتجرد مناف للشريعة وصرّحوا بأن المجرد ليس سوى ذات الحق تعالى وتقدس. وهذا الكلام ضعيف في الغية لأن نظرهم في هذا لعلها كانت معطوفة على أمرين:

الأول قضية حدوث العالم زمانا فتوهم أن تجرد شيء سوى الحق ينافيه.

والثاني: كون الحق تعالى فاعلا باختيار، فتوهموا أنه يخالف تجرّد عالم العقل والملائكة، وكلا المسألتين من المسائل المعنونة في العلوم العالية وقد اتضح فيها عدم تنافي المسائل من هذا القبيل مع الوجود المجردّ بل القول بعدم تجرد النفوس الناطقة وعالم العقل وملائكة الله ينافي كثيرا من المسائل الإلهية وكثيرا من العقائد الحقة وليس الآن مجال لبيانه، والحدوث الزماني للعالم على نحو توهمته هذه الطائفة مناف لأصل مسألة الحدوث الزماني فضلا عن أنه مخالف لكثير من القواعد الإلهية والحق الموافق للعقل النقل عند الكاتب أن لملائكة الله أصنافا كثيرة وكثير منها مجرد وكثير منها جسماني برزخي ولا يعلم جنود ربك إلاّ هو..

وأصنافها على حسب التقسيم الكلي ما قالوا أن الموجودات الملكوتية على قسمين:
قسم لا تعلّق به بعالم الأجسام لا تعلقا حلوليّا ولا تعلقا تدبيريا. والقسم الآخر ما له التعلق بأحد هذين الوجهين.
والطائفة الأولى قسمان: قسم يقال له الملائكة المهيمنة وهم المستغرقون في جمال الجميل والمتحيرون في ذات الجليل وعن سائر الخلق غافلون لا يتوجهون إلى سائر الموجودات.
ففي أولياء الله أيضا طائفة بهذه الصفة، فكما أننا مستغرقون في البحر الظلماني للطبيعة وعن عالم الغيب وذات ذي الجلال غافلون مع أن الحق تعالى ظاهر بالذات وكل ظهور شعاع ظهوره كذلك هو غافلون عن العالم وما فيه ومشغولون بالحق وجمال الجميل. وفي الرواية: " أن لله خلقا لا يعلمون أن الله خلق آدم وإبليس ".
والقسم الثاني: طائفة جعلها الله تعالى وسائط رحمته وجوده وهي مبادئ سلسلة الموجودات وغاية أشواقها ، ويقال لهذه الطائفة أهل الجبروت ويقدمها ويرأسها الروح الأعظم، ولعل الآية الشريفة، {تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ} (القدر - 4). أيضا تكون إشارة إلى هذه الطائفة من الملائكة واختصاص الروح بالذكر مع أنه من الملائكة لعظمته، كما في الآية الشريفة: {يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا} (النبأ - 38) أيضا إشارة إلى ذلك.
ويقال للروح باعتبار القلم الأعلى كما قال صلى الله عليه وآله وسلم " أول ما خلق الله القلم ".
ويقال له باعتبار آخر العقل الأول كما قال صلى الله عليه وآله وسلم "أول ما خلق الله العقل ". وقال بعض: أن الروح هو جبرائيل.. وعند الفلاسفة جبرائيل آخر الملائكة الكروبيين وأنه الروح القدس ويعتقدون أن الروح أول الملائكة الكروبيين. وفي الروايات الشريفة أيضا " أن الروح أعظم من جبرائيل " كما في الكافي الشريف عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عن قول الله عز وجل: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ

رَبِّي} (الإسراء - 85) قال: "خلق أعظم من جبرائيل وميكائيل كان مع رسول الله وهو مع الأئمة وهو من الملكوت".

وفي بعض الروايات أن الروح ليس من الملائكة بل أعظم من الملائكة، ولعل للروح في لسان القرآن، والأحاديث إطلاقين كما أن له في لسان أهل الإصطلاح إطلاقات، فروح من صنوف الملائكة كما قال عليه السلام " أنه من الملكوت " وروح هو روح حضرات الأولياء وليس من الملائكة وأعظم منها. فبناء على هذا يمكن أن يكون الروح في السورة الشريفة القدر باعتبار التنزّل في ليلة القدر عبارة عن الروح الأمين أو الروح الأعظم، وفي الآية الشريفة {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ} (الإسراء - 85) عبارة عن الروح الإنساني الذي هو مرتبة الكمال أعظم من جبرائيل وسائر الملائكة وهو من عالم الأمر بل ربما يتحد مع المشيئة التي هي الأمر المطلق.

والقسم الآخر من ملائكة الله هو الملائكة الموكلة بالموجودات الجسمانية والمدبرات فيها ولها صنوف كثيرة وطوائف لا تعدّ لأن لكل موجود علوي أو سفلي فلكي أو عنصري وجهة ملكوتية ينتقل بتلك الوجهة إلى عالم ملائكة الله ويتصل بجنود الحق، كما أن الحق تعالى يشير إلى ملكوت الأشياء بقوله " فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون ".

وقال النبي صلى الله عليه وآله في كثرة الملائكة كما في الروايات " أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع قدم إلاَّ وفيه ملك ساجد أو راكع ". وقد ذكر في الروايات الشريفة الكثيرة ما يرجع إلى كثرة الملائكة وكثرة صنوفها.

الأمر الثاني

في بيان كيفية نزول الملائكة على ولي الأمر

اعلم أن الروح الأعظم وهو خلق أعظم من ملائكة الله بمعنى أنه واقع في الرتبة الأولى من ملائكة الله وأشرف وأعظم من الكل وملائكة الله المجردة قطان عالم الجبروت ولا يتجافون عن مقامهم والنزول والصعود لهم بالمعنى الذي للأجسام مستحيل لأن المجرد مبرأ ومنزه عن لوازم الأجسام فتنزلهم أعم من أن يكون في مرتبة القلب أو الصدر أو الحس المشترك

للولي أو أن يكون في بقاع الأرض والكعبة وحول قبر رسول الله أو في البيت المعمور بطريق التمثّل الملكوتي أو الملكي كما قال تعالى في شأن تنزل الروح الأمين على مريم. {فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا } (مريم - 17) كما إن للأولياء الكمّل أيضا يمكن أن يكون تمثل ملكوتي وتروح جبروتي فللملائكة الله استطاعة الدخول في الملك والملكوت وقدرته وقوته على نحو التمثل، وللكمّل من الأولياء قدرة الدخول في الملكوت والجبروت على طور التروّح، والرجوع من الظاهر إلى الباطن، وتصديق هذا المعنى لمن فهم حقائق المجردات سهل سواء المجرد الملكوتي أو الجبروتي أو النفوس الناطقة التي هي أيضا من المجردات الجبروتية أو الملكوتية وتصور مراحل الوجود ومظاهر ونسبة الظاهر إلى الباطن والباطن إلى الظاهر.

وليعلم أنه لا يمكن تمثل الجبروتيّين والملكوتيّين في قلب البشر وصدره وحسه المشترك إلاّ بعد خروجه من الجلباب البشري وحصول المناسبة بينه وبين تلك العوالم، وإلا فما دامت النفس مشتغلة بالتدبيرات الملكية وغافلة عن تلك العوالم لا يمكن أن تحصل لها هذه المشاهدات أو التمثلات، نعم ربما يمكن أن يحصل للنفس انصراف عن هذه العوالم بإشارة من أحد الأولياء وتدرك إدراكا معنويا أو صوريا من عوالم الغيب بمقدار لياقتها وربما يكون للنفس انصراف عن الطبيعة بواسطة بعض الأمور الهائلة فتدرك انموذجة عن عالم الغيب كما ينقل الشيخ الرئيس قضية رجل صافي الضمير أنه أخذ براءة من النار في حج بيت الله. وينقل ما يشبهها الشيخ العارف محي الدين فجميع هذه الأمور أيضا من انصراف النفوس من الملك وتوجهها إلى الملكوت وربما يمكن أن نفوس الأولياء الكمل بعد انسلاخها عن العوالم ومشاهدة الروح الأعظم أو سائر ملائكة الله تصحو وتحفظ حضرات الغيب والشهادة بواسطة قوتها، وفي هذه الصورة تشاهد حقائق الجبروتيين في جميع النشآت في آن واحد وربما يحصل تنزل الملائكة بقدرة الولي الكامل بنفسه والله العالم.

الأمر الثالث

اعلم أن ليلة القدر حيث أنها ليلة مكاشفة رسول الله وأئمة الهدى عليهم السلام فلهذا تنكشف لهم جميع الأمور الملكية عن غيب الملكوت وتظهر لهم الملائكة الموكلة بكل أمر من الأمور لحضراتهم في نشأة الغيب وعالم القلب وتنكشف وتعلم لهم جميع الأمور التي قدرت للخلائق في مدة السنة وكتبت في الألواح العالية والسالفة على نحو الكتابة الملكوتية والاستجنان الوجودي، وهذه المكاشفة مكاشفة ملكوتية محيطة بجميع ذرات عالم الطبيعة ولا يخفي لولي الأمر شيء من أمور الرعية.

ولا ينافي أن ينكشف لهم في ليلة واحدة أمر السنة وفي حالة جميع الأمور وفي لحظة جميع المقدرات الملكية والملكوتية.

وتنكشف أيضا بالتدريج في أيام السنة الأمور اليومية على طريق الإجمال والتفصيل.

فمثلا ورد في كيفية نزول القرآن في الحديث أنه نزل جملة واحدة في البيت المعمور ونزل في طول ثلاث وعشرين سنة على رسول الله، والورود في البيت المعمور أيضا نزول على رسول الله.

وبالجملة ربما يتصل ولي الأمر بالملأ الأعلى والأقلام العالية والألواح المجردة فتحصل له المكاشفة التامة لجميع الموجودات أزلا وأبدا، وربما يتصل بالألواح السافلة فيكتشف مدة مقدرة. وتمام صفحة الكون حاضرة في محضرة الولوي وكل أمر يقع يكون منظورا لهم عليهم السلام وقد ورد في روايات عرض الأعمال على ولي الأمر أنه كان في كل خميس وأثنين تعرض الأعمال على رسول الله وأئمة الهدى عليهم السلام.

وفي بعض الروايات أنها تعرض في صبيحة كل يوم. وفي بعضها تعرض عليهم أعمال العباد صباحا ومساء وهذه كلها أيضا على حسب الإجمال والتفصيل والجمع والتفريق، وقد وردت في هذه الأبواب روايات شريفة عن أهل بيت العصمة والطهارة مذكورة في كتب التفاسير كتفسير البرهان والصافي.

قوله تعالى: سلام هي حتى مطلع الفجر:

هذه الليلة المباركة هي السلامة من الشرور والبليات والآفات الشيطانية حتى مطلع الفجر أو أنها سلام على أولياء الله وأهل الطاعة، أو أن

ملائكة الله التي تلاقيهم لتسلم عليهم من الله تعالى إلى طلوع الفجر.

تنبيه عرفاني

كما ذكر سابقا في بيان حقيقة ليلة القدر أنها تعبّر عن مراتب الوجود وتعينات الغيب والشهود بالليل باعتبار احتجاب شمس الحقيقة في أفقهم وبناء عليه فليلة القدر هي ليلة احتجب فيها الحق تعالى بجميع الشؤون وأحدية جمع الأسماء والصفات التي هي حقيقة الاسم الأعظم وهي التعين والبنية للولي الكامل وهو في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله نفسه المقدسة وبعده أئمة الهدى واحدا بعد واحد، فبناء على هذا ففجر ليلة القدر هو وقت ظهور آثار شمس الحقيقة من خلف حجب التعينات، وطلوع الشمس من أفق التعينات فجر يوم القيامة أيضا وحيث أنه من مدة الغروب واحتجاب شمس الحقيقة في أفق تعينات هؤلاء الأولياء الكمل إلى وقت طلوع الفجر وهو مدّة ليلة القدر تلك الليلة صاحبة الشرف سالمة من التصرفات الشيطانية مطلقا، وكما احتجبت الشمس من دون كدورة وبلا تصرفات شيطانية تطلع بهذه الصفة فقال تعالى: " سلام هي حتى مطلع الفجر " وأما سائر الليالي فهي: فإما أن السلامة ليست فيها أصلا وهي ليالي بني أميّة وأمثالهم أو أنها فاقدة للسلامة بمجموع معانيها وهي ليالي سائر الناس.

خاتمة:

قد علم من البيانات العرفانية والمكاشفات الإيمانية التي ظهرت بتأييد من الأولياء العظام على القلوب المنيرة لأهل المعرفة إن السورة المباركة التوحيد كما أنها نسبة الذات المقدسة للحق جل وعلا كذلك السورة الشريفة القدر نسبة أهل بيت العظام عليهم السلام، كما ورد في روايات المعراج مثل ما رواه محمد بن يعقوب بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام في صلاة النبي صلى الله عليه وآله في السماء في حديث الإسراء قال عليه السلام " ثم أوحى الله عز وجل إليه اقرأ يا محمد نسبة ربك تبارك وتعالى الله أحد الله الصمد لم

يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد. وهذا في الركعة الأولى ثم أوحى الله عز وجل إليه اقرأ بالحمد لله فقرأها مثلما قرأ أولا ثم أوحى الله إليه: اقرأ: إنّا أنزلناه فإنها نسبتك ونسبة أهل بيتك إلى يوم القيامة".

والروايات الشريفة في فضل السورة المباركة القدر كثيرة منها ما في الكافي الشريف عن أبي جعفر عليه السلام قال " من قرأ إنّا أنزلناه في ليلة القدر يجهر بها صوته كان كالشاهر سيفه في سبيل الله ومن قرأها سرّا كان كالمتشحط بدمه في سبيل الله، ومن قرأها عشر مرات غفرت له على نحو ألف ذنب من ذنوبه ". وفي خواص القرآن روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله " من قرأ هذه السورة كان له أجر من قاتل في سبيل الله " والحمد لله أولا وآخرا.

اعتذار:

مع أنه كان في نية الكاتب في هذه الرسالة أن يكفّ عن المطالب العرفانية غير مأنوسة النوع، ويكتفي بالآداب القلبية فقط للصلاة.. والآن أرى أن القلم قد طغى وفي خصوص تفسير السورة الشريفة قد تجاوزت عن الموضوع المقرّر عندي فلا بدّ لي من أن أعتذر للأخوة الإيمانيين والأخلاّء الروحانيين، وفي ضمن الاعتذار أقول:

إذا رأيتم في هذه الرسالة مطلبا غير مطابق لذوقكم فلا ترموه بالباطل بلا تأمّل لأن كل علم له أهل ولكل طريق سالك رحم الله امرأ عرف قدره ولم يتعدّ طوره.. ويمكن أن يغفل بعض عن حقيقة الحال ولعدم اطّلاعهم على المعارف القرآنية ودقائق السنن الإلهية يظنّون أن بعض مطالب هذه الرسالة تفسير بالرأي وهذا الظنّ خطأ محض وافتراء فاحش لأنه:

أولا: أن هذه المعارف واللطائف كلها مستفادة من القرآن الشريف والأحاديث الشريفة ولها شواهد سمعية كما ذكر بعضها في خلال المباحث ولم يذكر أكثرها رعاية للاختصار.

وثانيا: جميع تلك المعارف أو أكثرها موافقة للبراهين العقلية أو العرفانية، والأمر بهذه الصفة لا يكون تفسيرا بالرأي.
وثالثا: أن ما ذكرنا من المطالب أم نذكره في بيان الآيات الشريفة فهو من قبيل بيان مصاديق المفاهيم غالبا وبيان المصداق ومراتب الحقائق ليس بتفسير أصلا حتى يكون تفسيراً بالرأي.
ورابعا: بعد جميع المراحل ذكرنا المطالب في الموارد غير الضرورية على سبيل الاحتمال وبيان أحد المحتملات رعاية لغاية الاحتياط في الدين مع أنه ليس هنا محل للاحتياط، ومن المعلوم أن باب الاحتمال ليس مسدودا على أحد وليس مربوطا بالتفسير بالرأي وهنا مطالب أخرى كففنا عنها رعاية للاختصار.

الباب الخامس

في نبذة من آداب الركوع وأسراره

وفيه خمسة فصول

الفصل الأول

في التكبير قبل الركوع

والظاهر أن هذا التكبير من متعلقات الركوع ولأجل تهيّؤ المصلي للدخول إلى منزل الركوع. وأدبه أن ينظر المصلي إلى مقام عظمة الحق وجلاله وعزة الربوبية وسلطنتها ويجعل ضعف العبودية وعجزها وفقرها وذلّها نصب عينه. وفي هذا الحال يكبر الحق تعالى عن التوصيف بمقدار معرفته عن الربوبية وذل العبودية، ويلزم أن يكون توصيف العبد السالك الحق تعالى وتسبيحه وتقديسه إيّاه لإطاعة الأمر محضا ولأذن الحق تعالى في التوصيف والعبادة وإلا فليس له تلك الجسارة أن يجازف بالتوصيف والتعظيم في المحضر الربوبي، عبد ضعيف مثله وهو في الحقيقة لا شيء. وما فيه فهو أيضا من المعبود العظيم الشأن.

في مقام يقول علي بن الحسن بلسانه الولوي الأحلى الذي هو كلام الله " أفبلساني هذا الكالّ أشكرك ؟ ". (فما يتأتى من بعوضة ضئيلة) (مصراع بيت لشعر معروف كمثل رايج:

جتئي كه عقاب بربريزد از بيشه لاغري جه خيزد

في مكان يسقط جناح العقاب ويعجز عن الطيران فماذا يتأتى من بعوضة ضئيلة.) فإذا أراد العبد السالك أن يرد منزل الركوع الخطير فلا بد له من التهيّؤ لذاك المقام وأن يلقي بيده توصيفه وتعظيمه وعبادته وسلوكه على قفاه ويرفع يده إلى حذاء الأذن ويقلب كفيه الخاليتين حذاء القبلة ويرد منزل الركوع صفر اليدين وخالي الكفين وبقلب مملوء بالخوف والرجاء. خوف التقصير عن القيام بمقام العبودية والرجاء الواثق بمقام الحس المقدس حيث شرّفه وأذن له

بالدخول إلى هذه المقامات التي هي للخلّص من الأولياء والكمّل من الأحبّاء.
ولعل الرفع بهذه الكيفية هو ترك لمقام القيام وترك الوقوف إلى ذاك الحدّ وإشارة إلى عدم التزوّد من منزل القيام. والتكبير إشارة إلى التعظيم والتكبير عن التوصيفات التي صدرت في منزل القيام. وعند أهل المعرفة حيث أن الركوع منزل توحيد الصفات فتكبير الركوع تكبير عن هذا التوحيد، ورفع اليد إشارة إلى رفض صفات الخلق.

الفصل الثاني

في آداب الانحناء الركوعي

اعلم أن عمدة أحوال الصلاة ثلاثة، وسائر الأعمال والأفعال مقدّماتها ومهيئات لها، الأول: القيام. والثاني: الركوع. والثالث: السجود. وأهل المعرفة يرون هذه الثلاثة إشارة إلى التوحيدات الثلاثة، ونحن ذكرنا تلك المقامات في كتاب (سر الصلاة) على حسب الذوق العرفاني والآن نبين هذه المنازل بلسان آخر يناسب العامة فنقول:

بما أن الصلاة معراج كمالي للمؤمن مقرّب لأهل التقوى فهي متقوّمة بأمرين أحدهما مقدمة للآخر:

الأول: ترك رؤية النفس الذي هو باطن التقوى.

الثاني: حبّ الله وطلب الحق وهو حقيقة المعراج والقرب، ولهذا ورد في الروايات الشريفة: الصلاة قربان كل تقيّ كما أن القرآن أيضا نور الهداية ولكن للمتقين: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} (البقرة - 3).

وبالجملة هذان المقامان، يحصلان في هذه المقامات الثلاثة بالتدريج، ففي حال القيام ترك لرؤية النفس على حسب مقام الفاعلية ورؤية فاعلية الحق وقيّومية الحق المطلق، وفي الركوع ترك لرؤية النفس على حسب مقام الصفات والأسماء ورؤية لمقام أسماء الحق وصفاته، وفي السجود ترك لرؤية النفس مطلقا وحب لله وطلب لله مطلقا وجميع منازل السالكين من شؤون هذه المقامات الثلاثة كما هو واضح لأصحاب البصيرة ولأهل العرفان والسلوك، فإذا توجّه السالك في هذه المقامات بأن سرّ هذه الأعمال والتوحيدات الثلاثة لكل مقام هو أدقّ وألطف، فمن الضروري للسالك أن يراقبه مراقبة أكثر لأن خطر المقام أشدّ والزلل فيه أكثر، ففي مقام الركوع حيث أن للسالك دعوى أنه ليس في دار الوجود علم ولا قدرة ولا حياة ولا إرادة سوى من الحق تعالى، وهذه الدعوى دعوة عظيمة والمقام دقيق للغاية ولا ينبغي هذه الدعاوى لأمثالنا فلا بد أن نتوجه بباطن ذاتنا إلى جناب الحق المقدّس

يالتضرّع والمسكنة و الذلّة ونعتذر عن القصور والتقصير ونجد نقصاننا بعين العيان وشهود الوجدان، فلعله يصدر عن هذا المقام المقدس توجّه وعناية ويصير حال الاضطرار سببا للمساعدة من الذات المقدسة: أمّن يجيب المضّطر إذا دعاه ويكشف السوء.

الفصل الثالث

تعظيم وتنبيه وتحقيق

قد ورد في صلاة المعراج لرسول الله صلى الله عليه وآله وأنه خاطبه العزيز " فانظر إلى عرشي ". قال رسول الله: " فنظرت إلى عظمة ذهبت لها نفسي وغشي عليّ فألهمت أن قلت سبحان ربي العظيم وبحمده لعظم ما رأيت. فلما قلت ذلك تجلّى الغشي عني حتى قلتها سبعا ألهم ذلك فرجعت إليّ نفسي كما كانت ".

فأنظر أيها العزيز إلى مقام عظمة سلوك سيد الكلّ وهادي السبل صلى الله عليه وآله أنه رأى في حال الركوع وهو حال النظر إلى ما دون نفسه نور العرش، وحيث أن نور العرش في نظر الأولياء عبارة عن تجلي الذات بلا مرآة، فالتعين النفسي يرتفع وتحصل حالة الغشي والصعق فساعدت الذات المقدسة بالعنايات الأزلية وجوده الشريف ولقّن سبحانه الذات النبوية المقدسة التسبيح والتعظيم و التحميد بالإلهام الحبّي حتى سرى عنه الصعق بعدما قالها سبعا بعدد الحجب وعدد مراتب الإنسان وحصلت له حالة الصحو. وهذه الأحوال كانت تداومه في جميع صلاة المعراج. وحيث أنه لا سبيل لنا إلى خلوة الأنس ولا مكان لنا في مقام القدس فالجدير أن نجعل رأس مالنا للوصول إلى المقصد و عروتنا لحصول المطلوب عجزنا و ذلّتنا (ولا نرفع اليد عن ذيل المقصود حتى نحصل ما يأمله القلب من اللذة) (لا أظن أن أحدا يستطيع أن يترجم هذه الجملة بما لها من الرقة والجمال لأنه روحي فداه ركّبها من جملة كنائية لطيفة ومن قطعة من شعر الحافظ الشيرازي وهي (تاكام دل برآيد) فأصبحت ذات جمال وحسن لا يوصف ولها في نفس الحال من الوزن والموسيقى ما تهتز به أوتار وجود القارئ إن كان له قلب " المترجم " وإذا لم نكن من رجال هذا الميدان فلعله تستشم أرواحنا رائحة من المعارف ويهبّ نسيم لطف لقالبنا الميّت وذلك لأن عادة الحق تعالى الإحسان وشيمته التفضّل والأنعام وليعلم أن الركوع

مشتمل على تسبيح الرب جلّ وعلا وتعظيمه وتحميده، فالتسبيح تنزيه عن التوصيف وتقديس عن التعريف.. وإن التعظيم و التحميد خروج عن حدّي التشبيه والتعطيل لأن التحميد يفيد الظهور في المرائي الخلقية والتعظيم يرى سلب التحديد فهو الظاهر وليس في العالم أظهر منه وفي الوقت نفسه ليس متلبّسا بلباس التعيّنات الخلقية.

الفصل الرابع

أدب الركوع

عن مصباح الشريعة، قال الصادق عليه السلام " لا يركع عبد لله ركوعا على الحقيقة إلاَّ زيّنه الله بنور بهائه وأظلّه في ظلال كبريائه وكساه كسوة أصفيائه، والركوع أول والسجود ثان فمن أتى بمعنى الأول صلح للثاني، وفي الركوع أدب وفي السجود قرب ومن لا يحسن الأدب لا يصلح للقرب، فأركع ركوع خاضع لله بقلبه متذلل وجلٍ تحت سلطانه خافض له جوارحه خفض خائف حزن على ما يفوته من فائدة الراكعين. وحكي أن الربيع بن خيثم كان يسهر بالليل إلى الفجر في ركعة واحدة فإذا هو أصبح رفع " يزفر " وقال آه سبق المخلصون وقطع بنا، واستوف ركوعك باستواء ظهرك وانحط على همتك في القيام بخدمته إلاَّ بعونه وفرّ بالقلب من وساوس الشيطان و خدائعه ومكائده فإن الله تعالى يرفع عباده بقدر تواضعهم له ويهديهم إلى أصول التواضع والخضوع بقدر اطلاع عظمته على سرائرهم ".

وفي هذا الحديث الشريف إشارات وبشارات وآداب ووظائف، كما أن التزين بنور بهاء الله بشارات للوصول إلى مقام التعلم الأسمائي: وعلّم آدم الأسماء كلها.. والتحقق بمقام الفناء الصفاتي وحصول حالة الصحو من ذلك المقام لأن تزيين الحق تعالى العبد بمقام نور البهاء هو تحقيق الله العبد بمقام الأسماء الذي هو حقيقة تعليم الأسماء وإظلاله في ظلّ الكبرياء وهو من الأسماء القهرية وتمكين الله العبد في فنائها إفناء العبد عن نفسه وبعد هذا المقام إكساؤه بكسوة الأصفياء إبقاؤه بعد الإفناء. ومن هنا يعلم أن السجود فناء ذاتي كما قال أهل المعرفة لأن الركوع أول وهو هذه المقامات، والسجود ثان فليس هو إلاَّ مقام الفناء في الذات، ويعلم أيضا أن القرب المطلق الذي يحصل في السجود لا يتيسّر إلاَّ بحصول الركوع على الحقيقة، ومن أراد أن يصلح للثاني لا بد أن يحصّل القرب الركوعي وأدب الركوع، ثم أنه عليه السلام بعد

بيان لطائف الركوع والسجود وسرائرهما أشار إلى آدابه القلبية للمتوسطين وهي أمور بعضها من الأمور العامة ذكرناها في المقدمات وبعضها خاص بالركوع. وحيث أنّا بيّنّا أكثر هذه الأمور أغمضنا النظر عن تفصيلها.

الفصل الخامس

في رفع الرأس من الركوع

وسرّه الرجوع عن الوقوف في الكثرات الأسمائية، كما قال عليه السلام: وكمال التوحيد نفي الصفات عنه لأن العابد السالك بعدما حصلت له حالة الصحو من الفناء الأسمائي يشاهد قصوره وتقصيره وذلك لأن مبدأ الخطيئة الآدمية التي على الذرّية أن تجبرها هو التوجه إلى الكثرات الأسمائية التي هي باطن الشجرة فإذا عرف العبد لنفسه وهي ذرية آدم خطيئتها ولآدم وهو الأصل خطيئته فيطلع على مقام تذلّله ونقصانه ويتهيأ لرفع خطيئته بخفض الجناح في حضرة الكبرياء ويقيم صلبه عن هذا المقام ويرفع الكثرات الأسمائية بعد رفع الرأس بالتكبير ويتوجّه إلى منزل الذلّة والمسكنة وأصل الترابية صفر اليد. وآدابه المهمّة هي عرفان عظم خطر المقام وإذاقته القلب بالتذكر والمجاهدة في التوجّه إلى حضرة الذات وترك التوجّه إلى النفس حتى إلى مقام ذلّة نفسه.

واعلم أيها العزيز أن التذكر التام لحضرة الحق والتوجّه المطلق بباطن القلب إلى تلك الذات المقدسة موجب لانفتاح العين الباطنية للقلب ويحصل به لقاء الله وهو قرّة عين الأولياء {الَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} (العنكبوت - 69).

الباب السادس

في الإشارة الإجمالية إلى أسرار السجود وآدابه

وفيه أربعة فصول

الفصل الأول

في سرّه الإجمالي

وهو عند أصحاب العرفان وأرباب القلوب ترك النفس وغمض العين عمّا سوى الحق والتحقيق بالمعراج اليونسي الذي حصل بالنزول والدخول في بطن الحوت بالتوجّه إلى أصله بلا رؤية الحجاب، وفي وضع الرأس على التراب إشارة إلى رؤية جمال الجميل في باطن قلب التراب وأصل عالم الطبيعة وآدابه القلبية عرفان حقيقة النفس وأصل جذر وجوده ووضع أم الدماغ وهي مركز سلطان النفس وعرش الروح على أدنى عتبة مقام القدس ورؤية عالم الأرض والتراب عتبة لمالك الملوك، فسرّ الوضع السجودي غمض العين عن النفس وأدب وضع الرأس على التراب إسقاط أعلى مقامات نفسه عن عينه ورؤيتها أقل من التراب وإذا كان في القلب شائبة في الدعاوى التي تكون الأوضاع الصلاتية إشارة إليها فهو نفاق عند أرباب المعرفة، وحيث أن خطر هذا المقام أعظم الأخطار فيلزم السالك إلى الله أن يتمسّك بذيل عناية الحق جلّ وعلا بجبلته الذاتية وفطرته القلبية ويسأله العفو عن التقصيرات بالذلّة و المسكنة لأن هذا المقام مقام خطير خارج عن عهدة أمثالنا وحيث ذكرنا في رسالة سر الصلاة هذه المقامات بالتفصيل فنكفّ عن التفصيل ها هنا ونكتفي في آدابه بالرواية الشريفة لمصباح الشريعة.

الفصل الثاني

آداب السجود عند الإمام الصادق (عليه السلام)

عن مصباح الشريعة، قال الصادق عليه السلام: " ما خسر والله من أتى بحقيقة السجود ولو كان في العمر مرّة واحدة وما أفلح من خلا بربّه في مثل ذلك الحال تشبيها بمخادع نفسه غافلا لاهيا عمّا أعده الله للساجدين من أنس العاجل وراحة الأجل. ولا بعد عن الله أبدا من أحسن تقرّبه في السجود ولا قرب إليه أبدا من أساء أدبه وضيّع حرمته بتعلّق قلبه بسواه في حال سجوده فاسجد سجود متواضع لله تعالى ذليل علم أنه خلق من تراب يطؤه الخلق وأنه اتخذك (ركب) من نطفة يستقذرها كل أحد وكوّن ولم يكن وقد جعل الله معنى السجود سبب التقرب إليه بالقلب والسرّ والروح فمن قرب منه بعد من غيره، إلاّ ترى في الظاهر أنه لا يستوي حال السجود إلاّ بالتواري عن جميع الأشياء والاحتجاب عن كل ما تراه العيون، كذلك أمر الباطن فمن كان قلبه متعلقا في صلاته بشيء دون الله تعالى فهو قريب من ذلك الشيء بعيد عن حقيقة ما أراد الله منه في صلاته، قال عز وجل: ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه.. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله تعالى: لا أطلّع على قلب عبد فاعلم فيه حب الإخلاص لطاعتي لوجهي وابتغاء مرضاتي إلاّ توليت تقويمه وسياسته ومن اشتغل بغيري فهو من المستهزئين بنفسه ومكتوب اسمه في ديوان الخاسرين ".

ففي هذا الحديث الشريف قد جمع عليه السلام بين الأسرار والآداب، والتفكر فيه يفتح للسالك طرقا من المعرفة ويهدم تأبّي المفكرين وجحودهم ويؤيد ويشيد أولياء العرفان وأصحاب الإيقان ويقرع السمع بحقيقة الأنس والخلوة مع الحق وترك غير الحق (لقد ترجم المؤلف دام ظله بعد كلامه هذه الرواية الشريفة بالفارسية تركنا الترجمة حذرا من التكرار " المترجم ").

الفصل الثالث

في ذكر السجود

في الحديث الشريف أنه لما نزلت فسبّح باسم ربّك العظيم قال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله: اجعلوها في ركوعكم، فلما نزلت: سبّح اسم ربك الأعلى، قال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله: اجعلوها في سجودكم.

وفي الحديث الشريف في الكافي: فأول ما اختار لنفسه العلّي العظيم " الحديث ". ولعل العلّي هو الأول من الأسماء الذاتية، والعظيم الأول في الأسماء الصفاتية.

واعلم أن في السجود كسائر الأوضاع الصلاتية هيئة وحالة وذكراً وسرّاً وهذه الأمور للكمّل على نحو، وقد بيّنت في هذه الرسالة إشارة وأما بيانها تفصيلا فغير مناسب وأما للمتوسطين فهيئته إراءة المتربة وترك الاستكبار والعجب وكذلك إرغام الأنف وهو من المستحبات المؤكدة بل تركه خلاف الاحتياط إظهارا لكمال التخضع والتذكّر والتواضع، وأيضا هو التوجّه إلى أصله والتذلل لنشأته. ووضع رؤساء الأعضاء الظاهرة على أرض الذلّة والمسكنة وتلك الأعضاء هي محال الإدراك، وظهور التحريك والقدرة وهي الأعضاء السبعة أو الثمانية علامة التسليم التام وتقديم جميع القوى والخروج عن الخطيئة الآدمية فإذا قوي تذكر هذه المعاني في القلب فينفعل القلب بها تدريجا فتحصل حالة هي حالة الفرار من النفس وترك رؤية النفس، ونتيجة هذه الحالة حصول حالة الأنس وتعقبها الخلوة التامة وتظهر المحبة الكلية.

وأما ذكر السجدة فمتقوّم بالتسبيح وهو التنزيه عن التوصيف وعن القيام بالأمر أو التنزيه عن التكثير الأسمائي أو التنزيه عن التوحيد لأن التوحيد تفعيل وهو الذهاب من الكثرة إلى الوحدة وهذا لا يخلو عن شائبة التكثير والتشريك كما أن التوصيف بالعلو الذاتي والتحميد أيضا ليس خاليا عن شائبة هذه المعاني، والعلّي من الأسماء الذاتية وعلى رواية الكافي هو أول اسم هو أول اسم اتخذه الله لنفسه

يعني هو أول تجلي الذات لنفسه، والعبد السالك إذا فني عن نفسه في هذا المقام وترك العالم وما فيه فيناله الفخر بهذا التجلي الذاتي.

واعلم أن الركوع حيث إنه أول والسجود ثان فيفترق التسبيح والتحميد فيها بفروق وأيضا يفرق الرب في المقامين لأن الرب كما قاله أهل المعرفة من الأسماء الذاتية و الصفاتية والأفعالية بالإعتبارات الثلاثة، فبناء على ذلك فالرب في الحمد لله رب العالمين لعله من الأسماء الفعلية بمناسبة مقام القيام وهو مقام التوحيد الأفعالي وفي الركوع من الأسماء الصفاتية بمناسبة أن الركوع مقام توحيد الصفات وفي السجود من الأسماء الذاتية بمناسبة أن السجود مقام توحيد الذات. والتسبيح والتحميد الواقعان في كل مقام يكونان مرتبطين بذلك المقام.

تنبيه عرفاني:

نقل القيصري (كتب المؤلف دام ظلّه في الهامش أن هذا التنبيه زائد يمحى) في مقدمات شرح الفصوص عن إنشاء الدوائر للشيخ الكبير ما معناه: أن الأسماء تنقسم بنوع من القسمة إلى أسماء الذات وأسماء الصفات وأسماء الأفعال وأن كانت كلها أسماء الذات ولكن باعتبار ظهور الذات فيها تسمى أسماء الذات وباعتبار ظهور الصفات فيها تسمى أسماء الصفات وبظهور الأفعال تسمى أسماء الأفعال وأكثر الأسماء جامعة للاعتبارين أو الاعتبارات الثلاثة لأن فيها ما يدلّ على الذات باعتبار ويدل على الصفات باعتبار ثان ويدل على الأفعال باعتبار ثالث مثل الرب فهو بمعنى الثابت من الأسماء الذاتية وبمعنى المالك من الأسماء الصفاتية وبمعنى المصلح من الأسماء الأفعالية.. " انتهى كلامه". ونحن ذكرنا في سالف الأيام في حاشية الفصوص أن الميزان في تمييز الأسماء ليس ما يستفاد من ظاهر كلام الشيخ بل ما يقضيه الذوق الأحلى العرفاني.

إن السالك إلى الله إذا فني عن فعله بالقدم العرفانية وحصلت له حالة التوحيد الإفعالي والمحو في المجال الفعلي. فالحق تعالى يتجلى لقلبه على ما

يناسبه وكل تجلّ يحصل له في هذه الحالة فهو تجلّ إفعالي، ومن الأسماء الإفعالية فإذا تجاوز عن التجليات الإفعالية وأمّحى في حضرة الأسماء والصفات وحصل له الفناء الصفاتي فتجليات الحق تعالى لقلبه تجليات بأسماء الصفات وإخباراته أيضا من الأسماء الصفاتية. فإذا حصل له مقام المحو الذاتي والفناء الذاتي يتجلى الحق تعالى لقلبه بالأسماء الذاتية وتكون مشاهداته مشاهدات الأسماء الذاتية وإخبارته تكون عن هذا المقام.

والآن نقول: إن تجليات الحق في حضرة الأحدية تجلّ بالأسماء الذاتية وتجلّيه في الحضرة الواحدية تجلّ بأسماء الصفات وتجلّيه في حضرات الأعيان الخارجية تجلّ بأسماء الأفعال، ولعل الآيات الشريفة في آخر سورة الحشر من: هو الله الذي لا إله إلاّ هو.. إلى آخر السورة تكون إشارة إلى المقامات الثلاثة والله العالم.

وعلى السالك أن يكون منظوره نظره في الأكوان الثلاثة في الصلاة وهي: الكون القيامي والكون الركوعي والكون السجودي حصول هذه المقامات وهذا يحصل من التذكر الذي هو مبدأ السلوك (كتب المؤلف دام ظلّه في الهامش أن هذا التنبيه زائد يمحى).

الفصل الرابع

في بعض أسرار السجدة وذكرها ورفع الرأس منها

سجدة الغشي والصعق كما في حديث المعراج نتيجة مشاهدة أنوار العظمة للحق فإذا صار العبد بلا حواس عن نفسه وحصلت له حالة المحو والصعق فتشمله العناية الأزلية ويلهم بالإلهام الغيبي وذكر السجود وتكراره لحصول حالة الصحو والإفاقة، فإذا أفاق تشتعل في قلبه نار اشتياق مشاهدة نور الحق ويرفع الرأس عن السجدة فيرى في نفسه بقايا من الأنانية فيشير باليد إلى رفضها فتتجلى له نور العظمة ثانيا ويحرق بقية الأنانية ويفنى من الفناء وتحصل له حالة المحو الكلي المطلق والصعق التام الحقيقي وهو يكبّر الله فالمساعد الغيبي بإلهامه الأذكار يمكنه في المقام وتعرض له حالة الصحو في هذا المقام وهو صحو الولاية ومنزه عن كل احتجاب واختلاط خلقي وحالة التشهد والسلام وهما من أحكام الكثرة، تحصل له أيضا في هذا الصحو بعد المحو وعند الوصول إلى هنا تتم وتكمل دائرة السير الإنساني.

الباب السابع

في الإشارة الإجمالية إلى آداب التشهُّد

وفيه فصلان

الفصل الأول

في التشهُّد

اعلم أن الشهادة بالوحدانية والرسالة في الأذان والإقامة وهما من متعلقات الصلاة ومهيّئات الورود فيها، وفي التشهد وهو الخروج من الفناء إلى البقاء ومن الوحدة إلى الكثرة. وفي آخر الصلاة تذكّر العبد السالك أن حقيقة الصلاة حصول التوحيد الحقيقي والشهادة بالوحدانية من مقاماتها الشاملة التي تكون مع السالك من أول الصلاة إلى آخرها وفيها أيضا سرّ أولية الحق جل وعلا و آخريته، و فيها أيضا سرّ عظيم وهو أن سفر السالك من الله وإلى الله كما بدأكم تعودون.. فللسالك أن يتوجّه في جميع المقامات إلى هذا المقصد ويوصل إلى القلب حقيقة وحدانية الحق وألوهيته ويصنع القلب إلهيا في هذا السفر المعراجي لتكون شهادته حقيقية وتتنزّه عن النفاق والشرك، وفي الشهادة بالرسالة أيضا لعلها إشارة إلى أن مساعدة الوليّ المطلق والنبي الخاتم في هذا المعراج السلوكي من المقامات الشاملة التي لا بدّ للسالك أن يتوجه إليها في جميع المقامات ويتضح سرّ الأولية والآخرية الذي هو من مقامات الولاية لأهلها وليعلم أن ثمة فرقا بين الشهادة في أول الصلاة والشهادة في التشهّد، لأن الشهادة في أولها شهادة قبل السلوك وهي شهادة تعبدية أو تعقلية وهذه التي في آخرها شهادة بعد الرجوع وهي شهادة تحققية أو تمكّنيّة فللشهادة في التشهد خطر عظيم لأنها دعوى التحقق والتمكن ودعوى الرجوع إلى الكثرة بلا احتجاب وحيث أن هذا المقام الشامخ غير حاصل لأمثالنا بل ليس من المتوقع أيضا حصوله ونحن في هذه الحال، فالأدب في حضرة الباري أن ننظر

إلى قصورنا وذلّتنا ونقصنا وعجزنا ومسكنتنا ونتوجّه إلى جنابه المقدس بحالة الانفعال ونقول: إلهنا ليس لنا من مقامات الأولياء و مدارج الأصفياء وكمال المخلصين وسلوك السالكين حظ سوى ألفاظ معدودة، واقتنعنا عن جميع المقامات بقيل وقال ولا تحصل منه كيفية ولا حال
(إشارة الى البيت المعروف ممن الشيخ البهائي قدس سره:
علم رسمي سر بسر قيل است وقال نه از او كيفيّتي حاصل نه حال)، إلهنا عن حب الدنيا و تعلقاتها حجبنا عن حضرة القدس ومحفل الأنس إلاَّ أن تساعدنا نحن الساقطين بلطفك الخفيّ وتجبر ما سبق منا فلعلنا نستيقظ من نوم الغفلة ونجد طريقا إلى محضر القدس.

الفصل الثاني

آداب التَشهُّد عند الإمام الصادق (عليه السلام)

عن مصباح الشريعة: قال الصادق عليه السلام: " التشهّد ثناء على الله فكن عبدا له في السرّ خاضعا له في الفعل كما أنك عبد له بالقول والدعوى وصل صدق لسانك بصفاء سرك فإنه خلقك عبداً وأمرك أن تعبده بقلبك ولسانك وجوارحك وأن تحقق عبودتك له بربوبيته لك وتعلم أن نواصي الخلق بيده فليس لهم نفس ولا لحظ إلاّ بقدرته ومشيئته وهم عاجزون عن إتيان أقل شيء في مملكته إلاّ بإذنه وإرادته. قال الله عز وجل: وربّك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة من أمرهم سبحان الله وتعالى عمّا يشركون فكن عبداً شاكراً بالفعل كما أنك عبد ذاكر بالقول والدعوى وصل صدق لسانك بصفاء سرّك فإنه خلقك فعز وجل أن تكون إرادة ومشيئة لأحد إلاّ بسابق إرادته ومشيئته فاستعمل العبودية في الرضا بحكمه وبالعبادة في أداء أوامره وقد أمر بالصلاة على نبيه (حبيبه) صلى الله عليه وآله فأوصل صلاته بصلاته وطاعته بطاعته وشهادته بشهادته وانظر لا يفوتك بركات معرفة حرمته فتحرم فائدة صلاته وأمره بالاستغفار لك والشفاعة فيك إن أتيت بالواجب في الأمر والنهي والسنن والآداب وتعلم جليل مرتبته عند الله عز وجل ".

وفي هذا الحديث الشريف إشارات إلى الآداب القلبية للعبادات وحقائقها وأسرارها فيقول: التشهّد ثناء على الحق جل وعلا بل قد أشرنا سابقا أيضا أن مطلق العبادات ثناء على الحق إما باسم أو بأسماء أو بتجل من التجليات وإما بأصل الهوية، ويشير عليه السلام إلى عمدة الأدب وهي انه كما أنك تعبد الله في الظاهر وتدّعي العبودية فاعبده في السر أيضا حتى تسري العبودية السريّة القلبية إلى الأعمال الجوارحية أيضا ويكون العمل والقول خارطة الباطن والسر وتسري حقيقة العبودية إلى جميع أجزاء الوجود

أعم من الأجزاء الظاهرية والأجزاء الباطنية ويحظى كل من الأعضاء بحظّ من التوحيد ويوصل اللسان الذاكر الذكر إلى القلب ويفيد القلب الموحّد المخلص التوحيد والإخلاص إلى اللسان ويطلب العبد الربوبية من حقيقة العبودية (إشارة الى الحديث المشهور: العبودية جوهرة كنهها الربوبية " الحديث ") ويخرج عن عبادة النفس ويوصل إلوهية الحق إلى القلب وليعلم أن ناصية العباد بيد الحق ولا يقدرون على التنفس والنظر إلاَّ بقدرة الحق تعالى ومشيئته وأنهم عاجزون عن التصرف في مملكة الحق بجميع أنواع التصرفات وإن كان تصرفا تافها إلاَّ بإذن وإرادة من ذاته المقدسة كما قال تعالى: {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء } (القصص - 68) ويختار كل ما أراد ليس لأحد اختيار في أمره استقلالا والله منزه عن الشريك في التصرف في مملكة الوجود فإذا أوصلت هذه اللطيفة إلى القلب يكون شكرك للحق على الحقيقة ويسري الشكر إلى أعضائك وأعمالك، فكما أن اللسان والقلب لا بد أن يكونا مترافقين في طريق العبودية ففي هذا التوحيد الفعلي أيضا لا بدّ أن يكون صدق اللسان موصولا بصفاء سرّ القلب لأن الحق جل وعلا هو الخالق ولا مؤثر غيره. وجميع الإرادات والمشيئات ظلّ إرادته ومشيئته الأزلية السابقة.

ثم أن العبد بعد آداب الشهادة بوحدانية الحق وألوهيته يتوجّه إلى المقام المقدس للعبد المطلق والرسول الخاتم. وعلى المصلّي أن ينتبه من تقدّم مقام العبودية على الرسالة إن قدم العبودية مقدمة لجميع مقامات السالكين. والرسالة شعبة من العبودية، وبما أن الرسول الخاتم عبد حقيقي فان في الحق فإطاعته إطاعة الحق والشهادة بالرسالة موصولة بالشهادة بالوحدانية، والعبد السالك لا بد أن يراقب نفسه إلاَّ يقصّر في طاعة الرسول التي هي طاعة الله لئلا يحرم من مساعدة الولّي المطلق في بركات العبادة وهي الوصول إلى جناب القدس ومحل الأنس إلاَّ بمساعدة ولّي النعم والرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

الباب الثامن

في آداب السلام

وفيه فصلان

الفصل الأول

آداب السلام

اعلم أن العبد السالك إذا رجع عن مقام السجود الذي سره الفناء وحصلت له حالة الصحو والشعور ورجع من حالة الغيبة عن الخلق إلى حال الحضور فيسلم على الموجودات سلام من رجع من السفر والغيبة ففي ابتداء الرجوع من السفر يسلم على النبي الأكرم لأنه بعد الرجوع من الوحدة إلى الكثرة، فالحقيقة الأولية هي تجلي حقيقة الولاية " نحن الأولون السابقون " ثم يتوجّه إلى أعيان سائر الموجودات على طريق التفصيل والجمع ومن لم يكن في صلاته غائبا عن الخلق ولم يسافر إلى الله فالسلام بالنسبة إليه بلا حقيقة وليس إلاّ لقلقة لسان فالأدب القلبي للسلام مرتبط بالأدب في جميع الصلاة وإذا لم يحصل له في هذه الصلاة التي هي حقيقة المعراج عروج ولم يخرج عن بيت النفس فلا سلام له، وأيضا إذا كان له السلامة من تصرفات الشيطان وتصرفات النفس الأمّارة ولم يكن للقلب علة في طول هذا المعراج الحقيقي فسلامه حقيقي وإلا فلا سلام له. نعم السلام على النبي صلى الله عليه وآله بناء على ذلك سلام حقيقي لأنه صلى الله عليه وآله في هذا السفر المعراجي وفي هذا السير إلى الله صعودا ونزولا متصف بالسلامة وفي جميع السير عار وبريء من تصرفات غير الحق كما أشرنا إليه في السورة المباركة {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ} (القدر _ 1) .

الفصل الثاني

آداب السلام عند الإمام الصادق (عليه السلام)

عن مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام " معنى السلام في دبر كل صلاة الأمان أي من أدّى أمر الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله خاشعا منه قلبه فله الأمان من بلاء الدنيا وبراءة من عذاب الآخرة والسلام اسم من أسماء الله تعالى أودعه خلقه ليستعملوا معناه في المعاملات والأمانات والإضافات وتصديق مصاحبتهم فيما بينهم وصحة معاشرتهم، وإذا أردت أن تضع السلام موضعه وتؤدي معناه فلتتق الله وليسلم منك دينك وقلبك وعقلك ولا تدنسها بظلمة المعاصي ولتسلم حفظتك من إلاّ تبرمهم (تبرُمهم: تضجرهم). ولا تملّهم وتوحشهم منك بسوء معاملتك معهم ثم صديقك ثم عدوكّ فإن من لم يسلم منه من هو الأقرب إليه فالأبعد أولى، ومن لا يضع السلام مواضعه هذه فلا سلام ولا تسليم (سلّم) وكان كاذبا في سلامه وإن أفشاه في الخلق ".

يقول عليه السلام: معنى السلام عقيب الصلاة هو الأمان بمعنى أم من أدّى الأوامر الإلهية والسنن النبوية بالخشوع القلبي فيأمن من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة، أي يأمن من التصرفات الشيطانية في الدنيا لأن أداء الأوامر بالخشوع القلبي موجب لقطع تصرف الشيطان: إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر.. ثم يشير عليه السلام إلى سرّ من أسرار السلام ويقول: السلام اسم من أسماء الله تعالى أودعه خلقه وهذه إشارة إلى مظهرية الموجودات للأسماء الإلهية ولا بد للعبد السالك أن يظهر هذه اللطيفة الإلهية التي أودعت واختفت في باطن ذاته وخميرته ويستعملها في جميع المعاملات والمعاشرات والأمانات والإرتباطات ويشير بها إلى مملكة باطنه وظاهره ويستعملها في المعاملات مع الحق ودين الحق تعالى لئلا يخون الوديعة الإلهية فتسري حقيقة السلام إلى جميع قواه الملكية والملكوتية وفي جميع عاداته وعقائده وأخلاقه وأعماله لتسلم نفسه من جميع التصرفات، وعرّف عليه السلام التقوى طريقا لتحصيل هذه السلامة.

وليعلم أن للتقوى مراتب ومنازل، فتقوى الظاهر هي حفظ الظاهر عن القذارات وظلمة المعاصي القالبية وهذه هي تقوى العامة.. وتقوى الباطن هي حفظه وتطهيره عن الإفراط والتفريط وعن التجاوز عن حد الاعتدال في الأخلاق والغرائز الروحية وهذه تقوى الخاصة. وتقوى العقل حفظه وتطهيره عن الصرف في العلوم الإلهية، والمراد من العلوم الإلهية ما يكون مرتبطا بالشرائع والأديان الإلهية وهذه تقوى أخصّ الخواص، وتقوى القلب حفظه عن مشاهدة غير الحق ومذاكراته وهذه تقوى الأولياء..

والمقصود من الحديث الشريف الذي يقول الحق تعالى فيه أنا جليس من جالسني.. هذه هي الخلوة القلبية. وهذه الخلوة هي أفضل الخلوات، والخلوات الأخر مقدمة لحصول هذه الخلوة. فمن اتصف بجميع مراتب التقوى يسلم دينه وعقله وروحه وقلبه وجميع قواه الظاهرة والباطنة وتسلم حفظته الموكلة به ولا تمل ولا تضجر ولا تتوحش منه، ومن كان بهذه الصفة تكون معاملاته ومعاشرته مع صديقه وعدوه بطريق السلامة بل ينقطع جذر العداوة عن باطن قلبه وإن كان الناس يعادونه، ومن لم يكن سالما في جميع المراتب فهو محروم من فيض السلام بمقدار عدم سلامته وقريب من أفق النفاق بمقدار ذلك نعوذ بالله منه والسلام.

خاتمة الكتاب

في آداب بعض الأمور الداخلة والخارجة للصلاة

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول

في التسبيحات الأربعة التي تقرأ في الركعة الثالثة والرابعة

من الصلاة وأسرارها وآدابها القلبية بالمقدار المناسب

وهي متقومة بأركان أربعة

الركن الأول: في التسبيح

التسبيح هو التنزيه عن التوصيف بالتحميد والتهليل. وهو من المقامات الشاملة، والعبد السالك لا بد أن يتوجّه إليه في جميع العبادات ويحفظ قلبه عن دعوى التوصيف والثناء على الحق ولا يظنن أن في إمكان العبد القيام بحق العبودية فضلا عن القيام بحق الربوبية الذي انقطعت عنه أعين آمال الكمل وتقاصرت عن ذيله أيدي الأكابر من أصحاب المعرفة (عنقا شكاركس نشود دام بازكير) (مصراع بيت للشاعر العارف الحافظ الشيرازي والمصراع الثاني " كانجا هميشة بادبه دست است دام را " يقول:

ليبست العنقاء تصطاد فخذ فخك واذهب إنه ليس له حظ سوى هب الرياح) فلهذه الجهة قالوا إن كمال المعرفة لأهل المعارف عرفان عجزهم. نعم حيث أن الرحمة الواسعة للحق جل وعلا شاملة لنا نحن العباد الضعاف فرخّص لنا نحن المساكين بالدخول إلى جناب خدمته بسعة رحمته. وتفضل بإجازة الورود في مثل هذا المقام المقدّس المنزّه الذي انقصمت ظهور الكروبيين عن الدنّو منه. وهذا من أعظم التفضلات والأيادي للذات المقدسة لولي النعمة على عباده يعرف قدره أهل المعرفة والأولياء الكمّل وأهل الله

على قدر معرفتهم وأمّا نحن المحجوبين المتأخرين عن كل مقام ومنزلة والمحرومين المهجورين من كل كمال ومعرفة فعنه غافلون بالكلية. والأوامر الإلهية - وهي في الحقيقة أفضل النعم العظيمة غير المتناهية نحسبها من التكلف والكلفة ونقوم بها بالضجر والكسالة. ومن هذه الجهة حرمنا وحجبنا عن نورانيته بالكلية.

وليعلم أن التحميد والتهليل حيث إنهما متضمنان للتوحيد الفعلي وفيهما شائبة التحديد والتنقيص بل شائبة التشبيه والتخليط فيلزم العبد السالك أن يجعل نفسه في حصن التسبيح والتنزيه الحصين ليتهيأ للورود فيه ويفهّم باطن قلبه أن الحق جلّت عظمته منزّه عن التعينات الخلقية والتلبس بملابس الكثرات كي يتنزّه وروده في التحميد عن شائبة التكثير.

الركن الثاني: التحميد

وهو مقام التوحيد الفعلي الذي يناسب حال القيام ويناسب القراءة أيضا. فلهذا كانت هذه التسبيحات في الركعتين الأخيرتين قائمة مقام الحمد والمصلي مختار أن يقرأ الحمد مكانها. ونستفيد التوحيد الفعلي كما ذكرنا في الحمد من حصر الحمد بالحق تعالى، وتقصر يد العبد عن المحامد بالكلية ونوصل إلى سامعة القلب: هو الأول والآخر والظاهر والباطن، ونذيق ذائقة الروح حقيقة " وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى " ونضع رؤية النفس وحبها تحت قدمي السلوك كي نصل إلى مقام الحمد ونخلّص القلب من مشقة تحمل ثقل منّة الخلق.

الركن الثالث: التهليل وله مقامات أحدها، مقام نفي الألوهية الفعلية وهو عبارة أخرى عن لا مؤثر في الوجود إلاّ الله، وهذا يؤكد حصر التحميد بل يوجب الحصر ويسبب له، لأن مراتب الوجود الإمكانية ظلّ حقيقة وجود الحق جلت قدرته وربط محض وليس لشيء منها بوجه من الاستقلال والقيام بنفسه فلهذا لا يصح أن ينسب التأثير الإيجادي إليها بوجه لأن اللازم في التأثير الاستقلال في الإيجاد والاستقلال في الإيجاد مستلزم الاستقلال في الوجود، وبعبارة أهل الذوق حقيقة الوجودات الظلّية ظهوره قدرة الحق في المرائي الخلقيّة. ومعنى

لا إله إلاّ الله مشاهدة فاعلية الحق وقدرته في الخلق ونفي التعينات الخلقيّة وإفناء مقام فاعلية الخلق في الحق وإفناء تأثيرهم فيه تعالى.

ومن مقامات التهليل نفي المعبود غير الحق ولا إله إلاّ الله أي لا معبود سوى الله. وبناء على هذا مقام التهليل نتيجة لمقام التحميد لأنه إذا انحصرت المحمدة في ذات الحق المقدسة فالعبودية أيضا تنزل حملها في ذلك المقام المقدس وتنتفي جميع عبوديات الخلق للخلق وكلها لرؤية المحمدة ويكون هذا هو المعبود وتنكسر الأصنام بأجمعها.. وللتهليل مقامات أخر لا تناسب هذا المقام.

الركن الرابع: التكبير

وهو أيضا التكبير عن التوصيف، فكأن العبد في بدء وروده في التحميد والتهليل ينزّه الله عن التوصيف وبعد الفراغ منه أيضا ينزهّه ويكبّره عن التوصيف حتى يكون تحميده وتهليله محفوفا بالاعتراف بالتقصير والتذلل، ولعل التكبير في هذا المقام هو التكبير عن التحميد والتهليل لأن فيه شائبة الكثرة كما ذكر. ولعل في التسبيح تنزيها عن التكبير، وفي التكبير تكبيرا عن التنزيه لتسقط دعاوى العبد بالكلية ويتمكن في التوحيد الفعلي ويكون مقام القيام بالحق ملكة لقلبه ويخرج عن التلوين وتحصل له حالة التمكين. والعبد السالك لا بد أن يحصّل لقلبه في هذه الأذكار الشريفة، وهي روح المعارف حالة التبتّل والتضرّع والانقطاع والتذلّل ويعطى لباطن القلب صورة الذكر بكثرة المداومة، ويمكّن في باطن القلب حقيقة الذكر حتى يكون القلب متلبّسا لباس الذكر وينزع عن نفسه لباسها وهو لباس البعد. فيصير القلب إلهيا حقانيا وتتحقق فيه حقيقة الآية: {إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ} (التوبة - 111) وروحها.

الفصل الثاني

في الآداب القلبية للقنوت

اعلم أن القنوت من المستحبات المؤكدة لا ينبغي تركه بل الأحوط الإتيان به لأن بعض الأصحاب قال بوجوبه، وظاهر بعض الروايات أيضا الوجوب وإن كان الأقوى في الصناعة الفقهية عدم الوجوب كما هو المشهور بين العلماء الأعلام وهو على هذه الكيفية الخاصة المتعارفة بين الإمامية رضوان الله عليهم بمعنى أنه متقوم برفع اليد حذاء الوجه وبسط باطن الكفين نحو السماء والدعاء بالمأثور أو غير المأثور ويجوز الدعاء بكل لسان عربيا كان أم غير عربي والعربي أحوط وأفضل وقال الفقهاء أفضل الأدعية فيه دعاء الفرج، ولم ير الكاتب دليلا فقهيا معتدا به للأفضلية ولكن مضمون الدعاء دالّ على أفضليته التامة لأنه مشتمل على التهليل والتسبيح والتحميد وهي روح التوحيد كما ذكرنا. وهو مشتمل أيضا على الأسماء العظيمة الإلهية كالله والحليم والكريم والعليّ والعظيم والرب، وهو أيضا مشتمل على ذكر الركوع والسجود وهو مشتمل أيضا على أسماء الذات والصفات والأفعال، وهو مشتمل أيضا على تجليات الحق جل وعلا، وهو مشتمل أيضا على السلام على المرسلين، وإن كان الأحوط تركه ولكن الأقوى جوازه، وهو مشتمل أيضا على الصلاة على النبي وآله عليهم السلام. فكان هذا الدعاء باختصاره مشتملا على جميع الوظائف الذكرية للصلاة، ويمكن إثبات أفضليته. بقول الفقهاء رضوان الله عليهم، إما بالتسامح في أدلّة السنن، وإن كان للكاتب فيه تأمّل وأمّا بالكشف عن دليل معتبر خفي عنّا كما هو مبنى الإجماع في نظر المتأخرين.

وعن الأدعية الشريفة التي لها فضل عظيم , وهو مشتمل أيضا على آداب مناجاة العبد الحق. ومشتمل على تعداد العطايا الكاملة الإلهية الذي يناسب حال القنوت وهو حال المناجاة والانقطاع إلى الحق مناسبة تامة وبعض المشايخ العظام رحمه الله كان مواظبا ومداوما عليه تقريبا، وهو دعاء " يا من أظهر الجميل ". وهو من كنوز العرش

وتحفة الحق تعالى لرسول الله ولكل من فقراته فضائل وثواب كثير كما في توحيد الشيخ الصدوق رحمه الله.
ومع أن الصلاة جميعها إظهار للعبودية وثناء على الله فإن الذات المقدسة للحق جل وعلا فتح باب المناجاة والدعاء للعبد بالخصوص في حال القنوت وهو حال المناجاة والانقطاع إلى الحق وشرّفه بهذا التشريف، فالأفضل في أدب عبودية العبد السالك أيضا أن يراعي أدب المقام المقدس الربوبي ويراقب أدعيته لتكون مشتملة على تسبيح الحق تعالى وتنزيهه، وتتضمن ذكر الحق وتذكّره ويكون ما يسأل الحق تعالى في هذه الحالة الشريفة من سنخ المعارف الإلهية وطلب فتح باب المناجاة والأنس والخلوة والانقطاع إليه ويحترز عن سؤال الدنيا والأمور الخسيسة الحيوانية والشهوات النفسانية فيصيبه الخجل في محضر الأطهار ويصير بلا حرمة ووقار في محضر الأبرار.
أيها العزيز.. إن القنوت هو قطع اليد عن غير الحق والإقبال التام على عزّ الربوبية ومدّ يد السؤال خالية الكف إلى الغني المطلق والكلام عن البطن والفرج وذكر الدنيا في هذا الحال، حال الانقطاع كمال النقصان وتمام الخسران.
أيا روحي.. حيث إنك الآن بعدت عن وطنك وهجرت مجاورة الأحرار وابتليت بهذه الدار المظلمة ذات التعب والمحن الكثيرة فلا تنسج على نفسك كدود القزّ.
أيا عزيزي.. إن الله الرحمن قد خمّر فطرتك بنور المعرفة ونار العشق، وأيّدها بأنوار كالأنبياء وعشاق كالأولياء فلا تطفئ هذه النار بتراب الدنيا الدنيّة ورمادها، ولا تكدّر ذاك النور بكدورة التوجّه إلى الدنيا وظلمتها وهي دار الغربة، فإنك إذا توجّهت إلى الوطن الأصلي وطلبت الانقطاع إلى الحق من الحق وعرضت عليه حالة هجرانك وحرمانك بقلب موجع وأظهرت حال مسكنتك واضطرارك ووجعك فيدركك الإمداد الغيبي وتساعد مساعدة باطنية وتجبر النقائص إذ من عادته الإحسان ومن شيمته التفضلّ، وإذا قرأت في القنوت من فقرات المناجاة الشعبانية لإمام المتقين وأمير المؤمنين وأولاده المعصومين عليهم السلام وهو أئمة

المعارف والحقائق وخصوصا قوله عليه السلام: "
إلهي هب لي كمال الانقطاع إليك." إلى آخره..
ولكن تقرؤه بحال الاضطرار والتبتّل والتضرّع، لا
بقلب ميّت كقلب الكاتب فهو أنسب لهذه الحال.

وبالجملة، مقام القنوت في نظر الكاتب كمقام
السجود، فذاك توجّه وإقبال على ذلّ العبودية
وتذكّر مقام عزّ الربوبية، وهذا إقبال على العز
الربوبي وتذكّر عجز العبودية وذلّها وهذا على
حسب مقام المتوسطين، وأمّا على حسب مقام الكمّل
فكما أن السجود مقام فناء العبد وترك الغير
والغيرية، فالقنوت مقام الانقطاع إلى الحق وترك
الاعتماد على الغير وهو روح مقام التوكل.

وبالجملة، حيث إن القيام مقام التوحيد
الإفعالي وهذا التوحيد يتمكن من الركعة الثانية
ففي القنوت تظهر نتيجته فيقدم العبد كشكول
(الكشكول: وعاء يجمع فيه المتسول رزقه) السؤال
إلى الحق وينقطع عن الخلق ويفرّ منهم.

الفصل الثالث

في التعقيب

وهو من المستحبات المؤكدة ويكره تركه أيضا، ويتأكد الاستحباب في الصبح والعصر، والتعقيبات المأثورة كثيرة: منها التكبيرات الثلاثة الاختتامية والمشايخ العظام يواظبون بأن يرفعوا أيديهم في كل تكبيرة منها إلى حذاء الأذن ويبسطون باطن كفهم حذاء القبلة كالتكبيرات الافتتاحية، وإثباتها مشكل، وإن أمكن استفادة رفع اليد ثلاث مرات من بعض الروايات ولعله يكفي رفع اليد والتكبير ثلاثا وقراءة دعاء " لا إله إلاّ الله وحده " إلى آخره..

وإذا كان رفع اليد مستحبا كما يواظب عليه المشايخ فهو تمكين للأسرار التي ذكرناها.

ولعله إشارة إلى طرد صلاته وعباداته لئلا يتطرق العجب ورؤية النفس إلى قلبه. والتكبيرات الثلاثة لعلها إشارة إلى التكبير عن التوحيدات الثلاثة التي هي مقومة روح جميع الصلاة، فالأدب القلبي لهذه التكبيرات هو أن يطرد المصلي في كل رفع لليدين توحيدا من التوحيدات الثلاثة ويكبر وينزه الحق جل وعلا عن توصيفات نفسه وتوحيداته ويعرض عجزه وذلّته وقصوره وتقصيره في المحضر المقدّس للحق جل وعلا، ونحن ذكرنا في رسالة سرّ الصلاة الأسرار الروحية لهذه التكبيرات، وذكرنا رفع اليد على نحو لطيف في تلك الرسالة وهو من ألطاف الحق تعالى لهذا المسكين وله الشكر والحمد.

ومن جملة التعقيبات الشريفة، التسبيحات للصديقة الطاهرة سلام الله عليها التي علّمها رسول الله صلى الله عليه وآله لتلك المعظمة وهي أفضل التعقيبات. وفي الحديث " أنه لو كان شيء أفضل منه لنحله رسول الله فاطمة عليها السلام ".

وعن أبي خالد القماط قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:" تسبيح فاطمة عليها السلام في كل يوم في دبر كل صلاة أحب إلي من صلاة ألف ركعة في كل يوم ". والمعروف عند الأصحاب في ترتيبها التكبير أربعا وثلاثين مرة والتحميد ثلاثا وثلاثين

مرة والتسبيح ثلاثا وثلاثين مرة، ولا يبعد أن يكون هذا الترتيب أفضل لا المتعين، بل الإنسان مخير في التأخير والتقديم في التحميد والتسبيح، بل لعله مخير في تأخير التكبير وتقديم التسبيح أيضا، ولكن الأفضل والأحوط هو الترتيب المشهور، وآدابها القلبية هي التي ذكرت في التسبيحات الأربعة والزائد عليها أن هذه الأذكار حيث أنها وردت بعد الصلاة والتسبيح فيها هو التكبير والتنزيه عن القيام بحق العبودية، وفي التكبير أيضا تنزيه وتكبير عن اللياقة للعبادة لمحضر قدسه، وأيضا تنزيه وتكبير عن المعرفة وهي غاية العبادة، فعلى العبد السالك أن يتفكر في تعقيب الصلاة في نقصه وعبادته وغفلانه في حال الحضور وهي بنفسها ذنب في مذهب العشق والمحبة ويتوجه إلى حرمانه من حظوظ الحضور والمحضر المقدس للحق جل جلاله ويجبره بالمقدار الميسور في التعقيبات التي هي فتح باب آخر الرحمة من الحق تبارك وتعالى ويوصل هذه الأذكار الشريفة إلى القلب ويحيي بها قلبه فلعله تختم خاتمته بالحسن والسعادة.

وفي التحميد لتسبيحات الصديقة عليها الصلاة والسلام ثبت هذه المحمدة - وهي القيام بالعبودية - يثبتها للهوية الإلهية ويراها ويعدّها من تأييد الذات المقدسة وحولها وقوّتها ويوصل حقائق هذه الأمور إلى سر القلب ويذيق الفؤاد سر هذه اللطائف ليحيي القلوب بذكر الحق ويجد القلب الحياة الدائمة بالحق، وحيث أن الصبح افتتاح الاشتغال بالكثرات والورود على الدنيا، والإنسان مواجه لمخاطرة الاشتغال بالخلق والغفلة عن الحق فينبغي للإنسان السالك اليقظان أن يتوسّل إلى الحق تعالى في ذلك الوقت الدقيق للورود في هذه الدار المظلمة وينقطع إلى حضرته، فإذا رأى نفسه غير وجيه في ذلك المحضر الشريف فيتوسل بأولياء الأمر وخفراء الزمان وشفعاء الأنس والجان يعني الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام، ويجعل تلك الذوات الشريفة شفيعا وواسطة، وحيث إن لكل يوم خفيرا ومجيرا فيتعلق يوم السبت بالوجود المبارك لرسول الله صلى الله عليه وآله، ويوم الأحد لأمير المؤمنين

عليه السلام ويوم الاثنين للإمامين الهمامين السبطين عليهما السلام، ويوم الثلاثاء للحضرات السجاد والباقر والصادق عليهم السلام، ويوم الأربعاء للحضرات الكاظم والرضا والتقيّ والنقيّ عليهم السلام، ويوم الخميس للعسكري عليه السلام، ويوم الجمعة لوليّ الأمر عجّل الله فرجه الشريف (هؤلاء الأئمة الإثنا عشر الواردة على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الخبر المتواتر أو المستفيض عن طرق العامة أن الخلفاء من بعدي أو الأئمة من بعدي اثني عشر كلهم من قريش وقد استقصينا البحث عن هذه الروايات في رسالتنا أولي الأمر.)، فيناسب أن يتوسل بعد صلاة الصبح للورود في هذا البحر المهلك الظلماني والمصيدة المهيبة الشيطانية بخفراء ذلك اليوم ويسأل الحق تعالى رفع شر الشيطان والنفس الأمارة بالسوء بشفاعتهم فإنهم مقربون لجناب القدس والمحارم لخلوة الأنس ويجعلهم وسائط في الإتمام وقبول العبادات الناقصة والمناسك غير اللائقة، فالحق تعالى شأنه كما جعل محمدا صلى الله عليه وآله وأهل بيته وسائط الهداية وعيّنهم الهداة لنا ونجّى الأمة ببركاتهم من الضلالة والجهل فيرمّم بشفاعتهم قصورنا ويتمم نقصنا ويقبل إطاعتنا وعباداتنا غير اللائقة إنه وليّ الفضل والإنعام.

والتعقيبات المأثورة مذكورة في كتب الأدعية فلينتخب كل ما يناسب حاله ويتم هذا السفر الشريف بالخير والسعادة.

اختتام ودعاء

كان من المناسب أن نتمم هذه الرسالة بذكر الموانع المعنوية للصلاة من قبيل الرياء والعجب وأمثالهما ولكن بما أنّا ذكرنا في كتاب الأربعين في شرح بعض الأحاديث شرحا لهذه الموضوعات.

والآن بسب كثرة الاشتغال وتشتت القوى الفكرية نعتذر عن هذه الخدمة، فلذا نختم هذه الأوراق مع الاعتراف بالنقص والتقصير ونطلب من أرباب الأنظار النقية العفو عن الخطأ ونحتاج إلى دعاء الخير منهم والنفس الكريم لهم.

إلهنا أنت الذي ألبستنا نحن العبيد الضعفاء لباس الوجود بالتفضل والعناية ومحض الرحمة والكرامة من دون أن تسبقنا خدمة وطاعة أو نحتاج إلى عبودية وعبادة، وشرّفتنا بأنواع النعم الروحانية والجسمانية وأصناف الرحمات الباطنية والظاهرية من دون أن يتطرق من عدمنا خلل في قدرتك وقوّتك أو أن يزيد بوجودنا شيء على عظمتك وحشمتك، فالآن وقد فاز منبع رحمانيتك وتشعشعت عين شمس جمالك الجميل وأغرقتنا في بحار رحمتك ونوّرتنا بأنوار الجمال فأجبر أيضا نقائصنا وخطيئاتنا وذنوبنا وتقصيراتنا بنور التوفيق الباطني، والمساعدة والهداية السرية وأخلص قلوبنا التي هي كلها تعلّق من التعلقات الدنيوية وزيّنها بالتعلق بعز القدس.

إلهنا إنه لا يحصل من طاعتنا نحن الأقلّين بسط في مملكتك، ولا يعود إليك نفع من عذاب المذنبين وإيلامهم، ولا يحصل من العفو والرحمة للساقطين نقصان في قدرتك فالعين الثابتة للخاطئين طالبة للرحمة وفطرة الناقصين طالبة لتماميتهم، فعاملنا باللطف العميم ولا تنظر إلى سوء استعدادنا..

إلهي إن كنت غير مستأهل لرحمتك فأنت أهل أن تجود علي بفضل سعتك.. إلهي قد سترت عليّ ذنوباً في الدنيا وأنا أحوج إلى سترها عليّ منك في الآخرة.. إلهي هب لي كمال الانقطاع إليك وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور فتصل إلى معدن العظمة.

ها هنا أختتم كلامنا بتقدير الله حامدا شاكرا على نعمائه مصليّا على محمد وآله الطاهرين في تاريخ يوم الاثنين من ربيع الثاني سنة ألف وثلاثمئة وإحدى وستين 1361 هـ. ق.

خاتمة المعرِّب

أقول وقد وفّقني المولى المنعم لتعريب هذا السفر الجليل من اللغة الفارسيّة في بلدة دمشق وقد تمّت ترجمته في صبيحة يوم الخميس الرابع والعشرين من شوال سنة ألف وأربعمئة وثلاث من الهجرة النبوية

على هاجرها الصلاة والسلام، والحمد لله أولا وآخرا،
وأنا العبد المفتقر إلى رحمة ربه.
السيد أحمد الفهري.

محتويات الكتاب

الباب الرابع

المصباح الأول

المصباح الثاني